مزيداً من النّور ...
والحكمة أيضاً

بعد ستين قرناً من تاريخ الحضارات البشرية المدونة مازال انسان كوكب الارض يشعر بأن هناك حقولا فكرية لاينبغي لأحد الاقتراب منها أو حتى الاعلان عن عزمه بالقاء نظرات سريعة عليها ٠

واذا سألت واحدا من المشتغلين بتاريخ تطورات الانسان الفكرية والنفسية عن سبب اصراره على فهم الحقول التاريخية غير المطروقة تسمعه يقول بعبارة لاتختلف عن تلك التي أكد عليها البرت اشفيتسر في كتابه « فلسفة الحضارة »

« ان الأخلاق مسؤولية لاحدّ لها تجاه كل ماهو حي » ٠

ولكنك وأنت تذكر الرأي الذي يذهب الى أن أخلاق « تكميل الذات التاريخية » واكتشافها ملتصقة بأخلاق التفاني و « العلم الكافي » معا لا تلبث أن تستيقظ على خاطر له وضوح الشمس وقوتها على حرق النوايا الفلسفية النبيلة ٠

وفي بلادنا العربية كثيراً مايجد المفكر نفسه أمام خوفه ٠٠ أمام الظنون المتعسفة في فهمه ٠

وعوضاً من أن تكون غايته البحث في المجالات غير المطروقة من التاريخ تنقلب المسألة في ظنون بعضهم الى اثارة لقضايا كان ينبغي أن تظل غارقة وحدها في قاع بحار التاريخ ٠

ويقف المرء قليلا ليتأمل في هذا السؤال :

هل يعتبر نشر اي كتاب او مقال عن أحقاب الطغيان والتخلف مصاباً ينبغي تحاشيه ؟٠

لاشك ان هناك قضايا ومسائل قد توارت في ثنايا النسيان فانطفأت فيها جراحات الشعوب ، ومن فضائل العمل بالتاريخ طمس معالمها وقطع الطريق الى نقاطها في قيعان الذاكرة ، منها على سبيل المثال لا الحصر تلك « المكابرات التاريخية » العمياء التي صرفت جهود الناس وذكائهم عن حقائق التاريخ والعقائد والأخلاق ، فضاعت دونها مواهبهم ومصالح شعوبهم ،

ولكن مراحل الطغيان والتخلف لاتدخل في هذا الباب ٠٠ ولاينبغي لها ،

ففي اضاءة عهود التخلف حكمة للانسان ورصيد نفسي ينبغي أن يتسلح بهما تكريساً لشجاعته وايمانا بقدراته على تغيير مسارات التاريخ و « الشيء » لايعرف الا « بضده » ،

ان المرء لايخاف ولايتخوف الا اذا كان من سَراة الليل ، فهؤلاء وحدهم يمشون وفكرهم منشغل عن الحديث حول خيارات المستقبل وفرص النجاح بالإنصات الى أصوات مبهمة مفاجئة لايدرون لها أصلا أو حقيقة ٠٠ ونحمد الله اننا قد عبرنا ذلك الليل الذي لايتكرر ،

والسؤال هـو :

لماذا يخاف بعض الناس من الماضي ؟ فما مضى مضى بالبرهان ، الا فيمن وَهـَم الأذى في أصحاب البرهان ، واذا حدث أن لوحظ خطأ في مرحلة من مراحل التاريخ ، على هذا الانسان أو ذاك ، فلاينبغي لأحد التلويح به ، وبالقدر نفسه لايتمسك بالخطأ الا غافل عن ثوابت تطور الذكاء البشري ٠٠ واذا كانت هناك من حقيقة في حياة الانسان فلا ريب أن تكون واحدة من ثلاث : ولادته وموته ٠٠ وسلسلة الأخطاء التي تكشف لآفاقه مواطن الصواب والحـق ،

وعند هذه النقطة ينهض في الذاكرة سؤال له حكمته :

لماذا نجد الغربيين يعترفون ـ شعوباً وأفراداً ـ بما يفوق في عرفنا « الفضائح » ، فنجد مؤرخيهم ـ شرقاً وغرباً ـ يدوّنون أسرار مراحـل تاريخهم بلا حرج من « حرائقها » أو خوف من « ذيولها » ،

وعلى الصعيد الشخصي في تراجم الرجال يندر فينا من يصل في شجاعته العقلية الى مرتبة « اعترافات روسو » أو « سيرة رَسل الذاتية » ،

بل اننا لم نتعلم شيئاً من فضيلة تدوين الحقيقة التي تركها ابن خلدون درساً ساطعاً لأجيال العرب في كتابه « التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً » ، نعم لم تتجلَ للمواطن العربي في القرن العشرين حلاوة تلـك الفضيلة التي ليست غير وجه من وجوه ممارسة عبادة الحق ، والحق وحده ،

ولن يشمل خيرُ التاريخ الا أولئك الذين كانوا على حق ٠٠ أو اعترفوا بـه ،

فمزيداً من النور ٠٠٠ والحكمة أيضاً ،

رئيس التحرير

مُقاطعة جازان في نقوش المُسند

بقلم: مُطهّر علي الأرياني

قرات اخيرا الطبعة الثانيــة من اجــزاء موسوعة (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) وهو الجزء الخاص ب (مقاطعة جازان) لمؤلفه العلامة محمد بن احمد العقيلي .

ولقد جمع الكتاب فأوعي ، فصاحبه اطال الله عمره ، لم يترك مدينة ولا بندرا ولا بلـدة ولا قرية ولا حلة الا ذكرها ، كمـا انه لم يترك جبلا ولا أكمة ولا تلة ولا سهلا ولا يفعة ولا واديا ولا رافدا ، الا ذكره .

وذلك لان المؤلف هو ابن (جازان) وقد منح منطقته وكل جهده في دراسة جميـع جوانب تراثها ، حتى عرفها كما يعـرف المرؤ بيته بكل جهاته واركانه وزواياه ، وحتى كاننا نراه وهو يسير في أرجاء هذه المنطقة مغمض العينين لشدة معرفته بهـا .

والمؤلف ـ علاوة على علمه وفضله ـ اديب مرهف الأحاسيس جياش المشاعر ، وله بمنطقته غرام ، ان لم يصل به الى حد (الشوفينية) فقد بلغ به منتهى التدله والغرام ، وذلك امر محمود من كل انسان ، فحب الوطن من الايمان .

والنجديات في الشعر العربي ،هي من اجمل فنـون الشعـر العـربي ، وخاصـة نجديـات (الابيوردي) وهي في التغني بالوطن والحنين اليه.

وقبل ذلك كان (مالك بن الريب) هو اعظم من حن الى الوطن ومسقط الراس وهو يرثي نفسه بتلك القصيدة اليائية الحزينة بعد أن لدغته حية وهو في جيش عثمان بن عفان رضي الله عنه في بلاد فارس .

وبعد ذلك علل ابن الرومي في العصر العباسي، سرُّ حبُّ الناس لأوطانهم ومسافط رؤوسهم حيث قال :

ولـي وطن آليت الا ابيعه
والا ارى غيري له الدهر مالكا
وحبب اوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وجاء في العصر الحديث امير الشعراء احمد شوقي فقــال :

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني اليه في الخلد نفسي

وجاء بعده شاعر الجزيـرة العربية الاكبر الاستاذ محمد محمود الزبيري فقال :

ولو اني حللت ربوع نجـم
هممت به الى وطني الوثوبا

والامثلة كثـيرة على حب الانســان لوطنه ومنطقته ومسقط راسه ، حتى يكاد يبدو هــذا الميل او النزوع الانساني وكانه غريزة مغروسة في الطبيعة الانسانية وليس هذا مجال الاستطراد في الموضوع ، ولكني اعود الى كتاب الاستاذ العقيلي لاقول بانه لا شك كتــاب شامــل محيط بحكم تخصص مؤلفه في هذا الموضوع ، اللهم الا فيما يتعلق بالعمق التاريخي القديم لهذه المقاطعــة او المنطقة قبل الاسلام .

وليس في ذلك ما يقدح بالكتاب ولا بالعلامة المحقق محمد بن احمد العقيلي فالمؤلف في اختصاصه قد اعطى الموضوع حقه ، كما اعطى منطقته في عصورها الاسلامية حقها، فهو مؤرخها وجغرافيها وجامع تراثها وآدابها وامثــالها ودارس نبالاتها ومدونها ، وفوق هذا شاعرها واديب كبير مــن ادبائهــــا .

لقد تخصص الاستــاذ (العَقيلي) بتراث مقاطعته الاسلامي بجميــع جوانبه ، اما التاريخ القديم ، وقراءة نقوش المسنــد وشرحها ، فهو تخصص آخر ، ومــا اظن ان وقت هــذا العالم الجليل ولا جهده يتسعان لمزيد مما وسعاه وهو الكثير الكثير .

ولذلك ، ونظرا الى ان منطقــة (جازان) حبيبة الــى نفوسنا جميعا نحـن ابناء الجزيرة العربية ، احببت ان اخصها بهذه الدراسة التي حدت بي اليها معرفتي المتواضعة بنقوش المسند القديم وذلك استطرادا واستدراكا واستكمــالا للفائدة التي توخاها العقيلي في كتابه .

نعم : ان لدينا عددا لا باس به من نقوش المسند التي تتحدث عن مناطق اليمن الشماليــة والشمالية الغربية مثل (نجران) و (عسير) و (جازان) وما جاورها من تلك الارجاء .

فإذا اقتصرنا على مقاطعة (جازان) وهي موضوع كتاب الاستاذ (العقيلي) الذي استدرك له عمقه التاريخي ، فإنه من الممكن ، ومن منطلق الوحدة والدعوة اليهــا لا من منطلق الاقليمية والتشبث بها ، إيراد خمسة نقوش رئيسية من نقوش المسند التي املكها .

ومن الجدير بالذكر ان هــذه النقوش يعود اربعة منها الى العصر السبأي الثالث ، اي عصر (مملكة سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنة) ، وهذه النقوش حسب ايرادها في هذه الدراسة هي :

اولا ا

نقش من مجموعة البروفسور البرت جام، من عهد الملك (نشا كرب يؤمن يهرحب ملك سباوذي ريدان بن ايلشرح يحضب ويازل بيين ملكي سبأوذي ريدان وهو (جام/٦١٦) كما هو مدون في كتابه (نقوش سبأية من محرم بلقيس) .

ثانيـا :

– (جام / ٦٤٩) من نفس الكتاب ، ومن عهد (شمر يهر عش ملك سبأوذي ريدان) .

ثالثـا :

– (كهالى إرياني / ١٧) كما هو مدون في كتابي (في تاريخ اليمن) وهـو مـن عهد نفس الصيفة الملكية لشمريهرعش .

رابعـا :

(سي.آي.إتش) كما هو مدون فيمجموعة (ك. كونتي روسيني) وهـو من عهـد (شمر يهرعش ملك سباوذي ريدان بن ياسر يهنعم ملك سباوذي ريدان) اي بزيادة نسبته الى ابيه .

خامسـا ا

– (جام / ٦٥٨) وهو من عهد يهرعش ملك سباوذي ريدان وحضرموت ويمنـة) من العصر السباي الرابع الـذي اضيفت فيه (حضرموت ويمنة) الى اللقب الملكي .

* * *

نص النقش الأول بالحروف العربية

(١) وهب اوم / يأذف / وأخيهو / يدم / يدرم / وبنيهو / حمعثت / أزأد /
وابكرب / أسعد / وسيخم / يزأن / بنو / سخيم / أبعل / بيتن / ريمن /
أقول / شعبن / يرسم / ذسمعي / ثلثن / ذهجرم / مقتت / نشأكرب / يأمن /
يهرحب / ملك / سبأ / وذريدن / بن / ألشرح / يحضب / ويأزل / بين /
ملكي / سبأ / وذريدن / هقنيو / مرأهمو / ألمقه ثهون بعل آوم / ذن /
صلمن / ذذهبن / حمدم / بذت / هوفي / عبدهو / حمعثت / أزاد / وابكرب /
أسعد / بني / سخيم / بكل / أملك / وتبشر / وصري / ستملأو / وتبشرن /
وصترين / بعمهو / بكن / وقهد / سهمي / مرأهمي / نشأكرب / يأمن / يهرحب /
ملك / سبأ / وذ ريدن / بن / الشرح / يحضب / ويأزل / بين / ملكي /
سبأ / وذريدن / لسبئ / ووفين / أشعب / وعشر / خولن / جددم /
وحمدو / خيل / ومقم / مزأهمو / المقه ثهون بعل أوم / بذت / تأ /
تمو / وقتضن / كل / أشعب / وعشر / خولن / جددم / وأولو / كل /
أحرهمو / أوثقم / وخبطهمو / وكل / ذوقههمو / مرأهمو / نشأكرب /
يأمن / يهرحب / ملك / سبأ / وذريدن / عدى / هجرن / صنعو /
وبمو / هوت / وفين / يسرو / بهأتمو / لبهأ / لهمو / سهرتن / وثهبهمو /
بهأتهمو / عدى / هجرن / رحبم / ذأرض / خولن / كرأ / كهطبو / لهمو / أشعب /
دوأت / وبمو / يومن / ذبهو / ثهبهمو / بهأتهمو / نزعو / وهبريو / عوفهمو /
وتأكلم / جيشهمو / ست / وعشري / أفرسم / وثلثي / مأنم / أهدم /
بني / شعبهمو / يرسم / وبني / نظر / ملكن /

د ذ بن / خولن / وهفرو / وصبحن / دحرب / بن / عشر / دو أت /
عشر / أبأس / وأيدعن / وحكمم / وحدلنت / وغمدم / دكهلم / وأهلني /
وجدلت / وسبسم / وحرمم / وحجر / لمد / وأومم / ورضحتن / بن / حرت /
وحربهو / بسفل / أوديتن / ذبثرن / وخلب / وتد حن / وحمذو / خيل /
ومقم / مرأهمو / المقه ثهون بعل أوم / بذت / خمرهمو / تأولن / همو / وأفرسهمو /
وجيشهمو / بوفيم / وحمدم / ويهرم / واحللم / وأخيذتم / دمهرم .. ستم /
وسبيم / وملتم / وغنمم / شفقم / ذهرضو / مرأهمو / وذهرضوهمو / ولوزأ /
ألمقه ثهون بعل أوم / صدقه / وهوف.. ..بين / أدمهو / بني / سخيم / بكل /
ملأ / وتبشر / وصري / يزأنن / ستم سلأن / وتبشرن / وصترين / نعمهو /
ولسعدهمو / مرأهمو / المقه ثهون بعل أوم / حظى / ورضو / مرأهمو /

نشأكرب / يأمن / يهر / عب / ملك / سبأ / وذريدن /
بن / الشرح / يحضب / ويأزل / بين / ملكي / سبأ / وذريدن / وبري / أأذنم /
ومقيمتم / ونأد / أثمرم / ولخزينهمو / المقه ثهون بعل أوم / بن / بأستم /
ونكيتم / دبن / نضع / وشصي / وتشعت / شنئم / ذرحه / وقرب / ذبنهو /
دعو / وذبنهو / أل / دعو / بالمقه ثهون بعل أوم .

"نص النقش الأول"

بحروف المسند" جام / ٦١٦ .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٢/١

٤/١ .

١/ن

((شرح النص الاول))

ـ هؤلاء هم ـ (وهب اوام يأذف) واخوه (يدم يدرم) وابناؤه (حمعثت ازاد) و (ابو كرب اسعد) و (سخيم يزان)(١) ـ وهم جميعا من ـ بني (سخيم)(٢) اسياد البيت ـ المسمى ـ (ريمان) اقيال قبيلة (برسم ذي سمعى) المثالثين لـ (ذي هجر)(٣) ومن كبار قادة (نشاكرب يأمن يهرحب ملك سباوذي ريدان ابن ايلشرح يحضب ويازل بيين ملكي سبأوذي ريدان)(٤)

وقد تقربوا الى سيدهم (المقه ثهوان بعل اوام) بهذا الصنم ذي الذهب(٥) حمدا له لانه اوفى وانجز لعبديه (حمعثت ازاد) و (ابوكرب اسعد) السخيميين كل الآمال والبشارات والأماني التي علقوا عليه امر تحقيقها .

وذلك حينما امرهما سيدهما (نشاكرب يامن يهرحب ملك سبا وذي ريدان ابن ايلشرح يحضب ويازل بيين ملكي سبأوذي ريدان) بالانطلاق والوصول الى قبائل وعشير ـ عشائر ـ (خولان جديد ـ الجلد ـ)(٦)

ولقد حمدوا القوة والقدرة الخارقة لسيدهم (المقة ثهون بعل اوم) ـ لانه مكنهم ـ من الاجتماع بقبائل وعشائر خولا وفض النزاع الذي كان مثارا ، كما عادوا منهم بالرهائن او الضمانات الاكيدة ، كما عادوا بعد تحقيق كل ما امرهم به سيدهم (نشا كرب يأمن يهرحب ملك سباوذي ريدان) ـ عادوا بكل ذلك اليه ـ الى مدينة (صنعاء) .

وبعد تحقيق هذه المهمة مباشرة ارسلوا طليعتهم لاستطلاع احوال قبائل (سهرتان) ، وزودوا طليعتهم الى مدينة (رحبمم) التي في ارض (خولان) لمعرفة ان كانت قبائل (دوات) قد دخلت في الطاعة .

ولكنهم في نفس اليوم الذي ارسلوا فيه طليعتهم ـ او رسلهم الى دواة ـ استعدوا للحرب فصفوا جيشهم وخلصوه من ذوي الضعف ، بحيث لم يبق الا ستة وعشرين فارسا ، وثلاث مئة من المقاتلين الاشداء ـ اسود ـ من قبيلتهم (برسم) ومن خاصة رجال الملك ، وقليل من رجال (خولان) ثم اغاروا وصبحوا وحاربوا ، عددا من عشائر (دوات) وهي عشائر (اباس (

و (ايدعان) و (حكم) و (حدلنة) و (غامد) و (كهال) و (اهلني) و (جديلة) و (سنبس) و (حرام) وحجر (لمد) و (اوام) و (رضحتن) من (حرة) .

– ولقد – حاربوهم باسافل اودية (ذي البئر) و (خلب) و (تندحه – التنادح –)(٧)

وحمدوا القوة والقدرة الخارقة لسيدهم (المقه ثهون بعل اوم) لأنه منّ عليهم بالعودة هم وفرسانهم وجيشهم بسلامة ومحمدة وفخروغنائم من الحيوانات ، واسرى من الرجال ، وبمقتلة للأعداء ، وسبايامن النساء ، واموال وغنائم كثيرة مما ارضى سيدهم الملك وارضاهم .

– وإنهم ليتضرعون ان – يستمر (المقه ثهوان بعل اوام) في (صداق وتحقيق كل ما يعلقه عليه خدمة بنو (سخيم) من الآمال والبشارات والتوقعات والمغيبات .

– وإنهم ليتضرعون – الى مراهم (المقه ثهوان بعل اوام) ان يمنحهم الحظوة والرضا عند سيدهم (نشأ كرب يامن يهرحب ملك سباوذي ريدان) بن (ايلشرح يحضب ويازل بيين ملكي سباوذي ريدان)

كما يسالونه سلامة الحواس والقوى ، مع الأثمار الخصيبة الوافرة ، ويسالونه ان يجنبهم هو (المقه ثهوان بعل اوام) من جميع شرور المبغضين الحاسدين ، مَن بَعد منهم ومن قرب ، ومن علموا به ومن لم يعلموا به، بحق (المقه ثهوان بعل اوام) .

التعليقات على :

« شرح النقش الاول »

(١) اصحاب هذا النقش مذكورون في مالدي من النقوش في نقشين آخرين هماجام /٧١٨ ، جام / ٧٨٨ / ولكنهما نقشان لحق بهما تلف شديد ، اما (يدم يدرم) وحده من هذه الاسماء، فلعله صاحب النقش رقم/١٨ من مجموعة (كهالى إرياني) واوله كما يلي : (يدم يدرم واخوه سعد عثتر بنو سخيم اقيال سمعى الثالثين لذي هجر .. الخ) وهو اسبق عهداً من هذا النقش الذي نحن بصدده ، فنقش (يدم يدرم واخوه سعد عثتر) يعود الى اوائل عهد (ايلشرح يحضب واخوه يازل بيين ملكي سبأوذي ريدان) عند اول وصول لهما الى قصر (سِلحين) في (مارب) وهما الملكان اللذان ينتمي اليهما (نشاكرب يامن يهرحب) الملك في النقش الذي نعلق عليه هنا

(٢) بنوسخيم من الاقيال المهمين ، ومقرهم الرئيسي في ما يعرف اليوم باسم بني حَشيش شمال شرقي صنعاء ، وحَشيش هذا فارسي فر الى المنطقة في صدر الاسلام اثناء ثورة العنسي وقيس بن المكشوح المرادي وصاهر فيهم فتسموا باسمه بناء على قاعدة كانت متبعة في التحالفات والأحلاف آنذاك، ولبني سخيم عدة نقوش تذكرهم في مناطق بني حَشيش الحالية في غضران والغراس وشبام الغراس وغيرها ، كما ان لهم ذكرا في عدد مما لدي من النقوش ، والاسم القديم لبني حَشيش هو (بنوسخيم) وهم جزء من تحالف (يرسم ذي سمعى) الآتي ذكره .

(٣) اولا : البيت (ريمان) والاسم (ريمان)

هو الاسم القديم لحصن (ذي مرمر) وكان عليه قصر هؤلاء الأقيال ، وهو مذكور في عدد آخر من النقوش منها (جام ٦٧٠/٦٧١/) . ثانيا : تأتي الصيغة التحالفية (شعب يرسم ذي سمعى الثلث من ذي هجر) فأما (يرسم) فيفهم من النقوش ان هذا تجمع قبلي وليس اسم قبلة واحدة بالمعنى القبلي المتعارف عليه ، ويؤكد ذلك الهمداني عند حديثه عن مخلاف صعدة من خولان قضاعه حيث يقول : « .. صعدة : سكانها الاكيليون من آل ربيعة بن سعد الاكبر بن خولان، ويرسم جماع قبائل من الكلاع ومن همدان ومن سعد بن سعد ومن باقي بطون خولان .. » — الصفة ص ٢٤٩ تحقيق الاكوع — . اما الاسم (سمعى) فانه إسم يطلق على تجمع وحلف قبلي اوسع واعم واشمل حتى انها ظهرت في فترة من فترات التاريخ اليمني القديم مملكة اسمها مملكة

(سمعى) وكتب المؤرخين المحدثين تذكرها اما المراجع العربية القديمة حتى كتب الهمداني فهي مجهولة فيها تماما . وفي بلدة (بنى الزبير) من قرى (عيال سريح) قرات على الكتابة اليمنى لباب احد المنازل عبارة (ملك سمعى) في نقش مكسور ولكنه مكتوب بحروف بارزة كبيرة، وفهمت من المواطنين ان كل الحجارة ذات التشذيب الاجود وذات الكتابة او الزخرفة في بلدتهم انما هي مجلو به من خرابة (مرمل) وزرت هذه الخرابة الواقعة في السفح الشمالي الشرقي لجبل (ضين) فوجدتها انقاضا واسعة مما يدل على انها كانت مركزا مهما من مراكز (مملكة سمعى)، ولقب (ملك سمعى) جاء ايضا في بعض النقوش مثل (سي . آي . اتش ٣٧) .

(٤) لنشاكرب ومن عهده نقوش كثيرة ، وربما اكثر من غيره من الملوك ، ومعظم هذه النقوش لاتتحدث عن الحروب كما هو شأن اكثر النقوش المقدمة لإله القوة (المقه نهوان) ولكن معظمها يتحدث عن الشؤون الحياتية والخاصة ، كما ان النقوش المسجلة باسم هذا الملك شخصيا تنم عن تديّنه العميق وشدة ورعه وفي بعض نقوشه غرابة ويبدو انها تتحدث عن تحالفات اجتماعية ولكن فهمها صعب لغرابة الفاظها .

(٥) الصنم ذي الذهب . اي الذي فيه شيء من الذهب ، واظن والله أعلم أن اليمنيين القدماء — كغيرهم — ينظرون الى الذهب على انه انفس معدن من معادن الارض ، ولا شك أن ذوي التدين والإيمان القوي بآلهتهم كانوا يرغبون في ان يكرموا آلهتهم بأنفس ما يملكون وهو الذهب ، ولكنهم كانوا احذق من ان يتقدموا لها بقرابين من الذهب الخالص حذر النهب والسرقة، ولهذا اتخيل ان احدهم كان إذا اراد ان يتقرب لاحد الآلهة بشيء من الذهب قام باحضار كمية البرونز الكافية لصنع التمثال او القربان الذي يريده ، ويضيف اليه قطعة صغيرة او كبيرة من الذهب — كل حسب مكانته وامكانياته — ويصهرون البرونز مع تلك الكمية من الذهب فاذا هما انصهرا قاموا بخلط تلك المادة جيدا بحيث يصبح الذهب ذرات موزعة في البرونز الذي يصنعون منه القربان ذي الذهب ، وهنا لا يستطيع احد ان يستفيد منه .

(٦) هذه هي خولان الشام او خولان قضاعة

كما يسميها الهمداني ، وتسمى في النقوش (خولا جديد) و (خولان الجديدة) و (خولان الأجدود ـ اي الجدد ـ) كما سنرى ، والهمداني يذكر الاجدود من خولان قال : « .. ومن المغرب معدن القفاعة من بلد الاجدود من خولان .. الصفة ص٩٩ تحقيق القاضي محمد الاكوع » وسنعود الى هذا الموضوع عند التعليق على النص الخامس.

(٧) ثم ان هذا النقش ذكر من اسماء الاماكن والقبائل ما يلي :

● **مدينة (صنعاء) ولصنعاء في نقوش المسند دراسة قد اعددتها لعدد سبتمبر من الإكليل .**

● مدينة او قبيلة (السهرة) ، والواقع ان النقوش تورد أحياناً صيغتين احداهما : (سهرتان = السهرة) ويبدو انهم يعنون بها اسم مكان أو مدينة ، ويرى الدكتور محمود الغول ان المراد بذلك مدينة (الزهرة) المعروفة اليوم باسمها في شمال تهامة اليمن وهو محق في ذلك الا انه كان للسهرة القبيلة امتداد ابعد الى الشمال حتى وادي (لية) وربما خلفه كما سنرى.

والصيغة الثانية هي : (سهرتهم = سهرة) ويعنون بها القبيلة ، وقبيلة سهرة هذه قبيلة قوية عاتية ظلت تحارب ملوك سبأ وسبأوذي ريدان وحضرموت ويهنة ردحا طويلا من الزمن ، ويبدو ان هذه القبيلة كانت خليطا من الاحباش والاعراب مع حكم وعك اليمنيتين ، وكان الملك (ايلشرح يحضب ملك سبأوذي ريدان) ـ والذي ينتمي اليه الملك نشاكرب المذكور في النقش الذي نحن بصدده ـ يملك حساً اعلاميا عربيا مبكرا ، اذ كان يطلق على خصومه اسماء تحقيرية فعند حربه مع (شمريهرعش ملك سبأوذي ريدان) لم يكن يسميه في نقوشه إلا (شمرذي ريدان) و (كرب إل وتاريهنعم) هو عنده (كرب إل ذي ريدان) اما هذه القبائل في شمال تهامة اليمن فكثيرا ما يطلق عليهم اسم (احزاب الحبشة) .

● ويذكر النقش مدينة (رحبمم) بارض خولان ، هكذا كتبها البروفسور جام بميمين في آخرها ، وجام معروف بدقته في نقل النقوش ، ولكن النقش فيه تلف شديد وربما تكون الميم الأولى هي نون اي (رحبنم = رحبان) ولايزال اسم السهل الذي تقع فيه مدينة صعدة من ارض خولان هو (رحبان) حتى اليوم .

● ويذكر النقش قبيلة (دواءة) وهو اسم غريب وليس له ذكر فيما لدي من المراجع العربية ، وقد وضعها البروفسور جام في خريطته عن عائلة (فارع ينهب) في جانبي وادي (خلب) شماله وجنوبه وهو ما يتناسب مع نقشه هذا

● ويذكر النقش عشيرة (اباس) وعشيرة (ايدعان) فأما اباس فليس لها فيما لدي من المراجع العربية ذكر ، واما (ايدعان = الايداع) فليس لها ذكر في المراجع العربية اللهم الا عند الهمداني رضي الله عنه ، فقد ذكرها وفي المكان الذي يتناسب مع هذا النقش ، فقال عند كلامه عن (جرش واحوازها صفه ص٢٥٧) :

« .. والدارة وابها والحلة .. فجرشة فالايداع، اوطان عسير من عنز ، وتسمى هذه ارض طود »

وبهذه الكلمات القليلة استفدنا فائدتين أولهما الابداع المذكورون في هذا النقش ، والثانية هي نصه على ان هذه المناطق التي يتحدث عنها من (عسير) و (جرش واحوازها) تسمى (ارض طود) وهذا يفسر لنا سر إضافة عبارة (واعرابهم طود او تهامة) الى اللقب الملكي في العصر السبأي الرابع بحيث اصبح اللقب كاملاهو (ملك سبأوذي ريدان وحضرموت ويمنة واعرابهم طوداً و تهامة) فالملوك الحميريون خاصة كانوا يعتبرون قبائل عسير وما حاذاها من تهامة قوماً من الأعراب اي البدو ولما كثرت تمرداتهم ومشاغباتهم اضافوا العبارة المذكورة الى اللقب الملكي من باب تسجيل الحق والتوثيق القانوني .

● ويذكر النقش قبيلة (حكَم) وهي قبيلة يمنية عريقة لها ملك وسلطان في الجاهلية والاسلام والمراجع العربية تذكرها وتذكر انه كان لها صلات بمملكة الحبشة اقتصاديا وسياسيا ، وهذا ما نلمسه ايضا من نقوش المسند التي تتحدث عن حروب طويلة دارت بين ملوك سبأ ومن بعدهم وبين (ارض طود) وما حاذاها من تهامة وهي (جازان) حيث تنزل قبيلة (حكم) ، وتذكر المصادر العربية ان المخلاف (السليماني) قبل ان يطلق عليه هذا الاسم مؤخرا ، كان كله يسمى (مخلاف حكم) وبالطبع يدخل في هذا المخلاف منطقة (جازان) التي هي من أهم مراكز قبيلة حكم . يقول الهمداني : « .. ثم بلد حكم وهي خمسة ايام ، فيها أودية همدان وخولان ، وملوكه من حكم (آل عبد الجد) ، وفيه مدن مثل (الهجر) و (الخصوف) و (الساعد) و (السقيفتين) والشرجة ساحلة .. وببلد (حكم) قرى كثيرة مثل (العداية) و (الركوبة) و (المخاوف) و (القليق) وبها وادي (حرض) و (حيران) و (خدلان) ووادي (بني عبس) ووادي (الحيد) ووادي (تعشر) ووادي (جحفان) ووادي (ليه) ووادي (خلب) ووادي (زائرة) ووادي (شابه) و (ضمد) و (جازان) و (صبيا) وملوكه من ذكرنا من (الحكميين) من آل عبد الجد .. الصفة ص ٢٥٨ — ٢٥٩) .

● ويذكر النقش (حدلنة) ولا اعرف عنها شيئا ، ثم يذكر (غامد) وغامد هذه قبيلة كبيرة محتفظة باسمها الى اليوم ، وهي مذكورة في المراجع العربية واوسع واوفى ذكر لها ما جاء في كتاب العلامه حمد الجاسر (في سراة غامدوزهران) وهي قبيلة من الأزد . ثم ذكر النقش (كهال) و(اهلني) ولااعرف عنهما شيئا وفي اليمن اكثر من مكان يسمى (كهال) ولكن الجهات التي يتحدث عنها النقش لم أجد شيئا عنها . اما (جديلة) و (سنبس) فتذكرهما المراجع العربية كقبيلتين اولاهما من (طيء) ، أما (حرام) فقبيلة من كنانة وهي قريبة من اماكن هذا النقش ، وبقية الاماكن (حجر لمد) و (اوام) و (رضحتان) و (حرة) فلا اعرف عنها شيئا .

● ثم يذكر النقش اسماء الاماكن التي دارت فيها المعارك وهي اسافل الوديان (ذي البئر و (خلب) و (التنادح) فأما (ذي البئر) فليس له ذكر آخر فيما لدي من المراجع الا ان الاستاذ العقيلي يقول : « وادي البير : بقعة في شرق جبل آل مغامر من فيفاء يسكنها (آل اخسافية ص ٤١٥ »

ورغم ان كلمة (وادي جاءت في اصل الاسم مضافة الى البير ، الا ان الاستاذ العقيلي قال عند التوضيح (بقعة) لم يقل (واديا) صفته كذا وكذا فاضعف احتمال أن يكون هو الذي ذكره النقش . واما (خلب) فواد مشهور معروف باسمه اليوم مذكور في المراجع العربية الرئيسية، ذكره الاستاذ العقيلي وذكر مآتيه وروافده ومسيره ومصبه ورسم له خريطة توضيحية . اما (تندحن = تندحان = التندح او التنادح) فيعرف في بعض المراجع العربية . قال الهمداني : « .. ثم تندحة ، وهي العين من اودية جرش وفيه المناب وآبار ساكنة بنو اسامة من الازد ورايت بعضهم ينجذب الى شهران العريضة ... ص٢٥٧ » وقال الاستاذ حمد الجاسر في كتابه (في سراة غامد وزهران ص٦٤) « .. تندحه واد لا يزال معروفا وفيه قرية بهذا الاسم يقع في الطريق بين بيشة وخميس مشيط ويبعد عن الخميس بما يقارب ثمانية عشر كيلا ، وينصب تندحة في بيشة » اما الاستاذ العقيلي فلم يذكره لانه خارج اختصاصه طبقا للطريقة المتبعة في تدوين المعجم الجغرافي السعودي اذ ان كل محقق قد تخصص بمنطقة ليدون معجمها .

وقد وضعه البروفسور جام خلف خط العرض (١٨) في خريطته عن عائلة (فارع ينهب) مشيرا الى العمق الذي بلغه نفوذ (نشا كرب يامن يهرحب) حفيد (فارع ينهب)

نص النقش الثاني بالحروف العربيّة

وفيم / أحبر / بن / حبب / وهينن / وثأرن / ذ عمد / وسأرين /
وحولم / اقول / شعبن / صدوح / وخولن / خضلم / وهينن / مقتوى /
شمر / يهرعش / ملك / سبأ / وذ ريدن / هقني / مرأهمو /
المقه ثهون بعل اوم / صلمن / ذ ذهبن / حمدم / بنت / هوفيهمو / بملأهمو /
بكل / سبأت / سبأو / وشوعن / مرأهمو / مرأهمو / شمر / يهرعش /
ملك / سبأ / وذ ريدن / عدي / سهرتن / ليت / دخيون / وصدخن /
وتنعم / ونبعت / وهرج / بذت / سبأتن / خمست / أسدم / بضنعم /
واحد / أخذم / مهرجت / صدقم / وذفرعم / بقدم / جليشن / وأتو /
هأ / وشعبهو / بمهرجتم / وسبيم / وغنمم / ذعسم / ذ هرضيهمو /
وحمدم / بسبأت / وزأو / سبأ / وشوعن / مرأهمو / شمر / يهرعش /
ملك / سبأ / وذ ريدن / عدي / سرن / ذ ضمد / وستبرو /
بمسجتهو / على / شعبن / حرت / وهرج / بهو / خمست / أسدم /
بضنعم / وذفرع / بقدم / جليشن / وزخن / بهو / خمس / زخمم / مضيتم /
فخذهو / ورجلهو / وفرسهو / ندف / وزخن / وحذر / كتخذ علن /
رجلهو / ديموتن / فرسهو / ومتعهو / المقه ثهون بعل اوم / وأتو / هأ /
وشعبهو / بمهرجتم / وسبيم / وغنمم / دهرضوهمو / وحمدم / سبأو /
وشوعن / مرأهمو / شمر / يهرعش / ملك / سبأ / وذ ريدن / سرن /
حرب / عدي / قريتنهن / وبنهو / فوقهمو / شمر / يهرعش / ملك /
سبأ / وذريدن / هوت / وسبعي / ومأت / اسدم / ذ قرب / بن /
شعبهمو / صدوح / وخولن / وبعمهمو / ست / أفرسم / لتقدم /

وتوسعن / أشعب / عكم / وذ سهرتم / وتوسعو / وتقدمن / كل /
أشعب / وعشر / عكم / وذ سهرتم / بعقبتن / ذ رجزجزن / وتهرجو / بعمهمو /
بن / شف / شرقم / عدي / مقطت / شمسن / وليل / ليلم / عدي / شرقه /
كوكبن / ذ صبحن / وهسنختهمو / وهجبأن / وهرج / بنهمو / ذ فرعم /
بقدم / جليشن / اسم / بضنعم / وثني / أخذم / وكون / مهرجت / هرجو /
بعقبتن / ذ رجزجزن / عشرم / ومأت / اسدم / بضنعم / وسشت / واربعي /
أخيذ عم / وعشري / واربع / مأتم / سبيم / وست / وعشرم / وثلث /
مأتم / ركبم / برحلهن / وغنمو / ملي / جملم / وبقرم / وضأنم / شفقم /
ولذ مخر / هوت / يومن / فشوعو / .....

« نص النقش الثاني »

بحروف المسند » جام/٦٤٩

شرح النقش الثاني

— هذا هو (وافي احبر) المنتمي الى (حباب) و (هينان) و (ثاران ذي عمد) و (سأرين) و (حوال) الذين يكون منهم اقيال قبائل (صرواح) و (خولان) و (هينان)(١) وهو وافى احبر — من كبار قادة (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان) .

وقد تقرب الى سيدهم (المقه ثهوان بعل اوام) بصنم ذي ذهب حمدا له لانه حقق له كل آماله ، في كل غزوة شنها مناصرة لسيدهم (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان) والتي وصل بها الى (سهرتان لية) و (خيوان) و (ضد خان) و (تنعم) و (نبعة)(٢).

ولقد قتل — هو بنفسه — في هذه الغزوات خمسة مقاتلين — اسود — تمزيقا بحد السلاح ، كما اخذ اسيرا واحدا فياله من نصر .

ولقد تقدم امام الجيش وعاد هو وشعبه بمقتله للاعداء وبالسبي والغنائم الجيدة — ذي عيس — والتي ارضتهم .

وحمدا — للاله المقه — بمناسبة غزوة اخرى غزاها استمرارا في مناصرة سيدهم (شمريهرعش ملك سباوذي ريدان) فوصل بها الى وادي (ذي ضمد) (واغاروا في اكنافه على قبيلة (حرة، حاره، حورة ، حيرة)) فقتل في هذه الحملة خمسة من المقاتلين تقطيعا بالسلاح وهو في مقدمة الجيش .

ولكنه في هذه المعركة اصيب بخمس طعنات ماضية في فخذه ورجله وكذلك فرسه (نادف) اصيب ايضا بطعنة ، ولقد خشي على رجله أن تنفر جراحها وخشي على فرسه ان يموت ولكن الإله (المقه ثهوان بعل اوام) انقذهما وانتشلهما فعاد هو وشعبه بنصر ومقتلة للأعداء وبالسبي والغنائم مما ارضاهم كل الرضا .

وحمدا لغزوة اخرى قام بها مشايعا لسيدهم (شمر يهرعش ملك سباوذي ريدان) في وادي (حرب) حتى وصل الى (القريتين) وفيها جاءته اوامر (شمريهرعش ملك سباوذي ريدان) تامرهم ومئة وسبعين مقاتلا من قبيلتهم (صرواح)

و (خولان) ومعهم ستة من الفرسان لمنازلة وتاديب قبائل (عك) و (ذي سهرة) ، ولقد قاتل كل قبائل وعشائر (عك) و (ذي سهرة) بـ (العقبة ذي رجز جزان) ودارت الحرب بينهم من مطلع ضوء الصباح وحتى غروب الشمس وليل يا ليل حتى اشرق كوكب الصباح وقتل منهم عند هجومه وهو في مقدمة الجيش مقاتلا واحدا تمزيقا بحد السلاح واسر منهم اثنين .

وكان القتلى الذين قتلوهم في (العقبة ذي رجز جازان) هي : مئـة وعشرة من المقاتلين مزقوهم بحد السلاح ، وستة واربعون اسيرا من المقاتلين ، واربع مئـة وعشرين مـن السبايا ، وثلاثمئة وست عشرة ركوبة برحالها وغنموا كثيرا من الجمال والبقر والضان .

التعليقـات على :

« شرح النقش الثاني »

(١)وافي احبر ليس له لدي الا هذا النقش، وكذلك ثاران ذي عهد ، اما اسماء الاماكن وهي (حباب) و (هينان) و (سارين) فمذكورة في نقوش اخرى وهينان دون الاخريين لها ذكر عند الهمداني عند حديثه عن بلاد همدان ويبدو انها من ارحب قريبة من الجوف ، واما (حوال) فهذا اول ذكر لها فيما لدي من النقوش واليها ينتمي آل يعفر الحواليون ملوك اليمن واليهم ينتمي القضاة آل الاكوع ادام الله فضلهم .

(٢) اهم اسم من هذه الاسمـاء الخمسة هو (سهرتان لية) اي مقر قبيلة (سهرة) على وادي (لية) او انه هنا يعني اسم القبيلةالسهرة التي تنزل في اكناف وادي (لية) ، ووادي (لية) معروف باسمه اليوم في منطقة جازان ذكره العقيلي فقال : « وادي لية : بكسر اللام وفتح الياء المثناة التحتية ، ومساقطه العليا من الجبال اليمنية ، واشهر شعوبه التي تصب داخل حدودنا (١) شعب الخوص (٢) شعب القصب . ويلتقي بوادي المغياله ــ كما اسلفنا ــ شرق جنوب صامطة . ويسقيان مزارع صامطة والجرادية ويتحدان مع وادي تعشر اسفل (الحذرور) . » كما جاء رسمه في خريطته عن منطقة صامطة ، وذكره الهمداني في عدة مواضع من الصفة . ووضعه جام في خريطته عن اسرة (ياسر يهنعم) وحدد مكانه .

اما بقية اسماء الأماكن فلم استطع لهاتحقيقا مرضيا الا ان النقش يذكر بعد ذلك قبائل وعشائر (عك) بهذه الصيغة الجمعية مما يدل على اهمية (عك) ، وهي في الواقـع قبيلة كبيـرة شديدة المراس ولهـا ذكر في نقـوش مسنـدية اخرى وخاصة في عهد (ايلشرح يحضب واخيه يأزل بيين)

فقد كان حربهما مع (عك) وغيرها مـن القبائل التهامية حربا شرسة ، ول (عـك) بالطبع ذكر في المراجع العربية والهمداني يذكرها في مواضـع كثيرة من الصفة ولو جمعنـا كـلام الهمداني عنها لخرجنا منه بموضـوع لطيف فالواديان (سهام) و (مور) عكيان خالصان ، ثم ان (عك) تخالط (حكم) في بعض منازلها في شمال تهامة ، وتخالط (الاشاعر) في قلب تهامة ، بل وتخالط (بني مجيد) في جنوب

تهامة ، ولها امتداد مع واديهما الـى الجبال ، وكان بعض الخلفاء عنـد ارسال الولاة يسمون تهامة مخلاف (عك) ، بل ان هذا النقش قـد جعل ل (عك) منازل في (تندحه) في شمـال عسير وجازان .

● ويذكر النقش اخيرا اسم المكان الذي دارت فيه رحى تلك الحرب فيسميه (العقبـة ذي رجز جزن) فاذا تذكرنا ان من قواعد الكتابة اليمنية القديمة حذف حروف اللين الصامتـة اذا جاء تـاثناء الكلمة ، وهي الالف اذا كانت غير مهموزة والياء والواو اذا كانا غير محركين فانه من الممكن ان ناخذ الجزء الاخير من التسمية وهو (جزن) ثم نضيف اليـه الفا صامتا بعد الجيم وآخر بعد الزاي فيصبح لدينا كلمة (جازان) فيكون هذا ـ على هذا الافتراض ـ هو اول ذكر لاسم هذه المنطقة ، ويمكن ايضا افتراض يـاء ساكن بعد الجيم بدلا عن الألف فيكون عندنـا الاسم (جيزان) وهو ايضا يطلق على المنطقة ، وهذه مجرد افتراضات والله اعلم .

نص النقش الثالث بالحُروف العربيّة

شفعثت / اشوع / وبنهو / زيدم / أيمن / بنو / همدن / وذفيشن / وسأرن...
... سمعي / ثلثن / ذحشدم / ربعن / ذريدت / هقنيو / مرأهمو / المقةثهون بعل اوم /
ذن / صلمن... لخرهمو / حظي / ورضو / مرأهمو / شمر / يهرعش / ملك / سبأ /
وذريدن / وحمدم / بذت / خمرهمو / هوفين / ومتعن / عبدهو / شفعثت / أشوع /
بن / همدن / وذفيش / وسأرن / بن / سبأت / سبأ / وهعنن / بعلى / عشر /
سفلن / ويأمم / وذقريت / وذأبن / وأرشم / بكن / حربو / أرض / حشدم / وهدركهمو /
بكورنهن / وهرجو / بنهمو / عشري / وثلث / مأتم / اسدم / بصنعم / وهقذو / كل /
سبيهمو / وملتهمو / وبن / سبأت / سبأو / عدي / تدحن / بعلى / عكم / وسبأت /
سبأو / عدي / عتود / وريمم / بعلى / دوأت / وأتوو / بن / كل / إلن / سبأتن /
بمهرجتم / وأحللم / وسبيم / وغنمم / وملتم / ذهرضو / البهمو / ولوزأ /
المقةثهون بعل اوم / خمرهمو / أأرخ / صدقم / وحظي / ورضو / مرأهمو / شمر /
يهرعش / ملك / سبأ / وذريدن / ولخرهمو / وفى / جريبت / عبديهو / شفعثت /
اشوع / وبنهو / زيدم / بني / همدن / وفيشن / وسأرن / ولخرهمو / أفقلم /
صدقم / عدي / أسرهمو / ومفنوتهمو / ومشيمتهمو / ولسعننهمو / بن / نضع..
.... شنأم / بالمقةثهون بعل أوم

نص النقش الثالث
بحروف المسند "كهالي ارياب/١٧

« شرح النقش الثالث »

ـ هذان هما (شفعثت اشوع) وابنـــه (زيد ايمن) المنتميان الى (همدان) و (فيشان) و (سأران) من اقيال سـ) بمعنى المثالثين لـ (ذي حاشد) والمرابعين لـ (ذي ريدة) .

وقد تقربا الى سيدهم (المقه ثهوان بعل اوام) بهذا الصنم .. ليمنحهما الحظوة والرضا عند سيدهم (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان) وحمدا له لمنه بالعودة بالسلامة على عبـــده (شفعثت اشوع) المنتمي الى (همدان) و (ذي فيشان) و (سـأران) من غزوة غزاها ضـد عشائر (سفلن) و (ويام) و (ذي قرية) و (ذي ابان) و (اراش) وذلك لانهم شنوا الغارات على ارض (حاشد) ولقد ادكوهم في (الكورين) فقتلوا منهم ثلاثمئة وعشرين قتيلا تقطيعا بالسلاح واستنقذوا ـ استعادوا ـ كل ما معهم من السبي وما معهم من الاموال .

ـ وهذا الحمد ايضا بمناسبة العودة ـ من غزوة غزاها الى (تندحان) ضد (عك) ، وغزوة اخرى غزاها الى (عتود) و (ريم) ضد (دوات) ولقد عاد من هذه الغزوات بمقتله للاعداء وبالسبي والغنائم والاموال التي ارضت قلوبهم .

وليستمر (المقه ثهوان بعل اوام) في منحه طوالع يمن ، مع الحظوة والرضا عند سيدهـــم (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان) ، وليمنحهم سلامة جسدي او شخصي عبديه (شعفثت اشوع وابنه زيد الهمدانيين) اصحاب (فيشان وساران) وليمنحنهم غلالا ومحاصيل جيدة عبر وديانهم ومراعهم ومدرجاتهم ، ولينفذنهم من شرور كل عدو حاقد بحق (المقه ثهوان بعل أوام) .

التعليقـات على :
« شرح النقش الثالث »

سبق لي ان علقت على هذا النقش كاملا في كتابي (في تاريخ اليمن) واستعيد من تلـك التعليقات بتصرف وبتصحيح لخطأ حصل فـي الكتاب حيث اشرت في آخر الصفحة الى نقشين لم يتم نشرهما :

- القيل (شفعثت اشوع) قيل كبير يمثل اتحادا حاشديا بكيليا فالاماكن التي يذكر انـه يمثلها هي اماكن بكيلية ولكنه يذكر حاشد ايضا ، ومن مظاهر علو شأن هذا القيل انه مذكور فـي نقشين آخـرين همـا (جـام / ٧٠٨ ، ٧١٣) ومسجلوهما هم من (مقتوبية) اي كبار قادته الذين يتولون قيادة جيوشه وهم يذكرونه فيهما وحده دون ذكر اي ملك ويتوسلون الى الإلـــه (المقه) ان يمنحهم حظوته ورضاه .

واسماء الأماكن والقبائل التي وردت في مقدمة النقش سبق لي تحقيقها هناك ، ولا حاجة للعودة اليها لانها لا تتعلق بالموضوع الرئيسي لهذا المقال ، اما في اواخر النقش فعاد الى ذكر بعض الأماكن والقبائل من منطقة (جازان) وما والاها فذكر (تندحان) و (عك) وقد سبق الحديـث عنها ، ولكنه ذكر جديدا وهو اسم الواديـــن (عتود) و (ريم) .

وعتود واد مشهور معروف باسمه اليوم ،

وقد وضعه (البرت جام) في احدى خرائطـه قريبا من خط العرض (١٨) شمال عسير وجازان وذكره العقيلي في كتابه ، كما ذكره الهمداني وقال انه مأسدة من المآسد كما ذكر انه واد صغير وذكره ايضا عند حديثه عن تهامة اليمن كما ذكـره ياقوت والبكري وغيرهما ، وكثير ممن يذكرونه يوردون بيتين من الشعر ورد فيهما ذكر عتـود احدهما قول بديل بن عبد مناف :

ونحن حمينا بين (بيض) و (عتود)

إلى (خيف رضوى) من مجر القبائل

وقول ابن مقبـل :

جـلوس بها الشـم الطـوال كانهـم

اسود (بترج) أو اسـود بـ (عتودا)

واقول حول هذا البيت : لا ادري لماذا منع اسم عتود من الصرف فجره بالفتح ، ويبدو انـه توهم فيه العلمية والعجمة وذلك لغرابة هـذه الصيغة اللغوية وهذا يفضي الى استطراد لغوي حول وزن هذه الصيغة .

اشارت كتب البلدان وكتب اللغة ايضـا إلى ان (عتود) هو : بالكسر فالسكون فالفتح آخره دال مهملة وحصرت ماجاء على هذه الصيغة بـ (عتود) و (خِرْوَع) و (عِتور)و (ذِرود) واضاف القاضي محمد بن علي الاكوع (فِرْوَع) اسم جبل وقرية من مخلاف بعدان ، واضيف الى ذلك (الذِّرْوَع) اسم ذات لبقعة عندنا في اريان من بني سيف العالي هي عبارة عن شعب فيه قطع زراعية صغيرة .

واظن ان المسألة هي مسألة لغوية ، ولهذا اورد اولاً ما قاله ابن منظور في لسان العرب في اخر مادة (عتد) قال : « .. وعِتْوَد : اسم وادٍ ، وليس في الكلام فِعْوَل غيره وغير خروع . »

واقول ا ان هذه الصيغة (فِعْوَل) في (عتود) وغيره القليل مما استقصوه ربما يكون صيغـة من صيغ الجمع ، وهذه الصيغة موجودة في اللهجة اليمنيه ، فكل لفظ مفرد يكون وزنه على (فَعِيل) بفتح فكسر فسكون او على (فَعِل) بفتح فكسر يكون جمعـه عندنا على وزن (فِعْوَل) بكسـر فسكون ففتح زنة (عتود) تماما ومن ذلـك ما يلـي :

مفـرد	جمـع
طريق	طِروَق
سبيل	سبول (سقاية لها وقف لشـرب الناس)
نقيل	نقول (وهو الطريق المصعدة في الجبل وفي النقوش يسمى منقل)
عسيب	عسوب (غمد الخنجر الشائع او الخاص برجال القبائل) .
شريم	شروم (منجل)
عطيف	عطوف (فاس) .
كريف	كروف (بركة تتجمع فيها ميـاه الأمطار) ·
خريف	خروف .
حبيل	حبول (لسان ممتد بين سفـح الجبل) .
صميل	صمول (دبوس أو عصا قصيرة غليظة طرفها مكور) .
صفيف	صفوف (رف في البيت توضع عليه الأشياء أو لتعشيش الحمام)
عكيف	عكوف (نوع قديم من اغمـدة

مفـرد	جمـع
	الخناجر)
بـرك	بـروك .
عـرم	عـروك (حاجز ترابي وتقول في الطريق الترابي اذاتخدد بالعرض : كلـه عـروم) .

وغير ذلك كثير ، فلو تصورنا ان هنالك لفظ مفرد من (عِتود) وهو (عَتِيد) أو (عَتِد) فان جمعه عندنا سيكون (عتود) بصيغة اسم هذا الوادي العتيد تماما ، واضيف اننا نصـف النبع الجاري طوال السنة بكلمة (عتَد) فنقول: هذا (غيل عتَد) لا ينقطع جريانه ، ولكن هـذه الكلمة ليست على وزن فعل بفتح فكسر بل هي على وزن فعل بفتحتين وهذا الوزن لا يجمع على فعول لانه (عتود) ، ولكن لنتصور ان لدينـا واديا فيه اكثر من نبعدائم الجريان واردنا ان نطلق عليه اسم ذات صفة مياهه العتد التـي لا تنقطع فان اول صيغة جمع لكلمة عتد تتبـادر الى السنتنا هي صيغة (عَتَدَات) ، وهي صيغة ثقيلة على الالسن صعبة النطق ، ولعل الاقدمين نظروا الى ذلك فجمعوا (عتَد) على (عتـود) واطلقوه اسمالذلكالوادي،وهذا رايِ اكتبهمن بعيد وعلى غير معرفة بالوادي ، ولكنني اردت ان اقول ان صيغة فِعوَل بكسر فسكون ففتح هي صيغة من صيغ الجمع المالوفة في لهجتنا ، وهي فيما يبدو لهجة قديمة ولكنني لم اجد ما يؤيدها من نقوش المسند الاجمع (خريف) على (خِروَف) وهذا رغم تفرده مؤشر كاف .

واتطرق ايضا الى كلمة (خروع) التي لم يجد ابن منظور في جميع كلام العرب غيرها كشان لكلمة (عتود) فاقول : ان هذه ايضا اسم جمع اي انها بصيغة الجمع كاسم لنوع هذا الشجر ، قال ابن منظور : « .. الخرَع بالتحريك ، الرخاوة في الشيء ، خَرِع خرعا وخـــراعة فهو خَرِع وخَرِيع . ومنه قيل لهذه الشجرة : الخـــروع لرخاوته » وكان الاصح ان يقول : ومنه قيل لهذا النوع من الشجر الخروع وواحدته خِروَعة ، ومن هنا نرى ان الاسم (خروع) هو على صيغة الجمع للصفة التي ذكرها ابن منظور وهـــي (خَرِع وخريع) وجمعها خروع مثل بـــرك وطريق وجمعهما بروك وطروق .

● ثم يذكر النقش وادي (ريم) وهو واد معروف باسمه اليوم في منطقة جازان ، ويقـع بين واديي (عتود) و (عرمرم) ذكره العلامـة العقيلي في حرف الراء ورسم خريطة تبين موقعه ، وذكره العلامة حمد الجاسروقد عده من وديـان ديار (المع) وقبل ذلك ذكره الهمداني فقال « .. ثم ريم وعرمرم ومأتيهما من اشراف بلد سنحان وجنب . الصفة ص ١٢٦ » وريم هذا يميز عن ريم اسم واد آخر بأن يقال للأول ريم عرمرم / الصفه ص ٣٣٤ .

● واخيرا يذكر النقش قبيلة (دواءة) وهي مجهولة في المراجعالعربية ويبدو اسمها على شيء من الغرابة مثل (سهرة) ولعله ينطبق عليها مـا سبق ان قلته عن السهرة ، وقد نص النقش على ان (شوف عثتر ــ شفعثت) قد نازلهم عنـد واديي (عتود) و (ريم) ، اما (جام) فجعل منازلهم جنوب تلك الامكنة على جانبـــي وادي (خلب) ولذلك وجه فقد كانت هذه القبائل تتقدم وتتاخر بحسب اوضاع القتال .

نص النقش الرابع بالحروف العربيّة

ابكرب / يهـ ... ذ سردد / ونجبن / مقتوى / شمر / يهرعش / ملك / سبأ /
وذريدن / بن / يسرم / يهنعم / ملك / سبأ / وذريدن / هقني / المقه ثهون
بعل أوم / صلمن / ذ صرفن / وصلمنهن / ذ ذهبن / حمدم / بذت / هعن /
ومتعن / المقه ثهون بعل أوم / جرب / عبدهو / ابكرب / بن / حلظ / حلظ /
بوسط / هجرن / مرب / بملئ / ثمنت / أورخم / وخمر / المقه ثهون بعل أوم /
عبدهو / أبكرب / متعن / جربهو / بن / هوت / حلظن / وحمدم / بذت / هوفى /
المقه / عبدهو / أبكرب / بأملأ / ستملأ / بعمهو / بكن / سبأو / وشوعن /
مراهمو / شمر / يهرعش / ملك / سبأ / وذريدن / بن / يسرم / يهنعم /
ملك / سبأ / وذريدن / بكن / سبأو / وضبأ / عدي / سهرتن / بعلى /
أشعب / سهرتم / وذوأت / وصحرم / وحرت / بكن / حربهمو / مراهمو / شمر /
يهرعش / بسرن / ذضمد / وهوكبهمو / بعلى / عكوتنهن / بكنف / شامت /
عدي / حملهمو / بجرن / وعددو / بعدهمو / وهرجهمو / بوسط / بجرن / وحمدم /
بذت / خمر / عبدهو / ابكرب / هرج / ثلثت / أسدم / بصنعم / وثنى / اخذن /
وسبيم / وغنمم / ذهرضوهو / ولوزأ / المقه / خمر / عبدهو / ابكرب / مهرجم /
وغنمم / الهنمو / يسبأن / وشوعن / مراهمو / ملكن / ولخمرهو / حظى / ورضو /
مراهمو / شمر / يهرعش / ملك / سبأ / وذريدن / بن / يسرم / يهنعم /
ملك / سبأ / وذريدن / ولخزينهمو / بن / بأستم / ونكيتم / ونضع / وشصي /
شنأم / بألمقه ثهون بعل أوم .

(شرح النقش الرابع)

ـ هذا هو ـ (ابو كرب يهـ ..) ذو (سردد) و (نحبان) من كبار قادة (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان) وقد تقرب الى (المقه ثهوان بعل اوام) بصنم ذي صرف وصنمين ذي ذهب حمدا لان (المقه ثهوان بعل اوام) اعـان وانقذ جسد او شخص عبده (ابي كرب) من مرض مرض به في وسط مدينة (مارب) لمدة ثمانية اشهر كاملة ، ولكن الاله (المقه ثهوان بعل اوام) منّ ومنح عبده (ابا كرب) النجاة من هذا المرض .

وحمدا لـ (المقه) لانه حقق لعبده (ابـي كرب) الآمال التي املها منه وذلك حينما كـان قد غزا مشايعا لسيدهم (شمر يهرعش ملـك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان) في كل الغزوات والحروب التي وصلوا بها الى (السهرة) ضد قبائل (سهرة) و (ودوات) و (صحار) و (حرة) وذلك حينما حاربوا سيدهم (شمر يهرعش) في وادي (ذي ضمد) فأكبهمو ودحرهم الى (العكوتين) بكنيف شامة ـ الشمال ـ حتى اركبهم البحر ولكنه ركبه بعدهم وقتلهم في وسط البحر .

وحمدا ـ للاله المقه ـ لانه منّ على عبده (ابي كرب) بقتل ثلاثة مقاتلين ـ قتلهم بنفسه ـ بضما بحد السيف كما اسر اثنين منهم مع السبي والغنم الذي ارضاه .

وليستمر (المقه) بمنح عبده (ابي كرب) مقتلة للاعداء والغنم ايضا يغزون مناصرا سيدهم الملك ، وليمنحنه الحظوة والرضا عند سيدهم (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهنعم ملك سبا وذي ريدان) وليجنبنهم من جميع شرور الأعداء الحاقدين بحق (المقه ثهوان بعـل اوام) .

التعليقات علـــى :
(شرح النقش الرابع)

(١) ابو كرب الذي لم نعرف لقبه لانطماس في النقش ، هو من الاذواء فهو ذو (سرددونحبان)، وليس له فيما بين يدي من النقوش الا هــذا النقش ، اما (سردد) فاذا كان المراد به الوادي المعروف باسمه اليوم فهو واد مشهور مذكور في المراجع العربية ، واما (نحبان) فلم يذكر الا في هذا النقش ولم اجد له فيما لدي من المراجع العربية اي ذكـر .

● اما اهم مكان يذكره هذا النقش فهـو (العكوتان) وهما جبلان معروفان في منطقـة (جازان) حتى اليوم ، وارجح انهما (العكوتان) اللتان ذكرهما العقيلي اولا فقال « .. العكوتان : جبلان شرقي صبيا ، احدهما يعرف بـ (عكوة اليمانية) وآخر بـ (عكوة الشامية .. » والنقش ذكر العكوتين معا ونص على انهما في جهة الشمال اما العكوتان الأخريان اللتان ذكرهما الاستـاذ العقيلي فهما ابعد عن البحر والنقش يذكر ان (ابا كرب) حملهم على مغادرة العكوتين وركـوب البحر فرارا ولكنه تبعهم حيث انزل بهم القتل في ثبج البحر ، واورد كلام ياقوت عنهما وصحح له ضبط الكلمة ومكان العكوتين واورد قوله ان

من احداهما (عمارة بن ابي الحسن الشاعر اليمني) واورد قول ياقوت : « .. واهلها باقون على اللغة العربية الى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم انهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مناكحة ، وهم اهل حضر لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه » ولعل ياقوت يعني قبيلة (حكَم) بالذات فهي مشهورة بالفصاحة والمحافظة على قواعد اللغة العربية ، ومن امثلة ذلك ان عمارة اليمني حينما هاجر من (الزرائب) في بلاد (حكم) الى (زبيد) طلبا للعلم كان يتكلم بلغة عربية فصيحة ، حتى ان بعض مشائخه في زبيد كانوا يقسمون ان هذا الغلام سبق له أن درس اللغة العربية على يد مشائخ كبار ، وبقيت شهرتهم بالفصاحة الى هذا القرن فقد سمعت ممن اثق به أن سائحا عربيا زار منطقة شمال تهامة قبل بضعة عقود من الزمن ، وكان يلبس نظارة على عينيه فمر بطفلين يرعيان الغنم فأثارت النظارة استغراب الطفلين فقال احدهما لصاحبه : انظر .. انظرالى الدرتين . فقال الثاني : نعم .نعم على عينيه درتان ، ونحن في اليمن حتى اليوم نطلق على **الشعر العمودي الفصيح اسم (الشعر الحكمي)** بفتح الحاء تمييزا له عن (الشعر الحميني) وهو الملحون ، وتذكر المراجع ثلاث شطرات من الرجز جاء فيها ذكر (عكوتين) وهي قول الراجز يخاطب عينه :

إذا رايتِ جبلي عكاد وعكوتين من مكانِ باد

فابشري يا عين بالرقادِ

• • •

« شـرح النص »

ـ هذان هما القيلان ـ (ابو شمـراولط) و (رفا اشوع(١)) المنتميـان الى (ذي حفن) و (ذي ذنم(٢)) ـ الذين يكون منهم ـ اقيال قبيلة (ايفع(٣)) وهما يتقربـان الـى سيدهم (المقه ثهوان بعل اوام) بصنم ذي ذهب(٤) وفاء بنذر سابق ، حمداً له لانه اعاد عبديه (ابوشمر) و (رفا) بسلام من كل الحروب والغزوات التي ناصرا بهـا سيدهـم (شمريهرعش ملـك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنة) ، والتي وصلوا بها الى ارض (خولا الـددان(٥)) ولقـد امره سيده (شمريهرعش) بانشـاء وقيـادة حامية عسكرية .

(شرح النقش الخامس)

ـ هذان هما ـ (ابو شمراولط) و (رفا اشوع) ابنا (ذي حفن) و (ذي ذنم) مـن اقيال القبيلة (ايفع) .

وقد تقربا لسيدهم (المقه ثهوان بعل اوام) بصنم ذي ذهب وفاء بنذر نذراه ليحمداه به لانه اعاد عبديه (ابو شمر) و (رقاء) بسلام من كل غزوة وغارة شايعا بها بها سيدهما (شمريهرعش ملك سباوذي ريدان وحضرموت ويمنة) والتي وصلوا بها الى ارض (خولا الددان) .

ولقد امره سيده (شمر يهرعش) بوضع حامية لحراسة مدينة (صعدة) ولردع عشائر (خولان الددان) بعد محاربتهم للملك .

وبعد ذلك فإنه ـ ومن معه ـ قد انطلقوا في غزوة ضد عشائر سنحان في وادي (دفـا) ولقد منّ عليه (المقه) بمحمـدة ومقتلة للاعداء وبالاسرى والسبايا والاموال والمغانم الجيدة جدا ـ عيس ـ

ـ وحمدا للاله المقه ـ لانهم غزوا وانطلقوا مع اقيال امرهم سيدهم (شمريهرعش) لمحاربة (السهرة) وحاربوا منهم عشير (نشدإيل) ، في وادي (عتود) من الجهة الشمالية ، ولقد حمدوا القوة والمقدرة الخارقة للاله (المقه ثهوان بعـل اوام) بما منّ به على عبديه (ابي شمر) و (رفاء) المنتميين الى (جفن) و (ذنم) من الغنائم ومـن الأسرى والسبايا والمغانم الجيدة جدا ـ عيس ـ

وليستمر (المقه ثهوان بعل اوام) في منحهم الاولاد الصالحين مع سلامة الحـواس والقوى والحظـوة والرضـا عنـد (شمريهرعش مـلك سبأ ذي ريدان وحضرموت ويمنة) ، مع الثمار الجيدة والمواسم الكريمة المطيرة التي ترضيهم بحق (المقه ثهوان بعل اوام) .

التعليقـات علـى : « شـرح النص الخامس »

● صاحبا هذا النقش وهما (ابوشمراولط) و (رفا اشوع) هما على الارجح صاحبا النقش رقم/٣ في الملحق (ب) من كتاب (في تاريخ اليمن) رغم وجود بعض الاختلافات في الالفـاظ ، ففي النقش الذي نشرته في الملحق المذكور تأتي الديباجة او مقدمة النقش كما يلي :

(ابو شمراولط) واخـوه (رفا اشوس)

اللهجات اليمنية القديمة
وعلاقتها باللسان العربي

د . جعفر دك الباب
كلية الآداب - جامعة دمشق

أولا ـ السامية والساميون* :

صنف علم اللغة المقارن اللغات في أسر بحسب قرابتها ٠ وصنفت اللغة العربية في أسرة اللغات السامية ٠ ويعمد بعض العلماء الى توحيد اللغات السامية والحامية في أسرة واحدة يسمونها أسرة اللغات السامية ـ الحامية ٠ ولم يتم تاريخيا اثبات وجود اللغة ـ الاصل أو الام لكل أسرة ٠ وتم الاكتفاء بافتراض وجود اللغة الاصل ووصف صفاتها العامة المستنبطة من التشابه بين اللغات التي تدخل في كل أسرة لغوية ٠

تبنى المؤرخون فرضية اللغة الاصل وافترضوا بدورهم وجود شعب تكلم بها ٠ وعليه فان افتراض وجود لغة سامية أصل استوجب بالتالي افتراض وجود الشعب السامي الذي تكلم تلك اللغة ٠ ولكن أين موطن ذلك الشعب السامي ؟ وهل تشكل السامية جنسا متميزا ؟ يقول الدكتور فيليب حتي حول موطن الجنس السامي ـ الحامي مايلي : « وهذا يجعل افريقية الموطن المرجح للجنس السامي الحامي ، والجزيرة العربية المهد للشعب السامي والمركز الذي تفرعوا منه ٠

أما الهلال الخصيب فهو مربع الحضارة السامية »(١) ٠ ويشير الدكتور جواد علي الى ان السامية ليست عرقاً فيقول :

« السامية ليست رسا بالمعنى المفهوم من الرس عند علماء الاحياء ، أي جنس له خصائص جسمية وملامح خاصة تميزه عن الاجناس البشرية الاخرى ٠ فبين الساميين تمايز وتباين في الملامح وفي العلامات الفارقة يجعل اطلاق (الرس) عليهم بالمعنى

---

* للتوسع في الموضوع ارجع الى مقالتنا « السامية والساميون ـ العرب والعربية » المنشورة في مجلة (الموقف الادبي) بدمشق ، العدد ١١٧ ، كانون الثاني ١٩٨١ .

العلمي الحديث المفهوم في علم الاجناس أو الفروع العلمية الاخرى نوعا من الاسراف واللغو . كما أننا نرى تباينا في داخل الشعب الواحد من هذه الشعوب السامية في الملامح والمظاهر الجسمية »(٢) .

ان الاسس الغوية التي نتبناها تنبع من تقاليد علم اللغة العربية التي استنطبناها لدى دراسة تاريخ الابحاث اللغوية العربية في ضوء النظريات اللغوية الحديثة . وتستند بالتحديد الى اتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية الذي بلوره ابن جني وعبد القاهر الجرجاني في نظريتين متتامتين (٣) .

يتميز اتجاه مدرسة أبي على الفارسي اللغوية بالانطلاق من مفهوم منظومي للغة ، يأخذ بمبدأ الثنائية ويقوم على الوحدة التي لاتنفصم بين الشكل والمضمون وعلى التلازم بين اللغة والتفكير .

ويتجلى التتام بين نظريتي ابن جني والجرجاني في الربط بين الدراسة التزامنية للغة التي تقدمها نظرية الجرجاني(٤) وبين الدراسة التطورية للغة التي تقدمها نظرية ابن جني . فقد أكدت نظرية ابن جني أن اللغة لم تنشأ دفعة واحدة ، في حين أكدت نظرية الجرجاني على ارتباط نشأة اللغة بالتفكير . ويظهر من التتام بين النظريتين أن اللغة قد نشأت وتطور نظامها واكتمل تدريجيا بشكل مواز لنشأة التفكير الانساني وتطور نظامه واكتماله .

لذا فاننا نأخذ بالمنهج البنيوي الوظيفي الذي لايكتفي بمجرد وصف الشكل وتحديد البنى الظاهرية للظواهر اللغوية ، بل يعمد الى الكشف عن البنى العميقة لها ، ويبين ارتباط خصائص البنية اللغوية بالوظائف التي تؤديها في الكلام . كما نتمسك بالمنهج التاريخي العلمي لدى دراسة تاريخ اللغة الذي يقضي قبل كل شيء بضرورة الاستناد الى مادة لغوية للغات موجودة الآن فعلا أو ثبت أنها كانت موجودة وليست مفترضة الوجود فقط . كما يقضي المنهج التاريخي العلمي باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية ترتبط بالتفكير منذ نشأتها ، وتؤلف نظاما متعدد المستويات في حركة مستمرة وتجب دراسته في وضعه الراهن (المتزامن) وفي تطوره في آن واحد .

اننا – اذ نتمسك بالمنهج التاريخي العلمي – نرفض القول بوجود الشعب السامي ، اذا كان ذلك القول يستند فقط الى افتراض وجود لغة سامية – أصل .

كما نرفض القول بوجود علاقة بين اللغة والخواص العرقية .

من المعروف أن اللغة العربية «الشمالية» لم تبدأ في الظهور كتابيا الا كآخر لغة سامية على الاطلاق . وعلى الرغم من ذلك يؤكد علماء الساميات انه لايمكن الاستغناء عن العربية لدى كل دراسة لغوية مقارنة للساميات ، وانها ضرورية لتحديد مزايا اللغة السامية الام التي يفترض وجودها نظريا . ان المنهج المقارن في دراسة اللغات

من الافضل كتابتها بالحروف العربية لانها أكثر ملائمة من الحروف العبرية لخصائص البنية اللغوية للعربية الجنوبية ٠

يقول الدكتــور فيليب حتي « يجـب علينا أن نفرق بين عرب الجنـوب وعـرب الشمال الذين يشملون أهـل نجـد في أواسط الجزيرة ٠ وكما أن سطح الجزيـرة ينقسم الى منطقتين شمالية وجنوبية تفصل بينهما صحراوات غير مطروقة ، كـذلـك ينقسم سكانها الى جماعتين تتمايز الواحدة عـن الاخرى ٠ وعرب الشمال في الغالب من البدو ويعيشون في بيـوت مـن الشعـر في نجـد والحجاز ، أما عرب الجنوب فأكثرهم مـن الحضر يقطنون اليمن وحضرموت وماجاورها من السواحل ٠ ولغة الشمال هي لغة القرآن أي اللغة العربية المعروفة أما أهل الجنوب فلقد كان لهم لغة سامية قديمـة - لغـة سبأ وحمير - وهي تمت الى اللغة الحبشية بصلـة ٠ وعـرب الشمـال علـى الغالـب مستطيلـو الاقحـاف ، أما بنـو الجنـوب فمستديروهـا عمومـا ٠ لذلـك فالاواصـر الجنسيـة تربـط الشمال بأقـوام البحـر المتوسط ، بينما يرتبط الجنـوب بالنـوع الالبي المعروف في آسيا بالارمناوي أو الحبشي أو العبراني وهو يمتـــاز بسـعة الفك وقنو الانف وانبساط الخدين وغزارة الشعر (١٠) »٠

هذا وقد عمـــد بعض اللغويين العرب الى التأكيد على أن لغات اليمن القديمـــة مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة العربيـــة وتؤلف معهـــا ومـــع اللغـــات الحبشـــية السامية شعبة لغوية واحدة هي الشعبـــة السامية الجنوبية (١١) ٠ في حين عمد لغويون آخرون الى دفع تلك الشبهة وأكدوا أنه لم يكن في جزيرة العرب الا لسان عـربي واحد يتكلمه أهل الشمال وأهل الجنوب على حـد سواء ، وأن الاختلاف بين لهجاته لم يكـن أوسع مما تجيزه وتقبلـــه قوانين اللغة بين لهجات اللسان الواحد (١٢) ٠

ويشير الدكتور جواد علي الى أن «كل لغات العرب هي لغات عربية وان اختلفت وتباينت ٠

وما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم الا لغة واحدة من تلك اللغات ، ميزت مـن غيرها ، واكتسبت شرف التقدم والتصدر بفضل الاسلام وبفضل نزول الكتاب بهـــا فصارت (اللغة العربية الفصحى) ولغـة العرب أجمعين ٠ وحكمنا هذا ينطبق علـى النبط أيضا وعلى من كان على شاكلتهم، وان عدهم علماء النسب والتاريخ واللغـة والاخبار من غير العرب وأبعدوهم عن العرب والعربية (١٣) ٠٠»٠

وسنتوقف لمناقشة هذه الفكرة التـي طرحها الدكتور جواد علي ٠ كانـت لفظـة (لغـة) تستعمـل بمعنى لهجـة ، فيقـال لغات قريش وهذيل وثقيف ٠٠ ويقصد بذلك لهجاتها ٠ وبما أن النبي الكريم من قريش، ساد الرأي القائل بأن القرآن الكريـم نزل

بلغة قريش بشكل أساسي واشتمل على بعض الالفاظ بلغات أخرى ٠ وبما أن جميع العرب أقروا بأن لغة القرآن هي في أعلى درجة من البيان واعتبروها قمة في الفصاحة والبلاغة ، نادى اصحاب هذا الرأي بأن لغة قريش هي العربية الفصحى وأنها لذلك سادت وابتلعت اللغات الاخرى ٠ وبما أن لغة قريش من اللهجات الشمالية ، زعم بعض المستشرقين أن لهجات الشمال كانت في العصور القريبة من ظهور الاسلام ذات سلطان قوي ونفوذ واسع وابتلعت اللهجات الجنوبية واحدة تلو الاخرى ٠ ولكن هؤلاء المستشرقين لم يشرحوا الاسباب اللغوية التي جعلت لهجات الشمال تبتلع لهجات الجنوب ٠

ان التمسك بالمنهج التاريخي العلمي لدى دراسة المادة اللغوية للعربية يدعونا الى تركيز الاهتمام على الخصائص البنيوية المميزة للنظام اللغوي للعربية ، لأنها تشكل نقاط علام يمكن ان ترشدنا الى التاريخ الحقيقي للغة العربية ٠ لذا فاننا نؤكد **على الاهمية العلمية الكبيرة لاقتراح الدكتور جواد علي بتقسيم العربيات الى ثلاث مجموعات حسب أداة التعريف (١٤) المستخدمة فيها :**

١ ـ مجموعة (ال) وتشمل ما اصطلح على تسميته العربية الشمالية (أداة التعريف في أول الاسم) ٠

٢ ـ مجموعة (ن) أو (ان) وتشمل ما اصطلح على تسميته العربية الجنوبية (أداة التعريف في آخر الاسم) ٠

٣ ـ مجموعة (هـ) أو (هـا) وتشمل ما اصطلح على تسميته اللحيانية والثمودية والصفوية (أداة التعريف في أول الاسم)٠

لقد أحسن الدكتور جواد علي صنعا حين ميز العربيات حسب أداة التعريف المستخدمة فيها ، لان النظريات اللغوية الحديثة في دراسة الساميات متفقة جميعها على وجود أداة للتعريف ، ولكنها لاتتفق حول وجود أداة للتنكير ٠ وقد عرض الاستاذ غراتشيا غابوتشان تلك النظريات المختلفة في كتابه « نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي (١٥) ٠ وذكر فيه أن نظام الاداة حسب نظرية ي ٠ كوريلوفيتش يفترض وجود معارضة أساسية يتم التعبير عنها بصيغتين :

اسم مع أداة التعريف ، واسم دون أداة التعريف ٠

ثالثاً ــ اللغة العربية الفصحى

تدخل لغة القرآن الكريم في مجموعة (ال) ٠ وسنستعرض فيما يلي المزاياالتي تتمتع بها مجموعة (ال) من حيث الفصاحة والبلاغة ، اذا ما قورنت بمجموعتي (ن) و (هـ) ٠

وننطلق في تحديد مفهوم الفصاحة والبلاغة من نظرية الامام عبد القاهر الجرجاني التي اشتمل عليها كتابه .

« دلائل الاعجاز في علم المعاني(١٦) »

تتضمن نظرية الجرجاني المبادىء التالية :

١ ـ الالفاظ أوعية للمعاني وخادمة لها ، والفصاحة تكون في المعنى ،

٢ ـ تحدث الفصاحة في الكلم بعد التأليف أي بعد ضم بعضها الى بعض في الجملة ، واللفظة قد تكون في غاية الفصاحة في موضع ، بينما لايكون فيها بعينها من الفصاحة قليل أو كثير في مواضع عديدة ،

٣ ـ معنى الفصاحة في أصل اللغة هو الابانة عن المعنى ، وحين توصف الالفاظ المفردة بالفصاحة فالمقصود بذلك أنها في اللغة أثبت وفي استعمال الفصحاء أكثر أو أنها أجرى على مقاييس اللغة وقوانينها ،

٤ ـ لانظم ولا ترتيب للكلم حتى يتعلق بعضها ببعض ، ولابد في النظم من أن تتلاقى معاني الكلمات على الوجه الذي يقتضيه العقل ،

٥ ـ يجب أن يتم النظم وفق قوانين النحو ومعاني النحو هي المعاني ذات الدلالات العقلية ، والمهم معرفة مدلولات النحو وليس العبارات أنفسها ،

واستناداً الى نظرية الامام الجرجاني اللغوية ، يمكن تعريف اللغة الفصحى بأنها اللغة التي تشتمل على نظام لربط الكلمات بعضها ببعض ، وفقاً لمقتضيات دلالاتها العقلية التي تتضمنها قواعد النحو ، يمكنها بالشكل الايسر والأفضل من أداء وظيفة الاتصال .

وحول تحديد معاني الكلام تتضمن نظرية الجرجاني اللغوية المبادىء التالية :

١ ـ الكلام خبر وأمر ونهي واستفهام وتعجب ،

٢ ـ الخبر وجميع معاني الكلام توصف بانها مقاصد وأغراض وأعظمها شأنا الخبر ،

٣ ـ يتحدد معنى الخبر بتأثير عاملين :

أ ـ السياق الكلامي الفعلي الذي يدخل الخبر فيه ،

ب) الموقف أو الحال الذي يقال الخبر فيه ،

٤ ـ إن ارتباط الخبر بالسياق الكلامي الفعلي الذي يدخل فيه يتجلى في أن المخبر به اذا كان اسما يجب ان يكون نكرة لانه لم يذكر في السياق الكلامي من قبل ، كما يتجلى في أن الاسم المخبر عنه يجب أن يكون معرفة لانه قد ذكر من قبل في السياق الكلامي ،

وعليه فان الاسم الذي يشتمل على أداة التعريف ـ هو في الاصل ـ الاسم الذي ذكر سابقا في السياق الكلامي الفعلي ، أما الاسم الذي يشتمل على أداة التنكير فهو ـ في الاصل ـ الاسم الذي لم يذكر سابقا في السياق الكلامي الفعلي ،

٥ ـ أما ارتباط الخبر بالموقف أو الحال

الذي يدخل فيه ، فيتجلى في أن معنى الخبر ينقسم ، تبعا لحاجة السامع ، الى نوعين :

أ ـ خبر ابتدائي ، هو الذي يذكر فيه المخبر به أمام السامع للمرة الاولى ٠

ب ـ خبر غير ابتدائي ، وهو الذي يذكر فيه المخبر به أمام السامع للمرة غير الأولى ٠

وعليه فان **اللغة الفصحى يجب أن تتمتع ايضاً بخواص بنيوية في مجال (التعريف والتنكير) تمكنها بالشكل الأيسر والأفضل من أن تعكس ارتباط الأسماء بالسياق الكلامي الفعلي الذي يدخل الخبر فيه ٠**

وفي ضوء هذا الفهم للغة الفصحى ، سنعمد الى الموازنة بين المجموعات العربية الثلاث التي صنفها الدكتور جواد علي ٠

أ ـ مجموعة (ن) :

١ ـ تتميز بوجود أداة التعريف (ن) التي تثبت كتابياً في آخر الاسم ، وبوجود أداة التنكير (م) التي تثبت كتابيا في آخر الاسم ٠

٢ ـ تتألف أبجدية المسند من حروف تشير الى الاصوات الصامتة ، وليس فيها رموز تشير الى الحركات أو ضبط أواخر الكلمات ، ولا علامة للسكون أو التشديد فيها ٠

لذا لا ندري كيف كانوا يحركون أواخر الكلم ٠ ويتوقف على معرفة هذه الحركات التأكد من وجود الاعراب أو عدمه ٠

ب ـ مجموعة (هـ) :

تتميز بوجود أداة التعريف (هـ) في أول الاسم ٠ ولا تثبت فيها كتابيا أداة خاصة للتنكير ٠

٢ ـ لانستطيع أن نجزم بوجودالاعراب فيها ، لان الاقلام الصفوية والثمودية واللحيانية ـ مثل القلم المسند ـ خالية من الشكل ومن الرموز أو الحروف التي تشير الى المدّ أو التشديد أو الاشباع أو الامالة ٠

جـ ـ مجموعة (ال) :

١ ـ تتميز بوجود أداة التعريف (ال) التي تثبت كتابيا في أول الاسم ، وبوجود أداة التنكير (ن) في آخر الاسم ولكنها في الاصل لاتثبت كتابيا ٠

٢ ـ تتألف أبجديتها من حروف تشير الى الأصوات الصامتة ٠ وبعد أن تطورت أصبحت تشتمل على رموز تشير الى الحركات والسكون والتشديد والتنوين ٠

ان هذه المجموعة معربة وتشتمل على حركات الاعراب ٠ وتعمد الى نطق أداة التعريف في بداية الاسم لتشير بذلك الى أن الاسم الذي يليها قد ذكر في السياق الكلامي السابق ، كما تعمد الى نطق أداة التنكير في آخر الاسم لتشير بذلك الى ان هذا الاسم الذي سبقها في النطق لم يذكر في السياق الكلامي من قبل ٠

ولدى الموازنة بين المجموعات الثلاث ، نرى أن مجموعة (ال) تتفوق على مجموعتي

(ن) و (هـ) **من حيث الفصاحة والابانة عن معاني الكلام بما يلي :**

١ ـ مجموعة (ال) معربة وتشتمل على حركات الاعراب ، بينما لانستطيع بمعلوماتنا الراهنة أن نجزم بوجود الاعراب في مجموعتي (ن) و (هـ) لاننا لانعرف كيف تلفظ الكلمات المنقوشة بأحرف تمثل الصوامت فقط · ولكن الموقف سيتغير بالتأكيد ، اذا اعدنا دراسة مجموعتي (ن) و(هـ) باعتبارهما تمثلان لهجات من اللسان العربي الواحد ، وانطلاقا من الخصائص المميزة للنظام الصوتي لهذا اللسان العربي الواحد · وحين نتأكد في ضوء ذلك من أن اللهجات التي تدخل في مجموعتي (ن)و(هـ) غير معربة ، سنتمكن من اكتشاف نظامها الذي يتم بواسطته التعبير عنربط الكلمات في الجملة ·

٢ ـ مجموعة (ال) تشتمل على أداة التعريف (ال) في أول الاسم وتثبيتها في الكتابة ، كما تشتمل على التنوين في آخر الاسم ولا تثبته في الكتابة · ويفيد التنوين التنكير بالنسبة لغير اسماء العلم ·

أما مجموعة (ن) فتشمل على أداة التعريف (ن) في آخر الاسم وتثبتها كتابيا ، وعلى أداة التنكير (م) في آخر الاسم وتثبتها كتابياً · وكنا قد بينا أعلاه أن الاسم الذي يشتمل على أداة التعريف هو ـ في الاصل ـ الاسم الذي ذكر سابقا في السياق الكلامي الفعلي ، وأن الاسم الذي يشتمل على أداة التنكير هو ـ في الاصل ـ الاسم الذي لم يذكرسابقا في السياقالكلامي الفعلي · وعليه فان وجود أداة التعريف في الموضع السابق للاسم ينبه الى أنه قد ذكر سابقا وهو بالتالي معرفة ، وهذا ماسلكته مجموعة (ال) · في حين أن عدم وجود أداة للتعريف في الموضع السابق للاسم يشيرالى انه لم يذكر سابقا ، وتأتي أداة التنكير في الموضع اللاحق للاسم لتؤكد أنه نكرة ـ اذا لم يكن اسم علم ـ وهذا ما سلكته مجموعة (ال) ·

أما مجموعة (ن) فتركت الموضع السابق للاسم فارغاً ووضعت أداة التعريف (ن) وأداة التنكير (م) في الموضع اللاحق للاسم ·فكانت بذلك أقل ـ من مجموعة (ال) ـ افصاحا في التعبير عن ارتباط الاسم بالسياق الكلامي الفعلي · هذا وخصصت مجموعة (هـ) الموضع السابق للاسم لأداة التعريف (هـ) ، ولكننا لانعرف هل يشتمل الموضع اللاحق للاسم على أداة تنكير أم لا·

نخلص من هذه الموازنة الىأن مجموعة **(ال) تتمتع بخواص تشير الى تفوقها في مجال التعبير عن التعريف والتنكير ، وفي مجال التعبير عن ارتباط الكلمات في الجملة بواسطة الاعراب · وبسبب هذه المزايا سميت مجموعة (ال) بالفصحى لأنها أقدر على الافصاح والابانة ·**

ويعني ذلك أن اللغة العربية الفصحى ليست لهجة قبيلة عربية معينة (١٧) ـ كما

يظن كثير من الباحثين - بل هي اللغة العربية التي تشتمل على مجموعة من الخصائص تعكس طوراً حديثاً من أطوار اللسان العربي ۰ وأرى أن المجموعات الثلاث : مجموعة (ن) التي اصطلح على تسميتهاالعربية الجنوبية ،ومجموعة (ه) التي اصطلح على تسميتها (اللحيانية والثمودية والصفوية) ، ومجموعة (ال) التي اصطلح علىتسميتها (العربية الشمالية) تمثل أطواراً مختلفة فيتاريخ اللسانالعربي تعكس حالاته في أحقاب زمنية متباعدة ۰۰

واني أرى ان القرآن الكريم لم يستخدم لفظه(لسان) بدلا من (لغة) الاللتأكيد ان لغة القرآن ليست واحدة من لغات (لهجات) العرب ، بل هي لغة جميع العرب ۰ لذا نص القرآن الكريم صراحة أنه (بلسان عربي مبين) كما نص صراحة أنه (قرآن عربي)۰ فكان القرآن الكريم بذلك عاملا في التوحيد اللغوي لجميع العرب ، دون أن تبتلع لغة (لهجة) لغة (لهجة) أخرى كما يدعي المستشرقون ومن يتابعهم من الباحثين العرب ۰

---

١ - « تاريخ العرب (مطول) » ، الطبعة الرابعة ١٩٦٥ ، دار الكشاف ، ج ١/ص ١٤

٢ - « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ، دار العلم للملايين - بيروت ، ج ١ / ص ٢٢٥

٣ - ارجع الى محاضرتي « الدور الايجابي للمتكلمين والمعتزلة في علم اللغة العربية » التي القيتها في (المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الاسلامية) الذي اقامته وزارة التعليم العالي في جامعة دمشق بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجري (نيسان ١٩٨١) . وقد حددت فيها الملامح العامة لاتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية .

٤ - عرضت نظرية الامام الجرجاني اللغوية وحددت موقعها في علم اللغة العام الحديث في كتابي « الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني » - مطبعة الجليل - دمشق ١٩٨٠ .

٥ - انظر مثلا مقالة د . أحمد هبو « مكانة اللغة العربية بين اللغاتالسامية » المنشورة في مجلة (المعرفة) بدمشق ، العدد ١٧٨ - كانون الاول ١٩٧٦ .

٦ - انظر مثلا مقالة د. احسان جعفر « العربية أقدم اللغات السامية » المنشورة في مجلة (المعرفة) بدمشق ، العدد المزدوج ٢٢٢ - ٢٢٣ / آب - أيلول ١٩٨٠.

٧ - « المفصل » ، ج ١ / ص ١٤

٨ - « المفصل » ، ج ١ / ص ٢٩٤

٩ - « المفصل » ، ج ٨ / ص ٦٧٣

١٠ - « تاريخ العرب (مطول) » ، ج ١ / ص ٣٨

١١ - د. علي عبد الواحد وافي « فقه اللغة » ، دار نهضة مصر .

١٢ - محمد الانطاكي « الوجيز في فقه اللغة » ، مكتبة دار الشرق - بيروت .

١٣ - « المفصل » ، ج ١ / ص ٢٣ - ٢٤

١٤ - « المفصل » ج ٨ / ص ٦٧٣

١٥ - ترجمة د. جعفر دك الباب ، منشورات وزارة التعليم العالي ، مطابع مؤسسة الوحدة ، دمشق ١٩٨٠. (فصل - دراسة الاداة في علم الاستعراب الأوربي) .

١٦ - ارجع الى كتابنا « الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني » .

١٧ - ويقول الاستاذ محمد الانطاكي : « وهذه الفصحى ليست لهجة قبيلة عربية معينة وان سميت في بعض الأحيان بالقرشية ، بل هي مزيج لطيف من اختيار انيق لخصائص لهجات عربية كثيرة أهمها القرشية والتميمية » - « الوجيز في فقه اللغة » - ص ١٠٩

ترجمة الهمداني



جامعة صنعاء

استهل العلامة حمد الجاسر ترجمته القيمة للحسن بن احمد الهمداني في المقدمة التي تصدرت كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني بتحقيق محمد علي الاكوع بقوله : « يحتاج الهمداني الى دراسة واسعة لا تتسع لها هذه الصفحات ولا ابالغ اذا قلت بأنه بحاجة الى كتابة مؤلف واف حافل بكل ما يتصل بحياته ولهذا سأكتفي باشارات موجودة عنه ، حتى تصدر دراسة استاذنا الاكوع أو غيره .. ويكاد قول الشيخ حمد أن ينطبق على هذه المحاولة التي تقدم هنا ضمن أبحاث ندوة علمية متخصصة وفي اطار مناسبة خاصة بصاحب الترجمة .

اما كتابة مؤلف واف حافل بكل ما يتصل بحياة الهمداني فيحتاج الى معلومات ثرية تفوق حجم النبذ القصيرة التي أوردها الذين ترجموا له ، وتحتاج الى استقراء دقيق ومتأن لمؤلفات الهمداني المعروفة ، وربما تحتاج أيضا الى تفاؤل حسن بالعثور على المفقود منها ، وفي سبيل ترقب تحقيق الامنية قد يكون من المفيد صياغة ترجمة مكثفة ومتكاملة تجمع شذرات الرواة ولمحات الدارسين المحدثين وتفيد ممن الاشارات العابرة التي وردت في ثنايا مؤلفات الهمداني المتوفرة وخاصة تلك المعلومات الجديدة في المقالة العاشرة من كتاب « سرائر الحكمة للهمداني المفقود والتي نشرها القاضي محمد بن علي الاكوع عام ١٩٧٩ » (كما قيل لي اذ ليس عليها تاريخ) ونوه بما فيها من دلالات جديدة تلقي الضوء على بعض ما خفي من حياة الهمداني ومنها نقل الشيخ حمد الجاسر استنادا الى مخطوطة المقالة حقائق جديدة عن مولده وسجنه اما الاستاذ (اوسكار لوفجرن) فقد نقل عن الاكوع التنويه بتاريخ الميلاد ولكن لم يتسن

* هذه محاولة سريعة لاعادة صياغة ترجمة الهمداني ، دون التعرض لمؤلفاته وتقييم مسار حياته ، ورغم ذلك فاننا نزعم انها قد تفتح آفاقا رحبة لدراسة سيرة الهمداني ، وتعين على حسن تقييم اعماله .

له الافادة من المقالة المذكورة غير ذلك ــ عندما كتب مادة الهمداني « في دائرة المعـــارف الاسلامية » •

وكان المعول في كتابة هذه الترجمة على ما كتبه محمد بن علي الاكوع في مقدمة الجزء الاول من كتاب (الاكليل) وغيرها من مقدمات الكتب التي نشرها للهمداني ، وعلى ترجمة حمد الجاسر للهمداني في مقدمة كتاب (الصفة) وعلى مقالـة (لوفجرن) في دائرة المعـارف الاسلامية • ولعل تلك الترجمات من خير مـا كتب المحدثون عـن حياة الهمداني والذيـن

اعتمدوا في ذلك اهم الترجمات السابقة كترجمة صاعد بن الحسن الاندلسي (ت ٤٦٤ هـ) في كتابه (طبقات الامم) وعلي بن الحسن القفطي (ت ٦٤٦ هـ) في كتابه : إنباه الرواة على أنباه النهاة) وعلي بن الحسن الخزرجي (ت ٨١٢) في كتابه (طراز أعلام الزمن في طبقات أعيـان اليمـن) •

غير أن ذلك لا يعني أنه أغفل غيرها من الترجمات الاخرى القصيرة والملحوظات المفيدة حول حياة الهمداني قديمها وحديثها ، بل ان كثيرا من ذلك قد أسعف على ابراز الصـورة وزاد في جلائهـــا •

صاحب الترجمة هو أبو محمد الحسـن ابن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بـن سليمان الارحبي البكيلي الهمداني • كان أهله يقطنون المراشي من شرق اليمن وهي منطقـــة تقع في الجزء الاعلى من مساقط الجوف يجمع سكانها بين عيشة التبدي والتحضر قديمـــا وحديثاً • وتكوّن اليوم ناحية من قضاء بـرط وتتبع اداريا محافظة صنعاء • وقد نسب بعضهم الهمداني الى آل الدمنة والاصح على الارجـح هو أن يقال آل الدمينة ، وهم الى اليوم مـن سكان ناحية المراشي وفرع من ذي محمد القبيل الكبير هناك • وقد انتقل جده داود وابنـــه يوسف الى الرحبة شمال مدينة صنعاء ثم سكن يوسف صنعاء في آخر عمره وسكن بها أولاده مــن بعـــده •

ويستدل من (المقالة العاشرة) أنه ولد بصنعاء يوم الاربعاء ١٩ صفر سنة ٢٨٠ هجرية اي حوالي ٨٩٣ ميلادية ، ورغم أن النص لـم يصرح باسمه ولم يقطع بالحجة إلا أن كل القرائن تومىء الى ذلك وتدل عليه • وكان القاضي الاكوع أول من تنبه الى ذلك فنوه به في ملحق مقدمة الجزء الاول من (الاكليل) الذي نشره عام ١٣٦٩ هـ بالقاهرة وقد بقي تاريخ مولده غير معلوم علم اليقين حتى كتب الشيخ حمـد الجاسر مقدمة (الصفة) المذكورة وترسخ الامر في أذهان المعنيين من الدارسين منذ أن نشرت (المقالة العاشرة) متضمنة النص الذي استند اليه ومجملـــه :

« فمن ذلك انا اختبرناه ببعض التسييرات المشهورة والفروع ، فيما شاهدناه وعايناه ولم نرجم فيه بالغيب ولم تتبع به التعليل ، لمولود ولد في الاقليم الاول في المدينة التـي عرضها ١٤ درجة ونصف وظل رأس الحمل بها ثلاث اصابع وست دقائق •• وكان ذلك يوم

الاربعاء يوم ١٩ من صفر سنة ٢٨٠ لعشر ساعات مستوية من النهار .. يكون الطالع من الميزان أحد عشر جزءا ونصف بالتقريب » . ثم يذكر النص تحقيق ما ظهر من دلائل الطالع وهو ان المولود يصاب بنكبتين عظيمتين من الاعداء ثم يؤرخ لاحدهما بيوم الثلاثاء يوم احد عشر من رجب من سنة ٣١٥ ولثانيهما بيوم الاثنين من شهر شوال سنة ٣١٩ .

فالمولود هو الهمداني نفسه وهو صاحب النص وهو الذي خبر وعاين ولم يرجم بالغيب والمدينة المشار اليها هي صنعاء فاليمن عند بطليموس في الاقليم الاول . وعرض صنعاء على ما وجده أهلها على حد قول الهمداني اربع عشرة درجة وانصف والنكبتان هما سجنه مرتين في صعدة وصنعاء . وسياق الاحداث في حياة الهمداني تقتضي ان يكون مولده في حوالي الربع الاخير من القرن الثالث الهجري . ويوافق سنة مولده خروج الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين من الرس في أرض الحجاز الى اليمن في خرجته الاولى بدعوة من بني فطيمة من خولان صعدة وهي الخرجة التي وصل فيها الى الشرفة من بلاد نهم ، شمال شرق صنعاء ويبدو أن في السنة نفسها ، كان علي ابن حسين المعروف (بجفتم) بصنعاء عاملا من قبل بني العباس وذلك ابان خلافة المعتضد العباسي .

ولا نعرف شيئا عن أول حياة الهمداني سوى انه حدثت به علة ليست بشديدة وهو في الخامسة من عمره . وأنه منذ بلغ السابعة بدأ يحادث النفس بالاسفار . وقد كان أبوه رحالة دخل الكوفة والبصرة وبغداد وعمان ومصر . كما كان لاجداده بصر بالابل منذ ان كانوا في مشرق اليمن . ولما تركوا البداوة واستقروا في صنعاء اشتغلوا بالجمالة . وان كان منهم من عنى بالصناعات كالتعدين .

ويستدل أن بعض اهله حل بصعدة وحيث كانت الجمالة مزدهرة بحكم موقع المدينة على طريق التجارة والحجيج ويبدو أن الهمداني شارك اهله في عملهم وهو نقل الحجيج والتجار الى مكة من صعدة ، ثم انتقل اليها واستقر بها وهو آنذاك في الخامسة عشرة من عمره .

قال الهمداني في المقالة العاشرة : ولان الزهرة كانت في السابع نقلت المولود حينئذ ، (أي حين بلغ لخمس عشرة سنة) من وطنه الى بلد أخر فقطن فيه واسترفع عيشه وحسنت أحواله . وفي صعدة بلغ سن الرشد وجنح الى متع الحياة ولذائذها وتعود مخالطة الغرباء واكتسب من ذلك الرفق والتسامح . وبعد زمن (أي حوالي عشرة أعوام – من استقراره فيها وحوالي ١٥ عاما من اتخاذه صعدة محطة ينزل بها في قدماته الى مكة مع أهله إبان صباه) أشقاه الكد والترحال افاكتسب حدة الطباع ونال من معارضة الخلطاء وعداواتهم ما شجعه على السفر الكبير فارتحل الى مكة طلبا للعلم المكتسب للاجر .

وقد جاءته علة شديدة وهو في رحلته تلك ، شارفت به على الموت . وكان الذي هاجها أنه كان في بلد حار وهجير من النهار

فطلب التبريد بالماء فشن على بدنه فنازلتـــه العلة . وكانت رحلته الى مكة في سبيل العلم وهو في الخامسة والعشرين من عمره أي حوالي ٣٠٥ هـ وفي مكة أطال الاقامة وجاور بها أكثر من ست سنوات . ورغم أنه عدم في مكة رفاهية صعدة ولذاتها ، وتعرض لاذى حر مكة وهجيرها الا أن فترة مكة كانت من أخصب سنـــي التحصيل لديه حيث تفتحت له آفاق المعرفــة وانفتح له فيها باب تميس من المنطق فازداد منه، وانكشط عنه كثير من الجهل واتسعت بسطته في العلم فعلم شيئا من علم الاخبار وكتب صدرا مـن الحديث والفقه ورواه ومال الـى مذهب الجماعة كما قال ذلك بنفسه في المقالة العاشرة . وكانت مكة في ذلك العهد من مراكز العلم حيث يفد اليها كثير من علماء البلدان الاسلامية لاداء فريضة الحج أو للمجاورة فتسنى للهمداني أن يتلقى العلم عن بعضهم مثل الخضر بن داوود . وذكر الهمداني في « شرح قصيدة الدامغة » أنه اجتمع به سنة ٣٠٧ هـ وقد روى عنـــه (السيرة) عن ابن اسحاق . ومنهم أبو علـي الهجري الذي اشار الى الهمداني في « النوادر والتعليقات » ويرى حمد الجاسر أن الهمداني نقل عنه بعض النصوص العشرية في (صفة جزيرة العرب) ويظهر أنه أثناء مجاورته بمكة اقتنى بعض الكتب كدواوين الشعر ومؤلفات ابـــن الكلبي في الانسان وغيرها .

وفي حوالي ٣١١ هجرية رجع الى اليمن ونزل صعدة مرة أخرى ، وهي اذ ذاك كورة بلاد خولان وقاعدة ائمة الزيدية ومحطة هامـة على طريق التجارة الممتد من أقصى جنوب اليمن عبر مكة الى بلاد الشام ، ونقطة تجمع الحج من مختلف الجهات اليمنية فحبذ الهمدانـــي سكناها مرة أخرى بعد أن خلص من حرارة مكة وكانت تؤذيه وتضر بصحته ومال الى الاستقرار فيها وعمر دارا وامتلك عقارا واستطاب المقام بها

وكان قد توفر لصعدة استقرار نسبي خلال فترات الهادي وابنيه المرتضى والناصر خاصـة اذا ما قورنت بصنعاء في الفترة نفسها حيـث شـهدت صنعاء آنذاك اضطرابات سـياسية وتعرضت للنهب والعدم وكثر تناقل الحكام فيها السلطة . وقد أدى الاستقرار في صعدة الـى استقطاب كثير من الناس من العلماء والادبـاء والشعراء وطلاب العلم وكذلك التجار من داخل اليمن وخارجه ، فقامت فيها حركة ادبية وفكرية وانتعشت فيها التجارة فكان أن أفاد الهمداني من فنون العلم التي كانت تزخر بها كما أسهم فيها بنصيب وافر ولا سيما في علوم الاخبـــار والانساب والشعر .

ولم تكن صعدة قبل ذلك من البلدان التي رحل اليها اصحاب الحديث كصنعاء فلم تنتشر أخبارها وقل وقوف النسابة على أنسابها وقبائلها وبطونها من خولان . فاطل الهمداني فيها على اخبارها وانسابها ورجالها اطلالة العارف المتمكن فقرأ بها سجل محمد بن ابان الخنفري المتوارث من الجاهلية وأخذ عن علماء صعدة ومما خبره رجالها ورووا له واستنشده منهم لذلك وســم الهمداني بالعلم بين أهلها وعرض جاهه ورفـع قدره واكتسب رضا رجال القبائل من خـولان

وما جاورها من همدان وحمير .

وكان استقرار الهمداني في صعدة أيام الامام الناصر بن الامام الهادي يحيى بن الحسين الذي تولى الامر بعد تخلي أخيه المرتضى عنه في عام ٣٠١ هـ والذي بقي في الحكم حتى توفي عام ٣٢٢ هـ .

وذلك بعد خروج الهمداني من سجن صنعاء بفترة وجيزة . وكان يحكم صنعاء في الفترة نفسها آل يعفر من آل ذي حوال الحميريين وأميرهم هو ابو حسان أسعد بن ابي يعفر وكان مقره بكحلان وهي (كحلان) خبان في شرق مدينة يريم الحالية . وأما زبيد فكان يحكمها (ابن زياد) ولعله اسحق بن ابراهيم ابن زيادة وهو الذي يشير اليه الجزء الاول من الاكليل بقوله : « ان اطلاق الهمداني (أي من سجن صنعاء) كان من جهة ابن زياد صاحب زبيد » ...

والى جانب هؤلاء الحكام كان هناك عدد من زعماء القبائل وخاصة آل الدعام من بكيل وآل الضحاك من حاشد . قال الهمداني في آل الدعام : ان سؤددهم عظيم واخبارهم كثيرة — ونعت أبا جعفر أحمد بن محمد بن الضحاك بأنه سيد همدان في عصره . وقال عن حاشد وبكيل انهما قبيلا همدان العظيمان . اما في صعدة نفسها فكان نفوذ القبائل للفطيميين والاكيليين وكلا القبيلين من خولان .

وكانت تلك القوى تتنازع السلطة في اليمن وشهد اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع الهجري اضطراب سياسي شامل شاركت فيه كل القوى المذكورة بما فيها القرامطة. ورغم القضاء على القرامطة الا أن ذلك الانقسام السياسي استمر الى الفترة التي نحن بصددها وهي فترة الهمداني في صعدة .

ولم يكن ذلك الشتات في اليمن غير امتداد للتمزق والخلاف السياسي الذي اعترى الدولة الاسلامية كلها حيث انحسرت سلطة الخلافة وضعف لها فاستقل كل بما لديه حسب قوة نفوذه .وكانت صعدة من المراكز التي ورثت ذلك الخلاف السياسي والتنازع على السلطة . واتخذ ذلك الصراع في صعدة صورا متعددة منها عودة ذلك الخلاف القديم والخطير بين قبائل عرب الشمال وقبائل عرب الجنوب ذلك الخلاف الذي نشأ في القرون الاولى للهجرة نتيجة تداخل الحضارتين الاسلامية الجديدة واليمنية القديمة لدى مشاركة اهل اليمن في الدعوة الى الدين الجديد والاسهام في موجة الفتوحات وفي تمصير الامصار وفي ارساء ثوابت الدولة الاسلامية .

وكان خلافا معلوما يدور حول مسألة الخلافة وأحقيتها ، وقد تنازع فيه الناس بالسنان وتجادلوا بالحجة واللسان فأدى ذلك الى بروز موروث تاريخي ملحمي عن حياة العرب قبل الاسلام وخاصة عن حياة عرب اليمن . فكان ان انعكس ذلك الصراع على الحركة الادبية والفكرية في صعدة واذكى عودة الخلاف القديم اوراه .

ولم يكن بوسع الهمداني ان يتجنب مثل ذلك الصراع اذا كان صميم الامر فهو شخصية ادبية مرموقة ، وعالم شغوف باستقصاء اخبار وطنه وله صلات عديدة برجال خولان في صعدة وهمدان في ارضها • وقد جمع كثيرا من أخبارها ووقائعها ومفاخرها فخاض ذلك الصراع المحتدم الذي كان قائما في صعدة منذ ان وطد الامام الهادي مركزه فيها • وكان أبرز ما في المجال الادبي من صراع هو كتابة الأشعار التي تذكي الحمية و تحيي من العصبية ثم نوع من المفاخرة الشعرية ،كان الكميت بن زياد الأسدي قد بدأه قبل حوالي قرنين في قصيدته الموسومة بالمذهبه حيث يحرص كل جانب على تبيان مناقبه ومثالب معارضه •

وكان في صعدة عدد من الشعراء الذين يمثلون جانب عرب الشمال منهم أبو العساف الحسين بن علي وأبو أيوب بن أبي الأسد السلمي وأيوب بن محمد بن محمد اليريمي ، وكانوا في شعرهم كما قيل يتعصبون على قبائل اليمن • ويبدو أن الامر تفاقم بين الهمداني وبين أولئك الشعراء فكتب قصيدته التي ينحو فيها منحى الكميت ويجيب بها عنه وسماها « الدامغة » فاستغلها خصمه فكان أن فتحت عليه أبواب الطعن وسيل الاتهام وأثار عليه السلطان والناس كما قال الهمداني نفسه في المقالة العاشرة وسجن الهمداني اثر ذلك وكانت نكبة عظيمة ومشهورة ولكنها خفيفة ومتجاوزة ولم تعد عشرة أيام وذلك يوم الثلاثاء يوم أحد عشر من رجب سنة ٣١٥ هـ •

وقد عمل على فك الهمداني من سجن الامام الناصر بصعدة بعض كبار رجال القبائل من خولان ومنهم يحيى بن عبد الله سيد اكيل ورجل خولان ولسانها وهو الذي مدحه الهمداني بقوله :

زد خير أبناء مالك حسبا
ومفخرا ان عدت مفاخرها

يحي بن عبد الله مقلة خول ـ
ـ لان وانسانها وناظرها

على أن الامام الناصر توعد الهمداني ان عاد الى مثلها فخرج على إثر ذلك من صعده الى صنعاء مسقط رأسه ، طامعاً في أن ينعم بحمى أميرها بالجاه العريض والقدر الرفيع • وكان أن تأتى له ذلك الى حين • ومن الجائز أن اتصاله الوثيق بأبي نصر محمد بن عبد الله اليهري قد تم بصنعاء في هذه الفترة • وهو العالم الذي وصفه الهمداني بقوله : شيخ حمير وناسبها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكنون علمها. وقارىء مسندها والمحيط بلغاتها •• ويشتهر بصنعاء واليمن بأبي نصر الحنبصي •• قال الهمداني : وما زال لنا معولا في المشكلات وربما وردت منه بحرا لا تكدره الدلاء ولا تلوب دونه الظماء فأغناني نهله دون علله ، وأوسعني كفاية البعض دون كمله • وكان بحاثة قد لقي رجالا ، وقرأ زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية ، ويذكر الهمداني في الجزء الثاني من الاكليل أن أبا نصر هذا كان على قرابة تسعين من عمره ، وذلك لدى

تأليف ذلك الجزء من الاكليل في مطلع العقد الرابع من القرن الرابع الهجري •

ويستدل من بعض الاشارات على أن الهمداني ربما كان هو مؤلف (شرح الدامغة) وانه كتب ذلك بصنعاء بدءا من عام ٣١٦ هـ ، وكان الامام الناصر قد توعد الهمداني ان عاد الى ما اتهم به سلفاً (أي تفضيل عرب الجنوب على عرب الشمال) • ولكن الهمداني لم يأبه الى ذلك فانطلق يكتب الاشعار ويجمع مفاخر قحطان وألف (شرح الدامغة) في صنعاء وظن أنه في حمى آل يعفر الحميريين ، وأنهم لا ريب مانعوه •

ولما بلغ الناصر أن الهمداني لم يكف وقيل أنه تنقصه أيضا في بعض أشعاره ، كتب الى أسعد بن أبي يعفر يعرفه بما بلغه من ثلب الهمداني ، وكان بين الناصر وأسعد مودة شديدة ووفاق عرفي ، فورد كتاب أسعد الى أبي الفتوح الخطاب ابن أخيه أمير صنعاء، يأمره فيه أن يأمر بحبس الهمداني وتحديده فحدد وضمن الحبس•

وخاب أمل الهمداني في أسعد الحميري ، وساءه ماصنعه به وهو الذي كان ينتظر مؤازرته، ولم يلق الهمداني بالا الى موقف الوفاق السياسي بين الحاكمين • فكتب الى الامير أسعد معاتبا (قصيدة الجار) التي مطلعها :

خليلي اني مخبر" فتخبرا
بنلةِ كهلان وحيرة حميرا
عذيري من قحطان اني مشتك
عواريكما ظلما وخذلا فانكرا

ثم يشير الى سوء تدبيره حيث أقام في حمى أسعد بصنعاء هربا مما لقاه في صعده فيقول :

ويسقط ضعفي ذاك عن حي حمير
وسيدها المنظور فيها ابن يعفرا
انخت به خوف العداة وغدرهم
فالفيته فيهم على الامن اغدرا
فملكهم مني مناط قلادتي
واسلمني فيهم باذني وادبرا

وبعد ذلك يشير الى استغلال الامير أسعد لحادثة سجن الهمداني حفاظا على مودة الناصر والاصلاحا لما قد فسد بينهما فيقول :

واصلح بي ما كان من قبل بينه
وبين قريش الاكرمين تغيرا
وقد ذل من جارى بذمة جاره
واسلمه مما يخاف فاخفرا

وفي ختام القصيدة يشير الى خطأه ونزوله في حمى آل يعفر الحميريين في صنعاء بدلا من بقائه في صعده واحتمائه بخولان القبيلة التي منعته وحمته لدى سجنه الاول ، وهم قادرون على ذلك رغم وعيد الامام الناصر :

ولو ضربت ما بين خولان قبتي
لامن سرحي ان تندو عرا
وعاين شخصي ممسك النجم كلهن
تربع من ذي غيلة وتمضرا
ولكنني اصبحت في دار غربة
اجاور من بين البرية حميرا

وقد اختلط الامر على الرواة في أمر سجن الهمداني حيث مزجوا بين سجنه لمدة قصيرة في

صنعاء على يد الناصر ، وبين سجنه الطويل في صنعاء على يد آل يعفر، أي بين سجنه عام ٣٢٥هـ وسجنه عام ٣١٩ هـ .

وفي المقالة العاشرة تفصيل دقيق لوقائع سجنه الثاني يستهله بقوله :

« نريد أن نثبت قضية في السجون معروفة مشهورة . رجل غضب عليه الملوك في المدينة التي عرضها ١٤ درجة ونصف من الاقليم الاول يوم الاثنين ٢٤ شوال سنة ٣١٩ هـ . » والملوك المعنيون هم الامام الناصر والامير أسعد وربما أيضا أبو الفتوح الخطاب والي صنعاء . وفي الجزء الاول من الاكليل يذكر الهمداني انه سجن بيد أسعد وأن آل بني فطيمة من خولان طلبوا فيه الناصر فأعلمهم أنه لم يسجنه وان أسعد سجنه في جرم أجرمه . ولما ذهبوا الى الامير أسعد اعتذر لهم وقال انما كتب اليّ فيه الناصر أن أسجنه له فهو في سجنه عندي .

وكان السجن لدى الهمداني نكبة ثقيلة وأليمة .. أتت عليه بالضيق والضنك ووقع له اليأس ، خاصة وأن « الملوك » تأكدوا من تعميره في السجن ، وأجريت على ذلك الايمان . ولكنه رغم ذلك ظل يكتب الاشعار معاتباً ومستنجدا وبجانب قصيدة الجار التي عاتب فيها أسعد كتب قصائد يستنجد فيها اكبار رجال القبائل وخاصة من آل بني فطيمة ومنهم زيد بن أبي العباس الذي كتب اليه الهمداني يقول :

يا زيد زيد الخير يا ابن محمد
ما كنت لاسمك اذا عرفت بناسي
بل كنت اول من هتفت به الى
احياء نفسي ساعة الإبلاس
فابدر الى نفذ الغريق فانه
الا تحث يعوم عوم الناسي

وقد بادر الى نجدته بعض رجال القبائل فطالبوا به بالحسنى والشدة ، قال الهمداني في المقالة العاشرة « كثر بهذا الحبيس الطلبة من الاشراف وذوي النجدة الذين يأخذون في الطلب من جهة المغالبة والمكابرة والغضب . »

وبدأت الجهود المبذولة لاخراجه من السجن تؤتي اكلها ، فكان ان سمح له في اتيان مسكن يتسع فيه . وفسح له في زيارة الاخوان وقضاء الحوائج وذلك بعد مضي سبعة أشهر وأربعة عشر يوما .. وبعدها أبدل بالقيود الثقال قيدا خفيفا .. وانهدم جانب من حائط السجن الذي هو فيه فحول الى القاضي وأصحاب الديون.. وذلك بعد تسعة أشهر وأربعة أيام ونصف .. ثم اطلق من القيد الخفيف بعد أربعة وعشرين يوما .. ونقل في السجن العظيم الى ما هو في غداد المنزل .. ثم تبدلت به الحال الرضية الى حال ضيق فنقل من بلد الى بلد وطيف به مصفدا الى موضوع غربة فلقي من ذلك الامرين .. وكان ذلك بعد ستة عشر شهرا وأربعة عشر يوما من مدخله السجن . ثم ادخل عليه بعض الراحة بعد سبعة عشر شهرا وثمانية عشر يوما .. واحترك في الطلب فيه العظماء من الناس فنفذت فيه الشفاعة واذن باطلاقه واخرج ثم رد الى السجن ثانية فلم يبق فيه يوما ثم اطلق فحير ، ثم اطلق

من الموضع وبعث به مغربا مع حفظة أينما وصلوا من قرية سجنوه . فأقام على ذلك ثمانية أيام ثم فلت من النهج الذي قصد له به » وملك نفسه وذلك بعد ستمائة و ٢٢ يوما تكون شهورا تامة ٢١ شهر و ١٩ يوما .. ثم كان وقوع الهمداني في مأمنه وخلوده للراحة بعد فلتة شهرين ويومين .

وبذلك يكون قد اذن باطلاق الهمداني من السجن في ٢٧ شعبان من سنة ٣٢١ هـ ولكنه لم يبلغ مأمنه بعد افلاته من حفظته في الطريق ثم اختبائه الا في حوالي ١٧ ذي القعدة من عام

٣٢١ هـ وكان مأمنه على الارجح ريده من بلاد قاع البون ، وهي شمال صنعاء وعلى الطريق الى خمر وصعدة ، وبها قضى الهمداني بقية عمره..

وقد يكون أهم سبب دعاه للبقاء فيها هو وجود سند عائلي وقبلي . فقد كان سكان ريده من اللعويين ومنهم آل القاسم العثاريون آصهار آل جد الهمداني الاول يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الذي لغتهم الهمداني برهطه ورهط الهمداني من بكيل وينمون وفق سلاسل النسب عنده الى همدان وكانت قاع البون آنذاك هي بلاد همدان ويذكر الهمداني ريدة في كتابه صفة جزيرة العرب ويقول أنها من قرى همدان في نجدها وبها البئر المعطلة والقصر المشيد وهو (تلفم) وربما كان الاصح كما هو في النقوش تلقم ، وكان بها علي بن المفضل وجه اللعويين في عصره وكليمهم المنظور اليه منهم وله شرف وسؤدد تقدمة عند « الملوك » . كما كان بها سيد همدان آنذاك أبو جعفر أحمد بن الضحاك الذي مدحه الهمداني وقيد أيامه وكان منه خل وصاحب وابن الضحاك الذي تعمر طويلا عرف بكثرة الوقائع والايام بين حزبه وبين الامام الهادي يحي بن الحسين وأولاده من بعده.

ومن أسباب استقرار الهمداني في ريدة وقوعها على مقربة من كثير من واقع الآثار اليمنية القديمة التي عني الهمداني بزيارتها واستقرار مساندها ويتكرر في مؤلفاته ذكر قراءته لمساند ناعط وتلقم وريدة وعمران . كما أن الهمداني قد ذكر بأنه نقل كثيرا من أخبار البونيين وعن زبور قديم بخط أحمد ابن موسى عالم أهل البون والارجح أنه اتخذ أيضا من ريدة منطلقا لتنقلاته العديدة في أنحاء اليمن وفيها اشتغل بالتأليف الغزير ففيها كتب (الاكليل) بأجزائه العشرة ليكون موسوعة الحضارة اليمنية القديمة وقد أشار بضع مرات الى فترة اشتغاله بتأليفه فذكر عام ٣٣٠ أو نحوه كما أنه يذكر عام ٣٣١ في المقالة العاشرة من كتاب سرائر الحكمة وتفيد الاحالات في كتاب صفة جزيرة العرب الى الاكليل أنه ألف بعد كتاب الاكليل أما كتبه الاخرى مثل اليعسوب والايام والقوى والزيج فيستدل منها الاحالات أيضا أنها ألفت قبل عام ٣٣٠ .

ورغم أن بعض كتب الهمداني قد رويت عنه مختصرة أو منقحة مما قد يبعث الريبة في بعض الحالات وصنعاء بالجمع والتحصيل . وتوفي الهمداني في ريدة وبها قبره وبقية أهله وقبره اليوم مجهول وتاريخ وفاته غير ثابت وفيه

خلاف . قال صاعد أنه توفي عام ٣٣٤ وفي رواية الخزرجي أنه تعمر ستا وخمسين سنة أي انه مات عام ٣٣٦ هـ .. ويرى الاكوع انه عاش الى ما بعد ذلك بدليل أنه قال شعرا في تشييع جثمان الامير أسعدالى قبره في شاهرة بعد أن نقل من كحلان الى ذمار فصنعاء عام ٣٣٧ هـ أي عام ٣٣٢ هـ ولا ندري مدى صحة نسبة وكان أسعد قد مات قبل ذلك بخمس سنوات الابيات المذكورة .

كما أنه قد يفهم من النص ان الابيات قيلت عند موته وليس عند نقل جثمانه بعد ذلك بسنوات . كما يرى الاكوع انه مات بعد الحوادث عامي (٣٤٤ ــ ٣٤٥) بين ابن الضحاك والامام القاسم المختار ودليل ذلك أن الهمداني قال شعرا في تلك الحوادث وقيد فيها أيام الضحاك والأرجح أن الهمداني قال شعرا في تلك الحوادث التي دامت تسع سنوات ووقعت بين ابن الضحاك والقاسم بعد وفاة الناصر أي منذ ٣٢٢ حتى ٣٣٠ أما حوادث ٣٤٤ و ٣٤٥ فمجملها : وصول القاسم الى ريدة حيث خرج اليه ابن الضحاك من صنعاء واستمد منه التولية على صنعاء فولاه وفي سنة ٣٤٥ حبس ابن الضحاك المختار في ريده ثم قتله .

أما النص الذي ورد في الجزء الثاني من الاكليل ويذكر فيه قول ابي محمد عبد الله بن سليمان الحكيمي . رويت عن محمد هذا سنة ست وخمسين وثلثمائة وهو من عمره في ثمانين وكتبت عنه وقتل في سنة ٣٦٠ مما قد يفهم أن الهمداني عاش الى ما بعد ٣٦٠ أي أنه تعمر ثمانين عاما فلا ندري ما اذا كان ذلك من زيادة النساخ ورواة الاكليل اذ أن المرء لا يكاديسمع خبرا عن الهمداني وهو العلامه المشهور بعد العقد الرابع من القرن الرابع .

وبعد فاننا نرى أن الهمداني عاش الى مابعد ٣٣٤ بسنوات وربما بعد ٣٣٦ أيضا ولكن ليس هناك دليل قاطع بذلك .

الهمداني: اللغة والواقع

د. هاشم الأيوبي

ان منطلقين أساسيين جعلاني أحدد بحثي هذا باللغة والواقع عند الهمداني .

المنطلق الاول :

هو أني أركز في اهتماماتي اللغوية على الجانب الانساني الادراكي من اللغة لا على الجانب الميكانيكي منها دون اهمال أهمية هذا الاخير ، بمعنى أنه وان كان في نظري قيمة للدراسات اللغوية الحديثة المتعلقة بمفهومها الاحصائي أو الوصفي المحض أو التطبيقي فان قيمة الدراسات اللغوية تكمن في الدرجة الاولى في كونها ظاهرة اجتماعية لا يمكن دراسة أي جانب منها ماديا كان أم معنويا بمعزل عن هذا المفهوم الاساسي لطبيعة اللغة ووظيفتها .

المنطلق الثاني :

هو أن هذا الجانب المشار اليه في المنطلق الاول ينطبق على لغة الهمداني في كتاب الاكليل حيث تكتنز في هذه اللغة مضامين فكرية واجتماعية تعبر عن واقع تفكير الهمداني وثقافته في هذا المجال .[1]

مضامين فكرية واجتماعية في لغة الهمداني

ان التفاعل بين اللغة والواقع يتخذ شكلين: ما تعكسه اللغة من مستويات التفكير من خلال خصائصها الصرفية والنحوية والاسلوبية أولا وما تكتنزه اللغة من مضامين فكرية وجمالية لواقعها ثانيا . انهما اتجاهان متعاكسان : أحدهما من الخارج الى الداخل والآخر من الداخل الى الخارج غير أنهما يكملان بعضهما بالضرورة .

فبالنسبة للشكل الاول فان احدى

النظريات في تقسيم اللغـات تقوم على أساس مستوى التطور الاجتماعي والحضاري لهـده اللغات . فقـد رأى شليغل أن اللغـات ثلاثة أنـــواع :

١ ـ اللغات غير المتصرفة أو العازلة حيث لا تتغير بنية الكلمة من ناحية ولا تخضع الكلمة في الجملة لتأثير ما قبلها أو ما بعدها من ناحية ثانية ، مثل بعض اللغات البدائية .

٢ ـ اللغات اللصقية أو الوصلية وتمتاز

بكثرة السوابق واللواحق
التي تلصق بالكلمة فتغير معناها وتوضح علاقتها بغيرها من عناصر الجملة ، مثل التركية واليابانية.

٣ ـ اللغات المتصرفة : وفيها تتغير معاني الكلمة بتغير بنيتها وتكون العلاقات بين أجزاء الجملة واضحة ومتكاملة ، مثل اللغات السامية واللغات الهندو ـ أوروبية .

ولئن اعترض بعض الدارسـين على هذا التقسيم من حيث أنه يفتقر الى الاحاطة والدقة الا أن قيمته تبقى في اعتباره كل مرحلة لغوية تمثل مرحلة من التطور الاجتماعي الحضاري في تاريخ الانسانية . فالنوع الاول يمثل مرحلة بدائية ، ويمثل النوع الثاني مرحلة متقدمة ، في حين يمثل النوع الثالث مرحلة أكثر تطورا من السابقتـين .

وقد لاحظ هيرشبرغ وهو من أفضل من درس علاقة اللغة بالحضارة في كتابه عن انتولوجيا الشعوب الافريقية ان بدائية الحيـاة وضحالة المعطيات الفكرية فيها تنعكس بشكل واضح في اللغات الافريقية البدائية ان في تراكيبها أو في مفرداتها . فهذه اللغـات مثلا تفتقر الى صيغ المبالغة والمقارنة . فلو أن كلمة (bu) بو على سبيل المثـال تعني كبـير وأرادوا أن يقولوا « كبير جدا » فاما أن يمدوا الحرف bu واما أن يكـرروا اللفظ .

كما لاحظ أن الاعتماد على حروف اللين أكثر بكثير من الاعتماد على الحروف الصامتة. وهكذا تبـدو اللغة البـدائية أقرب الى لغة الاطفال الذين نعتمد معهم على تضخيم الصوت أو تكييفه بحيث يكون أقرب الى أفهامهم .

بينما اذا تمعنـا في لغتـين حضـارتين كالاغريقية والعربية نرى ان مصطلحاتهما النحوية والصرفية ذات مضامين فلسفية او منطقية تعبر عن عقلية معينـة ، فالحركة والسكـون والفعل والاسم والعلة وغير ذلك لها شان فلسفي في نظرة الشعب الى الحياة والموت والوجـود تنسحب كذلك على قضايا اللغة التي لا تنفصل عن طريقة تفكيرهم . والعلاقة بين اصول الفقه عند العرب

وأصول النحو واضحة ومتينة من حيث القياس والاجتهاد والجواز والحجة والرواية ... الخ . أما عن الشكل الثاني لارتباط اللغة بالواقـع الحضاري عن طريق احتوائهـا لهذا المضمون وتعبيرها عنه فيظهر بوضـوح في تتبع أصول الالفاظ والكشف عن قيمتها الدلالية لنرى أن هذه الالفاظ ما هي الا اللبنـات التي تشكل البناء الحضاري لشعب من الشعـوب أو قل

هي الجذور التي ترسخ وجوده في الارض . فاللغة التي نجد في نصوصها القديمة ألفاظا غير مرتبكة في الاقتصاد والفلسفة والقضاء والحساب انما هي بطبيعة الحال انعكاس للمستوى الحضاري للشعب المتحدث بهذه اللغة .

وقد تسنى لي منذ عامين أن أطلع على نقش كان قد عثر عليه حديثا في حفريات سيبار بالعراق ، مكتوب باللغة السومرية ويعود تاريخه الى أكثر من ٥٠٠٠ سنة ويدور حول احدى المحاكمات حيث يرفض القاضي اعطاء الحكم قبل أن تتوفر للمدعى عليه فرصة الدفاع عن نفسه وجلب الشهود . في هذا النص نعثر على كلمات تعني المدعي والمدعى عليه الاستئناف والشهود والمهلة والقاضي والحكم مما يعني تصورا متكاملا لوظيفة القضاء الذي هو بحد ذاته ظاهرة اجتماعية متطورة .

وقد حاول بعض المستشرقين فهم التفاعل الحضاري بين الشعوب عن طريق رصد الالفاظ التي أخذهاشعب آخر كما فعل فرنكلFRANKEL في كتابه عن الالفاظ الآرامية الدخيلة في اللغة العربية وكما فعل زيمرن Zimmren في كتابه عن الالفاظ الآكادية الدخيلة في العربية كدليل على تأثير الحضارة البابلية .

انه لشيء طريف ومثير للاهتمام أن نرى كثيرا من الكلمات التي نتداولها في حياتنا اليومية انما انحدرت الينا منذ آلاف السنين من اللغة الاكادية أو غيرها وأن العديد من هذه الكلمات قد حافظ على معناه القديم في حين أن تطورا دلاليا قد حدث لكلمات أخرى . هكذا نرى على سبيل المثال الموجز أن كلمة نفط بالعربية هي كلمة نبتو Néptu بالاكادية وكلمة « كحل » جاءت من جحلو guhlu وكذلك « سوق » من سوقو وجسر من جسرو وصراف من صرابو Sarrapu ومئات الكلمات غيرها يسري عليها الشيء نفسه .

كما أن تتبع أصول الالفاظ الواردة الينا من لغات مختلفة يمكننا من تلمس الجوانب التي أثر فيها شعب من الشعوب بغيره عن طريق اللغة : اقتصادية كانت هذه الجوانب أم فلسفية أم دينية ... الخ ..

وما محاولة ارنست رينان للاستدلال على العقلية السامية من خلال لغاتها في كتابه عن التاريخ العام للغات السامية الا ضمن اطار العلاقة اللغوية ــ الحضارية .

ومن هنا أيضا كان احتفاظ بعض الشعوب بتراثها اللغوي يعود بالدرجة الاولى الى سفر حضاري فكري مكتوب بهذه اللغة يضمن لها الاستمرار والخلود .

والعربية لم تكن تحتفظ بصفائها وقدرتها على الاستمرار والتطور لو لم تترسخ نهائيا

بنزول القرآن الكريم بهـا تم بالتراث الضخم الذي خلفته ، ساعد على ذلك بالطبع استمرارية الطموح الحضـاري حتى في مراحل الانحطاط بحيث لم تحدث هناك ثغرات زمنية واسعة كما حصل عنـد الاغريق مما أحدث عند هؤلاء شرخاً بين لغتهم القديمة والحديثة وان لم يكن هذا الشرخ ليغير من طبيعة اللغة وروحها .

من هذه المنطلقـات أيضا نرى أن الامم ذات التراث القـديم تبذل جهودهـا في مراحل نهوضها من جديد لتطوير لغتها لأن هذا التوجه مرده الـى قناعة كاملة بعلاقة الفكـر الاكيدة بالفكر وعلاقة الفكر الحتمية بالنهوض الحضاري . هذا المفهوم الذي نركز عليه وعلى أساسه ننظر الى قيمة اللغة الحضارية عند الهمداني تنبه له لغويون قدامى مثل ابن جني عندما عرف اللغة في خصائصه بأنها « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » والثعالبي الذي يقول عن العربية في مقدمة كتابه « فقه اللغة وأسرار العربية » بأنها « أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب اصلاح المعاش والمعـاد » .

وفي علم اللغة الحـديث اعتمد همبولدت اعتمادا أساسيا على علاقة اللغة بالواقع والفكر كما أعاره أشهر الالسينيين فردينان لي سوسين اهتماما كبيرا .

ومع تداخل علم اللغة الحديث مـع بقية العلوم أخذت علاقة اللغة بالفكر والواقع أبعادا فلسفية ونفسية الى حد القول أن لا لغة بدون فكرة ولا فكرة بدون لغة ذلك أن اللغة تفكير مجهور والفكرة لغة مهموسة .

بعد هذا المدخل الـذي أردنا به توضيح العلاقة بين اللغة وبين الواقع الفكري والحضاري من ناحية عامة وتبيان قيمة لغة الهمداني في هذا المضمار من ناحية خاصة ، نقف عند هذه الناحية الاخيرة لنرى أن الكلمة عند الهمداني لم تأت مرصوفة لتلعب دور اثارة الحس الجمـالي أو العاطفي الذاتي وانمـا جاءت وصفـا لواقع حضاري وبيئوي ولمعارف ولعادات وأفكار قد لا يعتقد الكاتب ببعضها غـير أنه يذكرها على أنها واقع قد يجد من يعتقد به .

واذا أردنا رصد المفردات والتعابير التي تدل في كتاب الاكليل على واقع حضاري وفكري لتجمعت لدينا دراسة غنية مستفيضة عن هـذا الواقع . من هنا أكتفي بأخذ عينة منها من الجزء الثامن والجزء العاشر من كتاب الاكليل .

١ ـ الواقع الحضاري

يزخر الجزء الثامن من الاكليل بالمفردات والتعابير التي تصف العمران في اليمن القديمة والتي لم تكن غريبة عن مفهوم العصر .

هناك مثلا مسألة الحساب والقياس وذكر ذلك بالسـاعـات والدقائق والاصبع والدرجة : « وصنعاء احدى جنان الارض عند كافة الناس وساعات النهار بها الى الغاية اثنتا عشرة ساعة واحدى وخمسون دقيقة من ساعة . وظل رأس الحمل بها ثلاث أصابع وعشر وعرضهـا وهو ارتفاع القطب عنها أربع عشرة درجة ، نصف

ارتفاع نصف نهار رأس الحمـل عليها خمس وسبعون درجة ونصف »[٢]

انها مصطلحات دقيقة في عمليات علمية لم يكن الكاتب ليذكرهـا لو لم يكن ملماً بهذه المسائل الماماً كافياً ، ولو لم تكن هـذه العلوم على أهمية ومكانة بين أهل عصره ٠

طبعا يرد في أماكن أخرى وسائل للقياس غير التي ذكرناكالذراع[٣] وهناك ذكرلمصطلحات كثيرة مما يتعلق بالعمران والزخرف٠

فهو يتحدث عن المقران الذي يفسره بأنه « الخيط الذي يقدر به البناء ويبني عليه بناءه اذا مده بموضوع الاساس »[٤] ٠

كما يتحـدث عن أجزاء السد بتسميات علمية تقنيـة : مقاسم الماء ـ مذاخر السد ـ الصرف ـ العرم والسواقي ٠٠٠ الخ ٠٠ أضف الى ذلك عشرات الكلمات المتعلقة ببناء المنازل كالساج والرخام والابنوس والتماثيل ٠

او المتعلقة بالزراعـة والـري كالكروم والعيون التي تشح والـزرع وأصنـاف طيب الاشجـار[٥] ٠

٢ ـ واقع البيئـة

انه يتحدث عن الاقاليم وعن المناخ الذي يجيد وصفه بدقة وتفصيـل ولاعجب في ذلك وهو الجغرافي الشهير الذي يقـول عنه فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب أنه والمسعودي جغرافيا العرب اللامعان[٦]

وحين يصف مناخ صنعاء يقول : « وأما ما يغلب على الكوره فالاعتدال في هذا الهواء وقد يكون للبرد أرجح وذلك لا يضر وغذاة (غداة) النسيم وطيب المساكن وأن الرجـل المسن يلبس اللباس الرقيق في الشتـاء الشديد البرد وجمود الماء فلا يضره ذلك ٠ ويلبس الشاب المكوري في الصيف الصوف والـذي يضره ، ويدخل الرجـل الى منزله بحزيران وقد حره بدنه وتعب فيفتـح باب خلوته ويكشف ستره ويدخل في فراشه فيبرد ثم يتأدى الى بدنه من برد الصفة وبرد هواء البيت حتى ربما يدثر وان لم يدثر وانكشف لـم يخش ذبابـا ولا ناموساً ولا بعوضاً » ٠[٧]

ثم يتابع في وصف المنـاخ وتأثـيره على الطعام وحفظه له وعلى الثمار والزرع والخصب والقحط معبرا باسلوب بسيط وكلمـات غير مستعصية عن حقائق علمية في المنـاخ والبيئة لا تزال حتى اليوم مصدرا لكثير من الدارسين حول طبيعة اليمن ٠

وهو في حديثه عن مناخ صنعـاء يذكر ظاهرة مهمة لهـا علاقة بالمناخ وهي ظاهرة الاصطياف والاشتـاء التي يذكر أنها لم يكن أهل صنعاء بحاجة اليهـا ، مما يعني انها كانت سائدة في مناطق أخرى « ويبقى الرجل في مكان واحد الصيف والشتـاء لايحوله ٠ ولا يكون لكثير منهم أكثر من بيت لا يعـرف بيتا غيره ولا يعرف بها مبيت بسطح[٨] »

٣ ـ واقع التقاليد والافكار :

يحفل اكليل الهمداني بالمفردات والتعابير

التي تدل على عادات وتقاليد وعلى أفكار سائدة.

من ذلك ذكره لـ حساب اليمن (٩) وللحوائين (١٠) .

كظاهرتين اجتماعيتين ومنها ذكر عادة شراء اللحوم يوم الجمعة بكميات تكفي لاسبوع (١١) ولكن من أهم ما تحتويه لغته من تقاليد وأفكار يدور حول علاقة الاجرام بأمور الحياة .

فهناك علاقة بين الاجرام وبين بناء القصور فلكل بناء طالع ولكل طالع تأثير على مستقبل هذا البناء واحداثه .

يذكر عن قصر غمدان « وذكر حساب اليمن كابرا عن كابر أن الطالع كان ساعة بنائه الثوروفيه الزهرة والمريخ . ويوجد طبائع هذا البرج في ثبات الاشياء وقلة تغيرها ودوام هذا الاساس أنه أقام في تزايد مع الملوك قدر أربعة آلاف سنة ... »(١٢)

وهناك علاقة وثيقة بين طبائع الاجرام وطبائع البشر وطبيعة المناخ .

يقول في حديثه عن صنعاء : « وتوجد طبائع الزهرة والمريخ في طباع أهل صنعاء وتتجلى الزهرة لأنها تستولي على الطالع باكر الحضيض ويظهر ذلك فيهم وفي الكوره » ثم يبدأ بتفصيل هذه الطبائع والاخلاق .

ولهذه الاجرام تأثير كبير على الخصب والقحط ونوع الثمار وطبيعة الهواء(١٤) كما لها علاقة بالحروب والفتن : « واذا نحس برج الثور بزحل لاسيما اذا أشرف عليه من جنسها قحطت واذا نحس بالزهرة امابعلل (تغلل) من جنسها أو أفسد الثور والزهرة بالمريخ أسرع الى أهلها الفتن وسفك الدماء »(١٥) ويذكر أن الزهرة نحست من المريخ في سنة ثمان وثمانين ومائتين فقتل من أهل صنعاء يوم الجمعة ببيت بوس خمسمائة نفر .

هذه عينة بسيطة مما يحتويه الاكليل من تعابير ومفردات ذات مدلول على واقع حضاري أو فكري أو اجتماعي معين استطاع الهمداني بلغته منذ أكثر من ألف سنة التعبير عنها واختيارها بشكل غير متكلف تساعده على ذلك بدون شك ثقافته الغنية والمتشعبة .

اسلوب الهمداني :

يكتسب أسلوب الهمداني أهمية مميزة سواء بالنسبة لمفهوم علاقة الاسلوب بالواقع والتعبير عنه أو التفاعل معه أو بالنسبة للقيمة الفنية التي يمثلها هذا الاسلوب ، مع التأكيد على أنه في أغلب الاحيان لا يمكن عزل الامرين عن بعضهما عند الدراسة التكاملية لهذا الاسلوب .

وندرك أهمية هذا التميز في أسلوب الهمداني عندما نقارنه بمشاهير الكتاب الذين عاصروه . فالمعروف أن القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه الهمداني كان عصر للتشتت السياسي والمذهبي والتعقيد الاجتماعي . أما من الناحية الادبية وفيما يتعلق بالنثر خاصة فكان

عصر التصنيع الاسلوبي بكل جوانبه .

ففي مشرق البلاد العربية كما في مغربها أدى ضعف الدولة المركزية الى انتعاش النزعات العرقية والمذهبية والاقليمية . ويلاحظ في التاريخ العربي أن هذه الظاهرة تكون عندما تكون مركزية الدولة ووحدتها قوية وتشتد، كما هو الحال في أيامنا عندما لا يعود هناك دولة مركزية تتمحور حولها أطراف البلاد .

وكان من البديهي أن ينتج عن هذا التمازج والتعدد في الشعوب تعدد في العادات والثقافات وأنماط المعيشة مما أضفى على الحياة العربية نوعا من التعقيد الاجتماعي الذي كان في بعض وجوهه تطورا طبيعيا وفي بعضها الآخر دخيلا ومستحدثا بحيث لم تتمثله السلوكية العربية فجاء نابيا ومستهجنا أغلب الاحيان .

وسواء أكان حقيقة أم خيالا أن ثوب الوشي الذي كان للسيدة زبيدة زوج هارون الرشيد بلغت نفقته خمسين ألف دينار أو أن أم المقتدر كان يشتري لها ثياب دبيقية لتصنع منها نعالها وكانت تطلى بالمسك والعنبر المذاب وتجمد(١٦) .

واذا كنا لا ندري مدى المبالغة في الرواية التي تقول أن المأمون أعطى لعروسه بوران بنت الحسن بن سهل مهرا ألف حصاة من الياقوت وبسط لها فرشا كان الحصير منها منسوجا بالذهب مكللا بالدر والياقوت وان اباها نثر الكثير من بنادق المسك وفيها الرقاع بأسماء الضياع والجواري التي وزعها على المدعوين .

وكذلك الرواية التي تقول إن الوزير المهلبي كان اذا أراد أكل شيء بملعقة كالارز واللبن وقف من جانبه الايمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجا مجرودا فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة ثم يدفعها الى غلام آخر قام في الجانب الايسر ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الاولى حتى ينال الكفاية لئلا يعيد الملعقة الى فمه دفعة ثانية(١٧)

فان هذه الاخبار والروايات في شتى الاحوال تدل على مدى الاسراف وشهوة البذخ التي تداعب مخيلة الناس في ذلك العصر . هل هو انتقام لماض ، بسيط أم هروب من واقع مرهق أم ارهاصات سندبادية بمستقبل مجهول ؟

أسئلة نرى طرحها ضروريا دون الغوص فيها لانتقاء المناسبة والمجال . والذي يهمنا من ذلك هذا الربط الذي يقيمه معظم الدارسين بين هذا التعقيد والزخرف في الحياة الاجتماعية والزخرف في الصناعة الادبية من ناحية وبين التشتت السياسي والازدهار الادبي من ناحية ثانية باعتبار أن كل أمير أو ملك أو سلطان كان يحاول أن يجمع حوله ما استطاع من شعراء وكتّاب ولغويين مما أدى الى التنافس البلاطي في الادب .

واذا كنا نوافق على الربط الاول وسوف يكون منطلقنا لدراسة أسلوب الهمداني فاننا نتحفظ على الربط الثاني باعتباره نوعا من العزاء اذ هل كان يمنع ازدهار الادب وحدة الدولة.

ومنعتها ؟ وهل من الضروري التفتت السياسي والمذهبي ليكون هناك ازدهار فكري ؟ اننا نطرح الموضوع من جانب آخر لأننا نعتبر أن نضج الفكر العربي في هذه المرحلة كان نتيجة طبيعية لاختمار الثقافات الاصيلة والدخيلة لا للتنافس البلاطي ، كما أنه لو قيض له وضع سياسي افضل لأعطى نتائج عملية وانسانية بكثير على جميع الصعد .

أما العلاقة بين البهرجة الاجتماعية والبهرجة الاسلوبية فنجد أساسها المنطقي في الاقوال التي سبقت بأن اللغة ظاهرة اجتماعية كما اتفق الدارسون اللغويون القدماء والمحدثون .

ونجد في عصر الهمداني أي القرن الرابع الهجري صورة نموذجية لهذا الارتباط . فالزخرف المبالغ فيه في الحياة الاجتماعية أيا كانت خلفياته ومدلولاته — كان يقابله زخرف لا يقل أطنابا ومبالغة في الاساليب الادبية . فقد طغت الصنعة والتصنع بطغيان السجع وضروب البديع وأصبح ما هو معروف بأدب ديوان الرسائل تجسيدا حياً للصنعة الادبية ، وأصبحت الرموز الادبية لهذا العصر أمثال ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي اسحاق الصابي وغيرهم انما تقوم شهرتهم على هذه المهارة من ضروب السجع والبديع . وكما حبكت الروايات التي تصور المبالغات في زخرف الحياة الاجتماعية حبكت مثيلاتها حول الاعتناء بالتصنع الاسلوبي وأثره على سامعيه .

من ذلك ما يرويه التوحيدي أنه كان في مجلس الصاحب بن عباد شخص يسمى أبا طالب العلوي كان اذا سمع منه كلاما يسجع فيه وخبرا ينمقه ويرويه يبلق عينيه وينشر منخريه ويرى أنه غشي عليه حتى يرش على وجهه ماء الورد فاذا أفاق قيل ما أصابك ، ما عراك ما الذي نالك وتغشاك . فيقول : مازال كلام مولاي يروقني ويؤنقني حتى فارقني لبي وزايلني عقلي وتراخت مفاصلي وتخاذلت عرى قلبي وذهل ذهني وحيل بيني وبين رشدي فيتهلل وجه ابن عباد عندذلك وينتفش (١٨)

ومنها ما يرويه أبو حيان أيضا من أنه قال لابن المسيبي : أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع ، قال يبلغ به ذلك لو أنه رأى سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة ويحتاج من أجلها الى غرم يثقل وكلفة صعبة وتجسم أمور وركوب أهوال لما كان يخفي أن يفرج عنها ويخيلها بل يأتي بها ويستعملها ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها (١٩)

وكم أعزت سجعة أناسا وأذلت آخرين كما هو الحال في الرواية عن أن ابن عباد نفسه قال شطرا من الشعر : أيها القاضي بقم ، واستعصى عليه أن يجيزه فاضطر الى القول : قد عزلناك فقم .

أن يصيب الرجل في الرواية الاولى ما يصيبه وأن يفعل ابن عباد ما يفعله من أجل سجعة في الروايتين الاخريين لا يقابله في الاطناب والغرابة الا ثوب السيدة زبيدة وعرس المأمون وملاعق الوزير المهلبي .

أين يقع أسلوب الهمداني من هذا كله ؟

في الاجابة عن هذا السؤال تكمن في الحقيقة قيمة أسلوب الهمداني لأنها تظهر تميزه واستقلاليته وأصالته .

اهم مميزات اسلوب الهمداني :

١ ــ عدم تكلف الصنعة

لعل أهم ما يميز أسلوب الهمداني أنه كما قلنا لم يجر مجرى معظم كتاب زمانه المعروفين والذين سيطرت الصنعة الاسلوبية على كتاباتهم، من هنا لا نجد عنده مكانا للسجع الا ما جاء عفوا وبدون تكلف كما لا نجده يتعمد الصنعة البيانية والبديعية ، واذا ما استعملها فبشكل رشيق لا يتعب معه القارىء ، كما في قوله : « وأحسن الي من القرى وعلي الثناء وصرفني الى صنعاء »[٢٠]

لا شك أن أسلوب الدواوين والرسائل يتوافق مع الصنعة أكثر من أسلوب المؤرخ أو الجغرافي ولكن الصنعة كانت سمة كل الكتاب حتى التاريخية منها ، يذكر شوقي ضيف[٢١] ان موجة التصنيع في القرن الرابع « كانت حادة شديدة فلم يسلم منها أحد الا في القليل الا فل حتى كتّاب التاريخ أنفسهم رأينا بينهم من يختار لنفسه هذا الاسلوب الجديد من الصنعة ويذكر أمثلة على ذلك الصابي في كتابه « التاجي في أخبار بني بويه » ثم بعده العتبي في كتابه « اليميني » وبعدهما العماد الاصبهاني وغيره .

٢ ــ الرشاقة

هذا الابتعاد عن التصنع أعطى أسلوب الهمداني قدرا كبيرا من الرشاقة نلاحظها في مجمل كتابه سواء أكان الموقف وصفيا أو روائيا أو سردا تاريخيا . نعطي مثالا على ذلك مقطعا من قصة بناء غمدان : « فلما ارتفع بعث الله طائرا واختطف المقرانة وطار بها وتبعه سام لينظر أين وقع فأقام بها الى جنوب النعيم في سفر نقم فوقع بها فلما رهقه طار بها فطرحها على حرجة غمدان فلما قرت على حرث غمدان علم سام أن قد أمر بالبناء هناك فأسس غمدان واحتفر بئره[٢٢]

ففي هذا المقطع يبدو واضحا التسلسل الرشيق والطبيعي الذي لا يدعو الى الاجهاد ولا الى الملل .

تعابير جميلة :

يزخر كتاب الاكليل بالتعابير الادبية والشعرية التي تمثل مستوى فنيا راقيا . نورد بعض النماذج من هذه التعابير .. « وأقبل طالعا في الجنوب يرتاد أطيب البلاد .. »

« حسناء وصنعاء .. »

انكسار السد ، وكان فيه (محقد بيت حنبص) معاقم من بلاط قد انقطعت اوساطها من مواطىء الاقدام والحوافر على طول الدهر .[٢٣]

« فهو على ان يتغدى ..»

غير أن صوتها بعيد في اشعار العرب (المحاقد)

« الى ان فجر عمود الصبح .. »

الواقعية :

تتجلى الواقعية في اسلوب الهمداني في

اكثر من مظهر :

أ ـ دقة الوصف :

توقف الهمداني في الاكليل عند قضايا كثيرة جغرافية وعمرانية وتاريخية وكان وصفه لها من الدقة بحيث يدخل في التفاصيل مع الابقاء على المستوى الفني لهذا الوصف .

جاء في وصف غمدان على لسان سرية :

« كان للغرفة اربعة ابواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب . وعند كل تمثال منها أسد من نحس فاذا هبت الريح من الارياح زار ذلك التمثال الذي هو قبالة ذلك الباب فان تناوجت الارواح (جميعا) زأرت جميعا(٢٤) .

ويتابع بعد ذلك وصف القصر من الداخل بدقة متناهية تجعلنا نتصور وكأنه امامنا بل حتى ان الرسام الماهر ليستطيع صنع لوحة كاملة على اساس هذا الوصف .

ب ـ تمحيص الخبر :

فهو لا يأخذ الخبر كما يرده وانما يخضعه للعقل والمنطق كما نراه مثلا في حديثه عن قصر سلحين (٢٤) يناقش ما يتوارد على ألسنة الناس من ان الجنة والشياطين بنت القصر ويدحض ما يدعيه بعض الناس من ان ذلك مكتوب في نقش مساند اليمن مستندا الى معلوماته التاريخية والى اسلوبه الاقناعي : ولا يمكن ان تكون الجن كتبت هذا لعلتين الاولى انهم ذكروا انهم بنوا سلحين في سبعة وسبعين سنة ولم يكن بين موت سليمان وصدر بلقيس عنه الا سبع سنين بقول المكثر ، وعند موته رفعت الجن ايديها من الخدمة وقبضت رباقها من ملك السحرة .

والثانية قول علقمة يذكر ان الناس بنوها لا الجن

ابعد سلحين لا عين ولا اثر
ام بعد بينون يبني الناس ابياتا

وله في هذا الخصوص رأي مهم حيث يقول (٢٥)

وقد أكثر الناس في بناء الجن لقصور اليمن وما ذلك الا من زيادات الناس في الاحاديث

ورأي آخر شبيه (٢٦)

« والعرب ينسبون كل مستطرف من البناء الى سليمان بن داوود عليه السلام كما ينسبون كل قديم الى عاد » .

ثم انه قد يروي الرواية كما سمعها ويعطي بعد ذلك حكمه على امكانية صحتها محكما المنطق والعقل .

فبعد أن يروي عن ابن هشام بن الكلبي عن الحراني قصة الرجل الذي عاش أكثر من ستمائة سنة ، يقول ، هذا حديث فيه حيف (٢٧) .

وقد يلجأ في دحض الروايات والاخبار الى حجج علمية وتجريبية ، كما عرف عن الجاحظ في كتاب « الحيوان » .

هكذا يفعل بعد رواية قبر ورعة بنت عاد بن ارم وعن الدخول الى الكهف بالسراج (ص ١٤٤) ورواية خرق قلعة ضهر الذي يقول الناس ان فيه مالا وان جماعة دخلوه بالمصابيح والشمع تابع الرواية « فلما تغلغلوا

حُصرت السُرج في موضع انقطاع النسيم ثم طفئت وأخذ حاملها بالكظم فنكصوا وهم يرون أن الجن أطفأت السرج ٠٠ »

يعلّق الهمداني قائلا : وليس كذلك ، ولعلَّ هذا الخرق لاشيء واذا بلغت السرج موضع انقطاع النسيم نشص التهاب النار اللاحقة للهواء اذ هو مجانس لعنصرها ٠ والدليل على ذلك أنك لو أخذت سراجاً فملأته زيتاً صافيا أو سليطا فيه ذبالة جديدة والقيته على ظهر شيء مستوي السطح ثم قلبت عليه السراج قلباً لا خلل فيه وطفيت على ما يتخلل من النسيم من بين حروفها ووجه السطح لمات السراج اذ انقطع عنه النسيم » ٠٠ (ص ١٤٤)

لا شك أن ثقافته العلمية تتيح له تمحيص مثل هذه الأخبار واعطاء الدليل العلمي على رأيه فيها ٠

ومن هنا تكثر في أسلوب الهمداني صيغ التفصيل والتعليل كأن يبدأ في مواضع كثيرة بـ : أمّا ٠٠٠ وعندما يكون الأمر بالنسبة له غير بيّن الملامح يستعمل غالباً : قيل ويقال ، كما في حديثه عن غمدان : ويقال ان غمدان أول قصر بني باليمن انه أسلوب الشك الذي لا يملك الكاتب حجة لدحضه كما لا يملك اليقين للاخذ به٠

ج ــ الاستشهادات :

واذا كان الهمداني يمحص الخبر ويشك فيما لا يراه مطابقاً للعقل والواقع فانه يلجأ الى تدعيم معلوماته أورفدها باستشهادات كثيرة يحفل بها كتاب الاكليل ٠ ومعظم هذه الاستشهادات من القرآن الكريم أو أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومن شعر العرب وأمثالهم عامة وأقوال رواتهم المعروفين ٠

ولا يكاد يخلو مقطع أو خبر من أخباره من استشهاد مأخوذ من هذه المصادر التي ذكرناها٠

٥ ــ الغنى اللغوي

ويتجلى الغنى اللغوي عند الهمداني في ثلاثة مظاهر

أ ــ دقة تعابيره التي يستعمل لها المفردات المناسبة والمعبرة بشكل واضح عن مقاصده دون ارتباك أو غموض ولم يكن يتيسّر له ذلك لو لم يمتلك ثروة لغوية عظيمة ٠

ب ــ شرح المفردات التي يظن أن فهمها قد يستعصي على غيره فيشرح المقران بانه الخيط الذي يقدَّر به البنّاء ويبني بناءه اذا مدّه بوضع الأساس ٠

ويشرح المغامزين ٠٠ بأن المغامز هو المغاني[٢٦]

كذلك يفسر كلمة قُذّام بأنها الملك (١٢/٨) وعندما ترد كلمة حلّة يقول (ولا يقال حلة الا ثوب وازار أو ثوب وسربال (١٢٧/٨) وعندما يرد اسم علم يخشى أن لا يعرف الناس من هو ، يفسّره فبعد ان يروي بيتاً لقس بن ساعده : (٨/٨)

وعلى الذي ملأ البحارَ مهابةً
عمرو بن حار القيل ذو صرواح

يعرّف « حار » بأنه الحارث وهو عمرو ذو صرواح الملك بن حارث بن مالك بن زيد

ابن حمير الأصفر وهو أحد الملوك المثامنة .

ج ـ المامه باللغة الحميرية وخط المسند :

لانعرف مدى المامه بذلك ولكن ما لدينا في كتاب الاكليل يدلنّا على أنه مطلع عليـــه شخصياً كما يحدثه البعض عن ذلك ايضاً . فقد خصص باباً لحروف المسند (١٠/١٢٢) .

كما عقد مقارنةبين قواعد الكتابة فيالمسند وبينها في العربية فيما يخص حذف الألف اذا وقعت في وسط الحروف « الرحمن ..(١٠/١٦)

ويفسّر بعض الكلمات الحميرية الـــواردة في المساند فيقول ان النسلبي التجمع والمسلبي المجمّع بلغــة حمير في شـرحـه لاحـد النصــوص (١٠/١٨) .

الى ذلك يورد أبياتاً من الشعر بالحميرية مثل :

انــي أنــا القيــل إلــيّ شَرح
حصّنت غمدان بمبهمات (٨/٢١)

وأبياتاً بلغة عربية وبخط مسند
شحرار قصر العـلا المنيف
أســّـه تبّـــع ينـــوف

يسكنه القَيل ذي مُعاصر
تخرّ قـدامه الأنـــوف

وهذا اذا صح ظاهرة لغوية مهمة أن تكتب لغة بغير حرفها لأن في ذلك دليلا على مرحلـــة من مراحل الصراع اللغوي بين لغتين مما يذكرنا بالصراع بين العربية والسريانية في لبنان حـين مرّ بمرحلة كانت تكتب فيها العربية بخـط سرياني وهو ما نسميه : الكرشوني .

وفي جميع الأحوال فقد تفادى الهمداني ثغرة كبيرة كان يقع فيها معظم لغويي العرب بعد اتقانهم للغات غير لغتهم مما أوقعهم في اشكالات اشتقاقية ومعجميـــة كثيرة .

ولو تسنى لنا الاطلاع على الجزء التاسع لكنا وجدنا بالتأكيد اموراً كثيرة ومهمة حول الحميرية عند الهمداني .

٦ ـ الاسلوب القصصي

تكثر في اكليل الهمداني القصص التـي يوردها دليلا على ما يريد شرحهأو ذكراً لمـا سمعه حول أثر من الآثار أو خبر من الأخبـار وتكثر هذه القصص بشكل خاص في بــاب القبوريات من الجزء الثامن مواضيع هــذه الأقاصيص متنوعة ولكن أكثرها تاريخي أو أسطوري ، ويتراوح حجمها ما بين أسطر قليلة (قصة وهب بن منبه ٨/٢٢) وصفحات قليلة (قصة الخبر عن قبر ورعة بنت عاد ٤ صفحات ٨/١٤٠) واذا لم تكن القصة عند الهمداني بحد ذاتها هدفاً يحشد له كل المستلزمات الفنية فان كثيراً من هذه المستلزمات متوفر في أقاصيصه تبدأ هذه الأقاصيص عادة باسناد الرواية :

حدثني فلان ـ قال فلان ـ روى .....
خبر عـن .....

ويأتي بعد ذلك الى سرد القصة بتواصل عضوي ومعنوي مُتخللاً منه في أغلب الأحيان عنصر الحوار الذي يشكل أحد عناصر القصة الفنية . وما يميّز معظم أقاصيصه هو التشويق

الناتج عن أسلوب الكاتب من ناحية وعـــن أجواء القصة التاريخية والأسطورية من ناحيــة ثانيـــــة •

شيء آخر هو ان الهمداني الذي لم يسجع في كتاباته ، يستعمل السجع في أقاصيصه ، وان يكـن على لسـان غيره •

« واذا على السرير الأول شيخ كبير أصلع أدرد عليه حلتان عدنيتان مرصعتان بالجواهــر وعند رأسه كتاب بالمسند « أنا عاد بـن ارم دوّختُ البلاد ، وملكتُ العباد وأكثرت من الأولاد ، أتانا مخبر فكذبناه ونهى فما صدّقناه فجاءتنا ريح السوء فتركنا هُمودا » (١٤٢/٨)

ويذكرنا هذا السجع الكهان والوعّاظ في الجاهلية مع تشابك الموقف هنا وهناك •

٧ ــ بنية الجملة عند الهمداني

تنعكس خصائص أسلوب الهمداني التي تحدثنا عنها على بنية الجملة عنده فالهدف مــن كتابته ايصال الفكرة بقالب جميل ، من هنا فهو لا يكثّف جُمله ولا يحملها فوق طاقتها ، كما لا يسترسل فيها محافظا بذلك على التوازن بين الفكرة والتركيب ، فنرى عنده الجمل القصيرة البسيطة كما نرى الجمل المركبة ، تبعاً للموقف•

هذا الموقف نفسه يملي على الهمدانــــي نوعيّة الجمل ؛ فنراها خبرية (وهذا هو الغالب عنده) فيسرده للأخبار والمعارف كما نراهـــا انشائية في الحوار القصصي ، وقد تتداخل في أقاصيصه (خاصة تلك التي يكون فيها حوار) الجمل الخبرية والانشـائية فتعطي الأسلـوب حيوية وتبعده عن الرتابة •

وبالنسبة لترتيب عناصر الجملة (المسند والمسند اليه والتكملات) لا نرى عند الهمداني خروجاً عن المألوف •

فاذا كان موقع المسند اليه في الجملة الفعلية بعد المسند وفي الاسمية قبله فان موقع التكملة هو الذي يميز المألوف عن غير المألوف والجائز عن غير الجائز •

وضمن الجائز والمألوف يتصرف الهمداني بالتكملات فيقدمها على المسند والمسند اليه اذا كان في ذلك حاجة :

واليه أفضى الملك (١٣/٨) واليه ينسب محفـد ٠٠ ١٧ ــ ١٨

فقد قدّم التكملة هنا (حرف الجــــر ومجروره) للتأكيد أولا ولعلاقة الضمير المجرور وتظراً للمواضيع التي يطرقها نرى الهمداني بالاسم السابق عليه ثانياً •

يستعمل أحياناً صيغاً معينة ويكثر منها أ مثل وامّا ٠٠٠ ف ١١٧ ــ ١٢١ •

وأما انها اليمن فلا يحتمل هذا الموضوع ذكرهـــــا

وأما الجبال المقدّسة فهي ٠٠٠

ومثل: لاأعلم أحداً ٠٠الا(١١٢/٨ــ١٠٨ــ١١٩)
لا أعلم أنه ٠٠٠ الا

كما يكثر أحياناً من اذا الفجائية في قصصه فقد وردت أربع مرات في أربعة أسطـر فـي (خبر عن قبر تدمر بنت حسان (١٢٤/٨) ووردت

ست مرات في صفحة واحدة في (خبر آخر عن قيل وابنتين لتبع » (٨/١٢٦) .

وكما يقدم الهمداني الجار والمجرور في الجمل الفعلية الى مطلع الجملة ، كذلك يفعل في الجمل الاسمية ،وذلك لأسباب لغوية وبلاغية :

ومن قصور الظاهر قصر تبع (٨/١٠٤)

ومن محافد اليمن براقش ومعين (٨/١٠٥)

ومن قصور اليمن شبام سخيم (٨٣)

وفي بلد همدان سد بيت كلاب (١١٧)

ومن الأسداد سد الكميم (١١٧)

هذا ويبدو أثر القرآن الكريم واضحاً في تراكيب وصيغ كثيرة لجمل الهمداني ، كما في قوله عن أعمدة العرش السفلي في مأرب :

لو اجتمع جيل على أن يصرعوا واحدة منها لم يقدروا (٨/٤٧)

وأخيراً فان ما قيل في كتابة الجاحظ بأنها كتابة ذات موضوع قبل أن تكون كتابة ذات أسلوب (٢٨) يمكن أن يقال عن كتابة الهمداني مع أن أسلوب هذا الاخير لم يبلغ مبلغ أسلوب الجاحظ الفني .

وليس هذا وحده القاسم المشترك بين الهمداني والجاحظ فهناك أكثر من سمة تجمع بينهما مثل تشعب المعلومات والواقعية الأسلوبية ومعايشة واقع الأمور مما لم يفعله الكثيرون من كتاب البلاطات وغيرهم . واذا كان الجاحظ قد عبر بالدرجة الأولى عن واقع عصره فان الهمداني قد وصف معالم عصره الضاربة جذورها في واقع التاريخ .

الهوامش

١ ـ تتركز الدراسة حول كتاب الاكليل بالدرجة الاولى وبالتحديد من خلال الجزءين الثامن والعاشر (نشر نبيه أمين فارس ، برنستون ١٩٤٠)

٢ ـ الاكليل ج ٨ ص ١٠

٣ ـ الاكليل ٨ ص ١٨

٤ ـ الاكليل ج ٨ ص ٤

٥ ـ الاكليل ج ٨ ص ٩

٦ ـ حتي ، فيليب : تاريخ العرب ، دار غندور ، الطبعة الخامسة ص ٧٩

٧ ـ الاكليل ج ٨ ص ٧

٨ ـ الاكليل ج٨ ص ٨

٩ ـ الاكليل ج ٨ ص ٥

١٠ ـ الاكليل ج ٨ ص ٩

١١ ـ الاكليل ج ٨ ص ٨

١٢ ـ الاكليل ج ٨ ص ٥

١٣ ـ الاكليل ج ٨ ص ٦

١٤ ـ الاكليل ج ٨ ص ٧

١٥ ـ الاكليل ج ٨ ص ٩

١٦ ـ ضيف ، شوقي : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف بمصر طبعة رابعة ١٩٦٥ ص ٢١٤

١٧ ـ المصدر السابق ص ٢٦٢ ٠

١٨ ـ المصدر السابق ص ٢١٤ (عن معجم الادباء ٦/٢٣٧)

١٩ ـ المصدر السابق ص ٢١٤ (عن معجم الادباء ٦/٦١٣)

٢٠ ـ الاكليل ج ٨ ص ٨

٢١ ـ ضيف ، شوقي : نفس المصدر ٢٢٨

٢٢ ـ الاكليل ج ٨ ص ٤

٢٣ ـ الاكليل ج ٨ ص ١٩

٢٤ ـ الاكليل ج ٨ ص ٤٩

٢٥ ـ الاكليل ج ٨ ص ٢١

٢٦ ـ الاكليل ج ٨ ص ٤٣

٢٧ ـ الاكليل ج ٨ ص ٢٠

٢٨ ـ شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٦١ ٠

البديعيات وبديعيات يمنية

علي أبو زيد
قسم اللغة العربية - جامعة دمشق

ما زال الحديث عن فن البديعيات يعني حديثاً عن فن من فنون الشعر العربي مجهول المعالم والحدود ، حتى عند كثير من المتعلمين . وما ذاك إلا لأن هذا الفن ما زالت الدراسات حوله قليلة جداً ، وسطحية الى درجة كانت معها الآراء والأحكام فيه عامة ومجانبة للصواب ، في كثير من الاحيان .

ومن هنا وجدتني مندفعاً نحو هذا الفن الشعري الطريف الذي رأى النور وظهر إلى الوجود على يد الصفي الحلي (ت : ٧٥٠ هـ) في القرن الثامن الهجري ، وخرج مكتملا للناس بلبوس شعري ما عرفوه به من قبل ، ولا آباؤهم الأولون .

واستمر ركب هذا الفن الشعري حتى عهد قريب جداً منا اليوم لا يبعد أكثر من نصف قرن ، وبالرغم من تعميره أكثر من سبعة قرون من عمر تراث هذه الأمة ، وانسياحه على رقعة واسعة من أرض الدولة العربية الإسلامية ، ما زال مجهول المعالم والحدود .

والباحث الذي يريد معرفة هذا الفن : شروطه وحدوده وصفاته ، سيجد نفسه في دوامة من الآراء والتعريفات والحدود لا يصدق واحد منها على فن البديعيات ، فهي تارة تتسع وتكبر حتى تكون فضفاضة على هذا الفن ، وأخرى تضيق وتصغر حتى تصبح أقل من أن تحتضن البديعيات تحتها .

وإن شئت فاسمع بعضاً من هذه التعريفات لتقف على حقيقة ذلك :

فصاحب « كشف الظنون » يحدثنا عمّا ألف في فن (البديع) ويقول : « ومنها بديعيات الأدباء ، وهي شروح مع قصائدها » (١) .

والدكتور زكي مبارك يرى أن البديعيات أثر من آثار البردة ، تمثل عند ابن جابر الاندلسي (ت ٧٨٠ هـ) الذي « شغل نفسه بمعارضة البردة ، ولكن أي معارضة ، لقد ابتكر فناً جديداً هو البديعيات ، وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ، ولكن كل بيت من أبياتها يشير الى فن من فنون البديع »[٢] .

ويرى محمود رزق سليم أن « القصيدة البديعية : منظومة يتوخى فيها الناظم أن يضمن كل بيت من أبياتها لوناً من ألوان البديع أو أكثر ، وهذه هي السمة الأولى الأصلية في كل بديعية » [٣] .

ويبدو أن د. عمر فروخ كان يرى أن البديعية تعني : المدحة النبوية [٤] ، فهو في حديثه عن صفي الدين الحلي يقول : « وإذا نحن استثنينا البوصيري ، كان صفي الدين أول من قصد نظم البديعيات :القصائد في مدح الرسول ، أو جعل منها فناً قائماً بنفسه على الأصح » [٥] .

كذلك يخطىء صاحب « الصبغ البديعي » فيزعم أن البديعيات هي « القصائد التي اشتمل كل بيت منها على لون أو أكثر من ألوان البديع تمثيلا فقط أو مضموماً إليه التزام التورية باسمه » [٦] .

ومثل هذه الآراء نجدها عند من تطرق الى الحديث عن فن البديعيات ، وتوقف عنده توقف متعجل [٧] .

ولو جئنا بما عندنا من البديعيات وعرضناه على هذه الأقوال والآراء ، محاولين المطابقة بين الاسم والمسمى ، والتعريف والمعرّف به ، لما وجدنا إلى ذلك سبيلا ، ولرأينا هذه التعريفات ــ وكما أشرت قبل قليل ــ لا تنطبق تماماً على البديعيات ، ولا توضحها بشكل صحيح .

فلا تُعد كل قصيدة تضمنت نوعاً من أنواع البديع في أبياتها (بديعية) كما فعل غير واحد عندما جعلوا قصيدتي علي بن عثمان أمين الدين الاربلي (ت ٦٧٠ هـ) [٨] ، وعبد علي بن ناصر ابن رحمة الحوزي (ت ١٠٥٣هـ)[٩] ، وقصيدة ابن نباتة المصري التي مطلعها :

صَحا القَلْبُ لولا نَسْمَةٌ تَتَخطَّرُ
ولمَعْةُ بَرق بالفضا تَتَسَعَّرُ [١٠]

جعلوا هذه القصائد من البديعيات . فلو قبلنا ذلك لاضطررنا الى إدخال الكثير من القصائد والمقطعات والأبيات التي قيلت في العصر المملوكي وما بعده ــ وربما في غيره ــ مما ليس من البديعيات ، ضمن سلك هذا الفن ، لانها لا تكاد تخلو من نوع بديعي في كل بيت من أبياتها .

وأن يقتصر تعريف البديعية على أنها في مدح النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهذا يعني أن ندخل جميع المدائح النبوية ضمن البديعيات ، وبالنتيجة فأين هذا الفن الجديد الذي نريد بحثه ودراسته ؟! .

ومن هنا ، وبعد استقراء ما بين يدي من البديعيات ، وما عثرت عليه من أخبار المفقود منها ، وجدت أنه من الصعوبة بمكان أن نطلق

تعريفاً واحداً يحتضن جميع البديعيات : لاتخرج عنه واحدة ، ولم يشذ عنه شاعر ، ولذلك أرى أن يكون لمصطلح (البديعية) تعريفان اثنان احدهما يشمل جميع البديعيات ، على شيء من التعميم الذي يخرجه عن دقة التحديد ، والآخر خاص دقيق يضم التعريف الصحيح للبديعية كما أريد لها أن تكون ، وكما سار عليه معظم الشعراء ، لا كما آلت إليه من شذوذ عند بعضهم :

١ ـ التعريف العام لـ « البديعية » :

البديعية : قصيدة طويلة في مدح نبي (ونادراً غيره) يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً جديداً من أنواع البديع ، يكون هذا البيت شاهداً عليه ، وربما وُرّي باسم النوع البديعي في البيت نفسه .

وعلى هذا الحد يمكننا إدخال جميع البديعيات ضمنه ، دون أن نشير الى بديعيات شاذة .

٢ ـ التعريف الخاص :

البديعية : قصيدة طويلة في مدح النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بحر البسيط ، وروي الميم المكسورة ، يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً جديداً من أنواع البديع يكون هذا البيت شاهداً عليه ، وربما وُرّي باسم النوع البديعي في البيت نفسه .

وأتجنب اعتراض سائل بتوضيح الفرق بين هذين الحدين للبديعية ، فأقول :

ان التعريف الثاني مخصص مقيد ليخرج القصائد ذات الأبيات القليلة أولا ، ثم ليخرج بالقصائد التي تيات في مدح غير النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي جاءت في مرحلة متأخرة وعلى ندرة . وبعد مالايقل عن أربعة قرون ونصف قرن من الزمن . ولينحي القصائد التي كانت على غير روي الميم المكسورة والبحر البسيط مما جاء شاذا عن الاصول الأولى للبديعيات والتي جعلت من شكل بردة البوصيري نمطا لها ، وإن كانت تلك القصائد تدخل ضمن البديعيات من الشذوذ والذي يؤكد القاعدة ، والذي طرأ نتيجة لتوالي الأهلة والبدور عليها .

وهذا التعريف على تقييده وإخراجه لهذه البديعيات الشاذة ، فإنه يحتضن معظم البديعيات على اختلاف أزمنتها منذ نشأتها وإلى أيامنا هذه ، ويجعل من المُبْعَد منها شاذاً يؤكد القاعدة .

فإن شئت بعد هذا البيان أن تقبل التعريف الخاص ، وتنحي العام جانباً ، فلا ضير في ذلك ، اذ عليه سار أغلب الشعراء البديعيين .

والبديعيات اذاً هي هذا الفن الشعري الطريف ، الذي بزغ نجمه في القرن الثامن للهجرة ، وتلألأ على صفحات التراث في القرون المتتالية ، فجمع بين متعة الشعر ومنفعة العلم ، ووافق بين الذوق والإحساس ، فلا نعدم فيه صورة جميلة أو أبياتاً رائعة أو تعبيراً عفوياً وعاطفة صادقة ، أو لمحة وجدانية معبرة ، اضافة الى ما يحمله لنا من أنواع فن (البديع) ثالث أركان البلاغة العربية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ذلك العصر الذي اكتمل فيه نمو (البديعية) كان عصر

المنظومات العلمية التعليمية في شتى العلوم والفنون : النحو ، والصرف ، والعروض ، والفقه ، والأحكام ... وغير ذلك . إلا أن تلك المنظومات كانت تنحت من صميم الفكر ، وتمزج بقوانين العقل ، وتصب في قوالب القواعد ، دون التلون بعاطفة ، أو الاقتران بغرض من أغراض الشعر المعروفة ، إذ الغاية كل الغاية أن تنظم المعلومات في تفعيلات شعرية يسهل على الناس حفظها . أما البديعيات فقد ضمت الغرض الشعري ملونا بعاطفة الشاعر وأحاسيسه وروحانيته إلى جانب الغاية العلمية . وليت شعري مَن ذا الذي يقرأ بديعية الصفي الحلي مثلا وألفية ابن مالك ، ولا يجد مصداق ما أقول ؟!

وبعد أن علمنا حد البديعيات : أراك متسائلا عن نشأتها وتطورها ، وهنا لا بد من الاعتراف أن مثل هذا الحديث يطول ويتسع متشعبا تضيق عنه صفحات (المقالة) ، وقد أنجزت في ذلك بحثاً بعنوان★ (البديعيات في الأدب العربي : نشأتها ، تطورها : أثرها) ، إنما أضع بين يديك بعض ملامح النشأة الاولى التي وصلتُ إليها .

فقد ثبت عندي بالأدلة والبراهين أن أول من نظم بديعية مكتملة الشروط والأركان هو صفي الدين الحلي ، عبد العزيز بن سرايا (ت ٧٥٠ هـ) صاحب « الكافية البديعية في المدائح النبوية » التي مطلعها :

إنْ جئْتَ سَلْعاً فَسَلْ عَنْ جِيْرَةِ العَلَمِ
وَاقْرِ السَّلامَ على عُرْبٍ بِذي سَلَمِ

وهي تقع في (١٤٥) بيتا ، متضمنة (١٥١) نوعا بديعياً . وعاصره ابن جابر الأندلسي ، محمد بن أحمد (ت ٧٨٠ هـ) ونظم بديعية أطلق عليها اسم « الحلة السيرا في مدح خير الورى » ومطلعها :

بِطَيْبَةَ انْزِلْ ويَمِّمْ سَيِّدَ الأُمَمِ
وانْشُرْ لَهُ المَدحَ وانْثُرْ أطْيَبَ الكَلِمِ

وهي تقع في (١٧٧) بيتا ، قصرها على أنواع البديع المحضة التي بلغت فيها (٥١) نوعا ، هذه الأنواع مجزّأة إلى فروع ، فالجناس مثلاً ذكر له ثمانية أنواع مجزّأة إلى (٦٠) نوعاً ذكرها في (٣٤) بيتاً .

ويعد عز الدين الموصلي ، علي بن الحسين (ت ٧٨٧ هـ) أول من أضاف جديداً إلى البديعيات عندما التزم بتسمية النوع البديعي ضمن البيت مورّياً به ، في بديعيته التي أطلق عليها إسم « التوصل بالبديع الى التوسل بالشفيع » ومطلعها :

(بَراعَتي تَسْتَهِلُّ) الدَّمْعَ في العَلَمِ
عِبارَةً عَنْ نِداءِ المُفْرَدِ العَلَمِ

ثم استمرت مسيرة البديعيات منطلقة في أصقاع الدولة على مدى أكثر من سبعة قرون من عمر الزمن ، شارك فيها كثير من مشاهير الشعراء ، وقد بلغ ما وصلت إليه من نصوص البديعيات وأخبارها نحواً من مئة بديعية .

وبالطبع فعندما أقول إن صفي الدين

★ عن هذا البحث نال الاستاذ الباحث شهادة الماجستير بدرجة ممتاز في الادب العربي (قسم اللغة العربية ـ جامعة دمشق) في النصف الاول من هذا العام ـ المحرر .

الحلي هو أول من نظم بديعية مكتملة ، أعلم يقيناً أن بعضهم قد جعل أولية البديعيات لعلي ابن عثمان أمين الدين السليماني الاربلي (ت ٦٧٠ هـ) الذي نظم قصيدة من ستة وثلاثين بيتاً ـ كما وردت في « فوات الوفيات » [illegible] ـ على روي اللام المكسورة . والبحر الخفيف ، وفي مدح غير نبوي . تضمن كل بيت منها نوعاً من أنواع البديع ، ومطلعها ، وفيه (الجناس اللفظي) :

بَغَضَ هذا الدلالِ والإدلالِ
حالي الهجرِ والتجنّبِ حالي

ومع ذلك فإن هذه القصيدة لا يصح بحال من الاحوال أن تعد من البديعيات ، إذ لا تملك من مقوماتها وآشراطهاشيئاً ، اللهم إلا ذكر بعض الأنواع البديعية فيها ، وهذا لا يكفي لجعلها من البديعيات ، فإذا أردنا إن نقرنها بالبديعيات ونلتمس لها مكاناً بينها ، فهي واحدة من الارهاصات والمسببات الكثيرة والمتعددة التي سبقت خلق البديعيات وحرضت عليه [12] .

وقد كان لشعراء اليمن فضل السبق بالمشاركة في هذا الفن الطريف والخوض في غماره ، والاسهام في ركبه ، بالرغم من ظهوره في شمال الدولة ،وكان انتقاله إليهم مبكراً وسريعاً جداً ، وقبل مضي نصف قرن من ظهوره .

فهذا عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن عمر بن علي ، وجيه الدين العلوي الزبيدي اليمني ينظم بديعية على غرار بديعية الصفي الحلي ويطلق عليها اسم « الجوهر الرفيع ووجه المعاني في معرفة أنواع البديع » .

وكانت ولادةعبد الرحمن هذا سنة (٧٤٨ هـ) بزبيد ، وتتلمذ على علمائها : وترقى في الخدم السلطانيه ، إلا ان الحاسدين عملوا عليه ووشوا به . فاعتقل وحبس مدة ، ثم أطلق وعاد إلى سيرته الأولى ، وعمل على بناء مدرسة بزبيد سنة (٧٩٥ هـ) ، وجعل فيها درساً للحنفية ، وآخر للشافعية .

و « كان فقيها لبيباً أديبا جواداً سخياً هماماً أبياً ممدحاً ، ذا نظر كثير في العلوم ومشاركة في المنثور والمنظوم » [13] . توفي سنة ثلاث أو أربع وثمانمئة .

وبديعيته هذه قد شرحها شرحاً وافياً ، وإن كنت لا أعلم شيئاً عن هذا الشرح ، كما شرحها له عيسى بن حجاج المعروف بعويس العالية (ت ٨٠٧ هـ) .

ولم يلتزم عبد الرحمن التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت كما فعل العز الموصلي ، إنما آثر السير على نهج الصفي الحلي ، ومطلع هذه البديعية :

سَلْ ما بِسَلْمى وسَلْ ما ربّةُ السَّلَمِ
وخُصَّ طيبةَ مأوى الطيبِ والكَرَمِ

وقد أخطأ صاحب « هداية العارفين » [14] وتابعه عمر رضا كحالة [15] فنسبا هذه البديعية لعبد الرحمن بن ابراهيم بن اسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يوسف العلوي المتوفي سنة (٩٢٠ هـ) .

ومما يؤيد انها ليست له ما ذكره صاحب « الضوء اللامع » عن شيخه من أن عبد الرحمن ابن محمد أرسل إليه بديعته مجيزاً له بها ، ثم قال : قلت : قد قرأتها بخطه المشار اليه ، وهي

رِواية" ما لنا فيهِ سَماع

مِنَ الأصْلينِ أيضاً والفُروعِ (١٦)

و (جوهَرُنا الرفيع) وما حَواهُ

مِنَ العلم الملقبِ بالبَديعِ

وكتب شيخنا تلو خطه : انه من أعيان أهل زبيد ، وكانت لهوجاهة ورياسة ... وهذا عنوانه ، وأشار بقوله : « وجوهرنا الرفيع » إلى البديعية ، يعني المشار إليها » .

وشيء آخر يضاف الى هذا وهو ما جاء في مقدمة نص البديعية في المخطوطة مما يؤكد ذلك ، وسيأتي بعد قليل .

فإن صح أن لعبد الرحمن بن ابراهيم بديعية ، فهي بديعيةأخرى غير « الجوهر الرفيع » وبذلك يزداد عدد البديعيات المعروفة واحدة ، وتضاف الى سلك البديعيات اليمنية بديعية اخرى .

وبين يدي صورة عن مخطوطة « الجوهر الرفيع » الموجودة في برلين برقم (٧٣٧٦) إلا أنها غير كاملة ، ولا أدري ان كان النقص من المخطوطة الأصلية أو من نتيجة التصوير ، إذ آخر أبيات هذه البديعية فيه (المزاوجة) لا (حسن الختام) كما هو معهود فيالبديعيات.

وعدد أبياتها (١٣١) بيتاً ، فيها (١٣٦) نوعاً بديعياً .

وقد ذكر ابن معصوم المدني (ت١١٢٠ هـ) في شرح بديعيته « انوار الربيع في انواع البديع » بعضاً من أبياتهذه البديعية ، ولذلك حاولت الافادة من ذلكبمقابلته مع المخطوط ، وسأذكر الأبيات التي ذكرها ابن معصوم ولم ترد في المخطوط ، في نهاية النص مع الاشارة الى مواطن الاختلاف في رواية بعض الابيات التي كانت بين نص ابن معصوم ونص المخطوطة كما سأنقل بعض التعليقات التي أوردها ابن معصوم في شرحه نقلا عن شرح عبد الرحمن على بديعيته .

وأخيراً أود أن أنبه على ان هذهالبديعية لا تعطي الوجه المشرق للبديعيات لما ينتابها من علل الركاكة والضعف وعدم التمكن من ناحية هذا الفن ، اذ يبدو أن صاحبها لم يكن مقتدراً على البديعيات ، وهذا ما حمل صاحب « الضوء اللامع » على أن يقول بحقه نقلا عن شيخه : « وهو شاعر ليس له سماع ولا رواية ولا دراية وقد اجتمعت بهفرأيته عريض الدعاوى ، كثير الشقاشق ، قليل العلم إلى الغاية لكنه ينظم(١٨) .

فاذا علمت هذا ، لاضير بعده من ذكر نص البديعية الموجود على أنه تراث يمثل جانباً من جوانب صاحبه ، ومرحلة أولى من مراحل انتقال هذا الفن من شمال الدولة آنذاك الى جنوبها .

الجوهر الرفيع ووجه المعاني

في معرفة أنواع البديـــع

★ عبد الرحمن بن محمد بن يوسف

براعة المطلع

سَل ما بسلمى وسَل ماربّة السّلم
وخص طِيبة مأوى الطيب والكرم(١٩)

تجنيس التلفيق

فمذ رأى نظري برقاً أراق دمي
من طِيبة لم أُطق يوماً أرى قدمي

المذيل واللاحق

فالقلب ولهان شاك شاكرٌ قلق
شوقاً الى العلم المخفوق بالسلم

التام والمطرف

صب ولي مدمع صب يمازجه
قلبي بصب دم أجراه لي ندمي(٢٠)

المصحف والمحرف

قد كنت في غرة مما أكابده
من عزة فلقيت السام في السأم

اللفظي والمقلوب

ضناً لقيت وظنا ما ظفرت به
فبت من سقمي أشكو ومن قسمي

(المعنوي)

من كل قَدّ أبو حسان سطوته
وفي مقام ابن حمدان استباح دمي(٢١)

المطابقة

ان رمت صبراً فصبري قاصرٌ أبداً
أو رمت أقصر عشقي طال بي ألمي

الاستطراد

كأنني في الهوى قيس ورفقته
لكن هزلي به يعلو بجِدهم

التوشيع

وهاك جسمي لولا الوَجد أنطقني
ماكاد يبصر كه طرف من السقم(٢٢)

المقابلــة

فقد فـرقت لبعد عن فريقهـم
كمـا أمنت بقـرب مـن ربـوعهـم

اللف والنشر

دائي دوائي وأحـزاني وتسـايتي
في اللحـظ والثغـر و الهجـران واللمم

التذييـل

ما أصعـب الحبّ لولا الوصـل منتظر
لـذابـت النفس والمهجـور لـم يقـم

الالتفات

ولائـم في هـوى من ليس يشهـده
أتعبت نفسـك لـو شاهـدت لـم تلـم

التفويـق

أتعِب ، أرِح ، أكثِر أخفِ ، إبدِ ، أفق
نم ، رِقّ ، شدّ ، تكتم ، افش ، عدّ ، همِ

الهزل المراد به الجـد

أخـافُ لومـك انْ شـاهدت نورهمُ
يجني عليـك فان السم في الدسم (٢٢)

عتاب المرء نفسه

كم قلت للنفس قبـل البـين لاتلجـي
بحـر الغـرام فلـم تلفت الى كلمي

رد العجز على الصدر

دمـي على طـلل الأحبـاب منسكبٌ
فمـا تشاهـد فوق الربـع غير دمي(٢٤)

المواربة

عزوا وكل حظيـظ النفسِ عزّ تـه
مـن أصله فهـو بـين الناس كالعلم

الهجاء في معرض المدح

ومن يكن لـلأذى في الدهـر محتمـلا
فذاك يأوي اليه كـل ذي عـدم

التهكـم

ياعـاذلا قـد أفاد النصح مجتهـداً
بشراك مني بالجـزاء [و] النقـم(٢٥)

الابهـام

ماكـان أغنـاك مـن عذلي فليـت اذا
كان الحمـام حمـاني عذل متّهم

النزاهـة

ما كُنـتَ قبلُ أخـا حلم فتعذُرَني
لكـن غدرت وبعت الحِلمَ بالحُلُمِ

التسليـم

ومـا أطقت وداعـاً يـوم ما دخلـوا
ولو أطقـتُ فمـا قـلبي بمحتـكمِ

التخيير

فـان فيـه لهيـب الشوق مضطـرم
وكيف يخلو فؤادُ الصبّ من ضَرَم (٢٦)

القول بالموجب

قالوا : فقـدت هواهـم بعدمـا ظعنوا
نعـم فقدتُ فؤادي يـوم ظَعنِهِمِ

الافتنان

ان كُنتُ آسيتهم مثقـال خردلـة
فـلا دُعيتُ بعالي القـدرِ والهِمَمِ

المناقضــة

وربـمـا أتنـاساهـم اذا رجعـت
في التـرب روحي وعـادت باطن الرحم

المراجعــة

قالوا : رضيت بأخذ الروح ؟ قلت :نعم
قالوا : فمـا أنـت ترجو ؟ قلت :للعدم

التغاير **

قالوا : عذرناك،قلت : العذل أرفق بي
فطـولوهُ فلي فيـه الشّفا بِهِمِ

الاكتفــاء

قالوا : سقامُكَ قد أخفاكَ عن نظرٍ
أماكفاك سقـام الجسـم ؟ قلـت : هم

تشابه الاطــراف

لم يعلموا أننـي عمـداً أبحت دمـي
لمُصرِمـي وهـو في حـل من الحـرم

الاستدراك

رأيتهم في الورى قد حكّموا حكمـاً
عـدلا ولكن قضى فيهم بسفك دمي (٢٧)

الاستثناء

وقـد رضيـت بمـا أرضاه صارمُه
الا الفـؤاد فـأعصانـي لفقدهـم

(التشريع) ***

لو جـاد أهلُ الكثيـب الفردِ يومَ نأوا
بنظـرةٍ مـن قريـب لاشـتفى ألمي

التمثيـل

وكان يـورق عودي عنـد رؤيتهـم
إيـراق ذاوٍ مـن الأغصـان بالدِّيمِ

تجاهل العارف

يا فاتـرِ اللحـظِ هـل هاروتُ أودعكم
بسحـره أم سهام المـوت في الحَـرَمِ

ارسال المثل

بسقمِ عينيـك أسـقم كل جارحـةٍ
فـرب داء دفـين صـح بـالسقـم

التتميم

وان تـرد مهجتي والقلـب فهـو لكم
مِلكٌ وهـاك فـؤادي فيــه فاحتكـمِ

الكلام الجامـع

فكـل مـن رام أمـراً عـز مطلبـه
لـم يلــوه عنه ضرب السيف في القمم

التوجيــه

ومـن يظـن ابتـداء الحـب يرفعـه
فحرف جـر الهـوى يـدنيـه للعـدم

القسم

لا أورثتني سيوف المجد يـوم وغى
ولا رقيــتُ معـالي الفضلِ والكرَمِ

الاستعـارة

ان لـم أنقح جمانـاً للقـريض اذا
شـدا به الشادي أشفى كلَّ ذي صممِ

مراعاة النظير

ذخائر اللب تهدى نحـو تاجـرهـا
ذخيرة الدهـر تجلي الدهر بالحكـم (٢٨)

براعــة المخلص

ان أنشدت ترقص الأكوان من طـرب
وكيف لا وهي في المختـار في القـدم

الاطـــراد

مُحَمَّدُ بن ذبيح اللهِ نسل خليــل
اللهِ نسـل صـفيِّ الله ذو الشـيمِ

التكـرار

السيد العلم بن السيد العلم بــ ...
ـن السيـد العلـم بـن السيد العلم

التوريــة

مبشراً ونذيـراً جـاء متضحــا
في (الكهف) أفضل خلق الله كلهم (٢٩)

المذهب الكلامي

أيستوي مـن بقرب العرش بـات له
قولٌ ومن في (طوى) قد خَصَّ بالكلم (٣٠)

التوشيع

عنايــة سبقت قــول الوجـود جــرت
في مثبت الأقــدمين : اللــوح والقلــم

المناسبة اللفظية

الله شرفه قـــدراً على الــرسل
الله خــولـــه فخــراً علــى الأمــم

التكميـل

فما تـــرى الدهـــر الا عبر خــدمتــه
كذا القضاء بــأمـــر العادل الحكــم

العكس

ان رامَ أمــراً فأمــراً رام طــاعتــه ـ
وطــاعــة لــم ترم مــا لــم لــه ترم

التــرديــد

لــه المقال اذا عـــز المقـــال علـى
أهـل المقـالِ بيـوم الحشر والنـدم

المبالغــة

كفاه فخـــراً لـــواء الحمد حيـث بـه
تـظـلّـلَ الرسلُ والأخيـارُ كلـهـم

الاغــراق

لو أنّ للسحبِ أعيانـاً لما هـطـلـت
لما تـــرى فيه مــن جــود ومن كرم(٢١)

الغلــو

لأجله كـــل مــن في الكون قــد خلقوا
ولـــو أراد لمــا ردوا الــى العــدم

الايغــال

كأن شمس الضحى من نــوره كسبت
ورونــق الحسن منــه صيـغ في القـدم

نفي الشيء بايجابه

يعني ولا مـــن يؤدي قلب سائلـــه
وجاره ليس يخشى فتــك مخترم(٢٢)

الاشارة

تفيد بعـض نــوال منـــه أمتـــه
عــزاً عظيماً دوامـاً غــير منصــرم(٢٣)

النـــوادر

بحـر لــه ساحـل يغنـي الأنــام اذا
جاؤوه قبل دخـول البحـر من عـــدم

الترشيـــح

تــراه أسود مـــن لبس الدروع لـــه
بياض وجه يضي للـوفـد في الظلـم

الجمــع

أطعامه و سجـايـــاه و نائلـــه
مـــن دونهـا تنتهي الغايات في الكرم

التفريق

ان جاد أغنى وليس الغيث فيـه غنى
لِغورِهِ ، وهـــو لاينجابُ كالديـمِ

التقسيـــم

تراه كالبدر نرجـوه و نــرهبـه
والقبض في كفـــه والبسط للأمم(٢٤)

الجمــع مع التفريق

قضَاهُ كالموتِ حقـاً لا مَرَدّ لـَهُ
والفتك كالموت لـــم يعوزه والعصم

الجمــع مع التقسيم

أفنى الطغاة فنــال السيف بغيتـــه
والجيش منيته في المــال والحــرم

ائتلاف المعنى مع المعنى

فــرد النظـــير فمـن والاه في نعـــم
روح المعالي فمـــن عاداه في نقـم(٢٥)

الاشتراك

صدر المجالس يخشى الصـدر سطوته
صدر الكتائب مــاضي السيــف والقلم

الإيجـاز

ان قـال فالكـون والأقدار قائلـة
أوصـال فالموت في بتـاره الخـذم

المشاكلـة

اذا الـرحيم جـزى بالسوء سيئـة
فطبعـه العفـو للأصحاب والرحم (٢٦)

ائتلاف اللفظ مع المعنى ★★★

وإن عـدا ذو عتـاد غض ساعتـه
بالموت عـاداً غـدا أو كان مـن إرم

التشبيه

كأنـه الموت أو كـالشهـد مطعمـه
في الحـرب والسلم للأعداء والحشم(٢٧)

الاشتقاق

بالوضع كسرى التقى كسراً بدولتـه
وقيصر قصرت عنـه عـلا الهمم (٢٨)

التصريع

فـاق النبيـين في فضـل وفي كـرم
وفي فخـار وفي عـز شيـم

التشطير

لله مـن رجـل بالعـز مشتمـل
بالحـق متسم باللـه معتصـم

الترصيع

من غـامـر مقنـع أو غـائـر سـرع
وثـائر متبـع أو بـاتـر خـذم(٢٩)

الموازنة

مستكمل كـامـل مسـتفصل فصـل
مستفضل فـاضل مستوصـل رحم(٤٠)

التجزئـة

بـوابـل رذم في ماحـل عمـم
و نائـل ثجـم لسائـل عـدم (٤١)

التسجيع

من كف ذ يالكـرم الهامي علىالأمم
الثجاج بالنعـم الـواقي مـن النقـم

المماثلة

فـرّاج معظمـة كشّاف معضلة
سباق أنديـة مزري الحيـا السجم

التسميط

سـرى الـى أفـق والليـل في غسق
وجازفـي طـرق لـم تـرم لـم تـرم

التطريز

فالقرب والوصل والتمكـين منتظـم
في ضمن منتظـم في ضمن منتظم(٤٢)

الارداف

مثبـت سيد الكـونين لا صعـق
يحـل منـه محل اللـب والحكـم

الكنايـة

اذا شاهد الآية الكبرى بمقلتـه
خصيصة دون خلـق الله كلهـم

الالتزام

ونال عـزاً ووصـلا غـير منفصـم
وخصـه الله بالنعمـاء والعصم(٤٣)

التجـريـد

بـدر اذا اشتدت الهيجـاء تشهده
ليثـا يقد العدى في كـل مصطدم(٤٤)

المجـاز

يغشى الوغى بظباة قطّ ماانتضيت
وأغمدت غـير في الأعناق والقمم

الترتيب

فالرأس مغمدها والحلقُ موردُها
والقلب مأكلها والشرب في القدم (٤٥)

الالغاز

يسعى يريد رضى الرحمن مجتهداً
الى كرام ولم يلفت الى الحرم

الايضاح

وكم به ظلّتِ الأجبالُ ساقطةً
عن الخيول بعزم غير منقصم

التوليد

مثبت الجأش يحمي الجيش اذ فرقوا
وباذل العفو اذ يردي لكل كمي(٤٦)

سلامة الاختراع

لو مر في قلبه أن لا يضر فتى
حَر الجحيم لما بالى من الضرم

حسن الاتباع

قلْ ما أردت سوى الإشراك فهو اذاً
من فوق ما قلت من عز ومن عظم(٤٧)

ائتلاف اللفظ مع اللفظ

ينجي الورى من بحار الذنب اذ غرقوا
بمزجها بجواري جاهه العممِ (٤٨)

التوهيم

وكم نجا بصلاة منه ذو خطأٍ
وصام في الحشر كي ينجي من الوضم(٤٩)

تشبيه شيئين بشيئين

فحوضهُ ولواهُ شافيان كما
قدماً شفى كفه والنفث من ألم

ائتلاف اللفظ مع الوزن

يمناه كالحوض تروي كل ذي ظمأ
حباهُ كالرزقِ يأتي كلَّ ذي نسمِ

البسط

منه العطا والندى والجود منبعه
يَزري عطاه عطاء الوابل الرذم (٥٠)

السلب والايجار

ولا يمَنّ ولو أعطي الوجود فتى
لكن يمَنّ على الأسرى بفكهمِ

حصر الجزئي والحاقه بالكلي

فرد هو الكون ان عدت محاسنه
وجدته أصلها من قبل في القدم

الفرائد

فالقبضُ والبسط للأكوانِ قد جُمعا
في كفه ونمير مقنع لظمي (٥١)

العنوان

كهان كسرى حكوا في يوم مولده
بأن دينهم من بعد لم يقم

حسن النسق

والثدي درَّ له والغيم ظلله
والبدر شق له والطرف عنه عمي

التعريض

وقد تسلسل من صلب الى رحم
بكل عقد صحيح الحكم منتظم

الاتفاق

ان ابن آمنة في الحشر آمنة
به الأنام غداً من زلة القدم

ائتلاف الوزن مع المعنى

في كفه سبَّح الحصبا وحذَّرهُ
العضو السميم بسم دس في الدسم(٥٢)

التهذيب والتأديب

فهو الذي جل عن ضد يماثله

اذ خصه الله بالتمكين في القدم

التوزيع

مُحَمَّد المجتبى المحبو من ملك
بما يكرّم من مجدٍ ومن كرمِ (٥٢)

الانسجام

حاز الفخار فلاند ينازعه
وكل فخر سوى ما فيه كالعدم(٥٤)

الايداع

فهو الذي تم معناه وصورته
حتى غدا مفرداً في الناس كالعَلمِ

التمكين

وحطّ عن آدم الرحمن زلتهُ
به و أيوب قد عوفي من الألم(٥٥)

التسهيم

وعاد برداً سلاماً للخليل به
نارٌ تأجج في حرّان بالضرم

الاستعانة

لو ناسبت قدرَهُ آياته عظماً
أحيا اسمهُ حين يدعى دارس الرممِ

التفصيل

فشاة جابر أحياها وقد ذكروا
عنهُ حياة أناس بعد موتهم

التنكيت

قد خَصصت خلقٌ منه سمت شرفاً
بالذكر اذ وصِفت في (نون والقلم) (٥٦)

الحذف

الله أودعَه سراً وعلّمهُ
علما سما محكم الأحكام والحكم

الاتساع

وأبيض الوجه بيض الشم تخدمه
و كل أروع زاكي العقل و الشيم

التفسير

حلو ومر فحالٍ للوفود على
عدوه علقمٌ كالسمّ لم يَرمِ

التعليل

لولا العناية فيه قبل قد سبقت
لم يخلق الناس والدنيا من العدم(٥٧)

التعطف

بفضله كل من في الكون معترف
فضلا يعم جميع الخلق كلهم(٥٨)

جمع المؤتلف والمختلف

وقد تساوى ورسل الله في شرف
لكنه خص بالرؤيا و بالقدم

الاستتباع

وبالشفاعة في الدنيا و آخرة
وباللواء وحوض للورى شبم (٥٩)

التدبيج

قد بيض الوجه حين اسود نقع وغى
فحمرةُ السيف زانت خضرة الدّيم (٦٠)

الابداع

وذلّل الشرك اذ عزّ الشريك له
بالفصلَ والفضلِ في حكمٍ وفي حكمِ

الاستخدام

وثابت القلب يوم الحرب طاعته
بالسمهري اذا حَرّ الوطيس حمي(٦١)

الطاعة والعصيان

تلقاه مبتسماً في موقف ضنك
وكلّ قرنٍ له وجه من الظلمِ(٦٢)

التفريع

ماجبرئيل أمين الله في شرف
يوماً بأشرفَ منه ليلةَ الكلمِ

المدح في معرض الذم

لا عيب فيه سوى ان العصاة به
يلقون عفواً كثير الاثم واللممِ

التعديد

يا أكرم الرسل فقتَ الكل في شرفٍ
بالحلم والعلم والاحسان والكرم(٦٢)

المزاوجة

ومن اذا رمت أحصي مدحه وبقي
عمري عجزت وعشر العشر لم أقم

المستدرك من كتاب ابن معصوم « انوار الربيع في انواع البديع » .

مالا يستحيل بالانعكاس

أنلتنا موئلا واليوم أنت لنا
حصن منيع به ننجو من السقم

(٢٩٠/٥)

السهولة

ومن يكن للا له الفرد فيه ثنا
فمدحُ كلِّ الورى ضربٌ من العدمِ

(٢٧٨/٦)

الادماج

ياطالباً من رسول اللهِ بغيته
أبشر فأمته في الحشر في حرم

(٢٨٤/٦)

الاحتراس

فقلْ له وهو أدرى بالمقال وفي
احسانه الجم جبر الخلق كلهم

(٢٨٩/٦)

حسن البيان

فكلما رام قلبي حصره التطمت
أمواج فكري في بحر من الهمم

(٢٩٥/٦)

العقد

ففاق بالنثر أهل الشعر ثم له
ماينبغي قِسمَه فاقت أولي القسمِ

(٣٠٩/٦)

المساواة

كلامه من كلام الربِّ مأخذه
والاسم من اسمه قد شق حين سمي

(٣١٨/٦)

براعة الطلب

في النفس ماأنت أولى أن تحيط به
لكبر قدرك لم ينطق بذاك فمي

(٣٢٢/٦)

حسن الختام

صلّى عليه بعدِّ الرمل متسقاً
وعدِّ نبتِ الثرى والوابل السجمِ

(٣٣٠/٦)

الحواشي والتعليقات

(١) كشف الظنون (حاجي خليفة) : ٢٣٢/١ .

(٢) المدائح النبوية في الأدب العربي (د. زكي مبارك) : ١٦٩ .

(٣) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : ١٥٧/٦ .

(٤) انظر مثلا ما قاله في ترجمة : الشاب الظريف : ٦٥٦/٣ ، والقاسم بن علي بن هيتمل : ٦٩٢/٣ .

(٥) تاريخ الأدب العربي (د . عمر فروخ) : ٧٧٣/٣ .

(٦) الصبغ البديعي في اللغة العربية (احمد ابراهيم موسى) ، ص : ٣٧٢ .

(٧) انظر مثلا : البلاغة تطور وتاريخ (د.شوقي ضيف) . ص : ٣٦٠ ، الأدب في العصر المملوكي (د.محمد زغلول سلام) : ٢٣١/١ ، بديعيات الآثاري (تحقيق هلال ناجي)، ص : ٦ـ٧ ، البلاغة العربية في فنونها (د.محمد علي سلطاني) ، ص : ١٣ وما بعدها .

(٨) انظر ترجمته في فوات الوفيات (الكتبي): ٣٩/٣ـ٤٣ ، وراجع : الصبغ البديعي ، ص: ٣٧٦ومابعدها .

(٩) انظر سلافة العصر فيمحاسن الشعراء بكل مصر (علي بن معصوم) ، ص : ٥٤٦ ـ ٥٥٣ ، وراجع : الصبغ البديعي ، ص : ٤٥٣ .

(١٠) ظهر الاسلام (احمد امين) : ٢٠٢/٤ .

(١١) راجع ماجاء في الحاشية رقم (٨) .
(١٢) أشار الى مثل هذا الموقف من قصيدة الاربلي ، محمود رزق سليم . انظر : عصر سلاطين المماليك :١٥٨/٦ .

★انظرترجمته في : المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (لابن حجر) : ٢/ ورقة ١٣٤/ب ، الضوء اللامع : ١٥٣/٤ ـ ١٥٤ ، انوار الربيع في انواع البديع : ٢ / ١٥٨ ، هدية العارفين : ٥٢٩/١ .

(١٣) الضوء اللامع : ١٥٣/٤ .
(١٤) هدية العارفين : ٥٤٤/١ .
(١٥) انظر : معجم المؤلفين : ١١٢/٥ .
(١٦) في الأصل : « راوية » ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنى .

(١٧) الضوء اللامع : ١٥٤/٤
(١٨) المصدر السابق .

(١٩) طيبة : من اسماء المدينة المنورة .
(٢٠) في الاصل : «دم» . وقد تكرر حذف ياء المتكلم غير مرة في النص . الا انه لم يكن ملتزماً دوما .

(٢١) في الأصل : «دم» .
(٢٢) كذا الأصل : « يبصر كه » ولايستقيم الوزن بغير جزم الراء . وهو ضرورة .

(٢٣) اورده ابن معصوم في اثناء شرح بديعيته « انوار الربيع في أنواع البديع » : ١٨٤/٢ ، وقال بعده : « قال ناظمه : الشاهد في قولنا : ان السم في الدسم ؛ وهي كلمة تخرج مخرج الهزل وهو جد ؛ لان اكثر ما يكون السم في الدسم » .
(٢٤) في الأصل : «دم» .
(٢٥) الواو مزادة لاقامة الوزن فقط .
(٢٦) اوردة ابن معصوم : ١٥٨/٢ ، وقال: « قال ناظمه : كان ينساغ ان يقول : من سقمي ، من الم ، ونحو ذلك ؛ فكان ذكر (الضرم) اولى لكونه اقوى حراً من (السقم والالم ولأن فيه رد العجز على الصدر » .
★★لم يظهر اسم النوع في التصوير واستدركته لأن البيت من شواهد (التغاير) .
(٢٧) في الأصل : «دم» .
★★★غير واضحة في الأصل .
(٢٨) في الأصل : « نهدي » . وكذلك : «تجلي» .

(٢٩) يشير الى الآية القرآنية : قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً . سورة الكهف : ٢/١٨ .

(٣٠) يريد المفاضلة بين النبي محمد ﷺ الذي كلمه ربه عن قرب ليلة الاسراء والمعراج، وبين النبي موسى عليه السلام الذي كلمه الله تعالى في وادي طوى كما جاء في القرآن الكريم . سورة طه :١٢/٢٠ .

(٣١) في الأصل : « اعيان » .

(٣٢) كذا الأصل . ولم افهم المقصود من الشطر الأول .

(٣٣) اورده ابن معصوم : ٣٠٤/٥ ، وفيه: « وذاما » بدلا من « دواما » .

(٣٤) اورده ابن معصوم : ٢٩٩/٥ ، وروايته فيه :

مرآه كالبرق ترجوه وترهبه
والقبض في كفه والبسط للاضم

(٣٥) اورده ابن معصوم : ٢٠٦/٤ ،وفيه: «زوج» بدلا من «روح» .

(٣٦) اورده ابن معصوم : ٢٨٧/٥ ، وفيه: « ان » « قطيعة » ، بدلا من «اذا» «فطبعه» .

★★★في الأصل «التشبيه» . والتصحيح من ابن معصوم : ٦ /٢٢٠،ومنه تصحيح الشطر الثاني اذ الأصل : « .. عاد عدا .. » .

(٣٧) في الأصل : « للاعداء ومحتشم » . والتصحيح من ابن معصوم : ٢٦٦/٥ ، لاقامة الوزن والمعنى .

(٣٨) في الأصل ورد الشطر الثاني من بدل الشطر الثاني من هذا البيت ، وبالعكس ، وبذلك لا يستقيم المعنى ، ولا الاستشهاد ، ولعله سهو من الناسخ ، فقد أورد البيتين ابن معصوم كما اثبتهما : ٢٧٨/٥ ، و ٢٧٤ .

(٣٩) اورده ابن معصوم : ١٦٥/٦ ، وروايته فيه :

من غاير مقنع او عاير مسرع
وساير متبع او بانر خذم

(٤٠) في الأصل : « مستفضل نضل » باعجام الصاد ، والتصحيح من رواية ابن معصوم : ٢٢٢/٦ ، وفيه « الرحم » بدلا من «رحم» .

(٤١) في الأصل : « نحم » بدلا من «ثجم» والتصحيح من رواية ابن معصوم : ٢٠٢/٦ ، وهي اقرب للمعنى ، وفيه « امم » بدلا من « عمم » . والاثجام : سرعة المطر .

(٤٢) اورده ابن معصوم : ٣٤٤/٥ ، وروايته :

فالوصل والقرب في التمكين منتظم
في ضمن منتظم في خير منتظم

(٤٣) اورده ابن معصوم : ١٠٠/٦ ، وفيه: «ونضلا» بدلا من « ووصلا » .

(٤٤) اورده ابن معصوم : ١٥٧/٦ ، وفيه: «بدراً» بدل «بدر» .

(٤٥) اورده ابن معصوم : ٣١٨/٥ ، والشطر الثاني فيه : «والقلب مسلكها والترب في القدم» .

(٤٦) في الأصل : «كم» . وقد اورده ابن معصوم : ٣٤/٦ ، على انه من شواهد « الايضاح » ، وذكر البيت التالي ، وهو بيت (سلامة الاختراع) مرتين ، في : ٥ /٣٢٧ ،على انه بيت (التوليد) وقال : « قال في شرحه : هو مولد من قول كذا » . وفي ٢١٤/٦ ، على انه بيت (سلامة الاختراع) .

(٤٧) اورده ابن معصوم : ١٦/٦ وقال : قال في شرحه انه اتبع فيه قول البوصيري في البردة :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

(٤٨) اورده ابن معصوم : ٢٣٧/٦ ، وفيه: «منجي» «بموجها» «موجها» بدلا من : « ينجي » « بمزجها » « جاهة » .

(٤٩) في الأصل : «وضام»، والتصحيح من رواية ابن معصوم :٢٣٧/٦، وفيه : « ..لصلاة ..ينجي اولي الوضم » .

(٥٠) اورده ابن معصوم : ٢٦/٦ ، وفيه: « منه الندى والعطاء .. » .

(٥١) اورده ابن معصوم : ٢٧٠/٥،وقال : «الفريدة فيه : نمير مقنع» .

(٥٢) في الأصل : «ائتلاف المعنى مع المعنى» وقد مر بيته قبل قليل، وفي رواية الشطر الثاني خلل ، اذ جاءت : «العضو اسهم سم في الدسم». وما اثبته رواية ابن معصوم : ٢٣٢/٦ .

(٥٣) اورده ابن معصوم : ١٨٩/٦ ، وفيه: «نعم» بدلا من «كرم» .

«٥٤» اورده ابن معصوم : ١٩٣/٤ ، وفيه «يعانده» بدلا من « ينازعه » .

(٥٥) اورده ابن معصوم : ١٥٢/٦،وفيه: « ..من السقم » .

(٥٦) اورده ابن معصوم : ٣٥٦/٥ ، وقال بعده : « النكتة فيه كالذي قبله [يريد بيت ابن المقرئ] من خطاب الله تعالى له عليه السلام باللطف في سورة القلم » .

(٥٧) اورده ابن معصوم : ١٤٣/٦ ، وفيه : « ما » بدلا من «قد» .

(٥٨) اورده ابن معصوم : ١٤٧/٦ ، وفيه : « فضل » بدلا من « فضلا » .

(٥٩) اورده ابن معصوم : ٧٢/٦ ، على انه بيت (جمع المؤتلف والمختلف) واورد : ١٥٠/٦ ،البيت على انه بيت « الاستتباع » . برواية : « له.. » .

(٦٠) اورده ابن معصوم : ١٢٢/٦ ، وفيه : « .. اسود وجه .. » .

(٦١) في الأصل : « اذ » .

(٦٢) اورده ابن معصوم : ٢١/٦ ، وقال بعده : « اراد ان يقول : وكل قرن له عابس، ليقابل بينه وبين المبتسم ، فلم يطعه الوزن . فعدل عنه الى قوله : له وجه من الظلم . فحصل له الكناية » .

(٦٣) اورده ابن معصوم : ١٣١/٦ ، وفيه : « .. بالعلم والحلم .. ».

الحالتان التعليمية والثقافية في عدن خلال فترة تبعيتها للهند

سلطان ناجي

الوضع التعليمي خلال الفترة (١٨٣٩–١٨٧٥)* :

لم يبدأ الانجليز في فتح أول مدرسة في عدن الا بعد مضي سبعة عشر عاما (١٧) من استعمارهم لها · وحتى تلك المدرسة الاولى التي فتحوها عام١٨٥٦أغلقت أبوابها بعد سنتين فقط من وجودها ، ولم يعاد فتحها الا عام ١٨٦٦ ، بمعنى آخر فإن الانجليز لم يفتحوا أول مدرسة ابتدائية في المستعمرة الا بعد مضي ربع قرن كامل من استعمارهم للمنطقة اليمنية ·

ومنذ البداية فقد كانت الاهداف من وراء فتح المدرسة سياسية وتبشيرية فالشخص الذي تحمس في فتحها كان هو القسيس المستعرب جي · بي · بدجر ، الذي كان أحد واضعي السياسة البريطانية الرئيسية في المنطقة ، وكان الوحيد الذي يمكن له أن يتراسل مباشرة ، من وراء ظهر المقيم السياسي ، مع حاكم بومبي ورئيس المجلس الهندي كما انه كان يعد في بريطانيا خبيرا في شؤون الشرق الاوسط، و يقوم بتقديم نصائحه الى الوزراء البريطانيين أو نشر آرائه في أمهات المجلات السياسية · (١)

ولان القسيس بدجر كان هو الواضع الاول للسياسة البريطانية في الارياف المحيطة بعدن وبالتالي منشأ (الدائرة العربية) المكلفة بتسيس الشؤونالقبلية، فقد كان الهدف من فتح المدرسة الابتدائية الأولى في عدن هو من أجل أن تثبت وتنتشر

---

* فصل من كتاب رائد في مجاله يعده المؤلف بعنوان :
تاريخ التعليم في اليمن (١٨٣٩ — ١٩٦٧)

تأثيرها في طول وعرض أراضي الداخل . ثم تجذب ابناء الرؤساء ليقيموا اتصالات مستمرة مع البريطانيين في عدن بالاضافة الى تخريج كتبة عرب للادارة البريطانية . (٢)

وفي أول كتاب رسمي أصدره الكابتن أف . أم . هنتر ، مساعد المقيم السياسي البريطاني ،بشأن مستعمرة عدن عام ١٨٧٧ ، يشير الكاتب الى أن اهداف تأسيس المدرسة الاولى كان أيضا من أجل محاولة تخفيف كراهية اليمنيين وتعصبهم ضد البريطانيين يقول هنتر :

وكان ايضا من المؤمل بأن الرؤساء العرب المحيطين بعدن سيستفيدون من المؤسسة في تعليم أبنائهم ، وأنه مع مر الزمن ، فان بعض التعصب المتأصل عند معظم العرب ضد الشعوب صاحبة الاديان الأخرى ، لربما يعدل ان لم نقل يزال نهائيا . (٣)

وهذا هو وصف رسمي لحالة التعليم في عدن خلال العشر سنوات الاولى منذ بداية تأسيسه في عام ١٨٦٦ وحتى حوالي عام ١٨٧٥ . يقول التقرير .

(في عام ١٨٦٦ طلب الكولونيل سيرويذر ، المقيم السياسي آنذاك ، الاذن وتحصل عليه باعادة فتح المدرسة الحكومية الابتدائية في عدن ... وفي البداية ، كما كان متوقعاً ، لم يتجاوب الا القليل من سكان المستعمرة . وخلال العامين الاولين فان تقدم المدرسة لم يكن مرضيا بأي حال من الاحوال . فمعظم التلاميذ كانوا من ابناء جنود الوحدة الهندية في الجيش البريطاني المعسكرين في عدن . ولم يكن في سجل المدرسة سوى ستة (٦) تلاميذ فقط من المدينة ذاتها . وخلال الاربع سنوات الثانية .. ارتفع الحضور من (٢١) الى (٥٠) تلميذا . وسرعان ما وجد التجار الفائدة من التعليم باللغة الانجليزية . فقد استطاع بعض التلاميذ الحصول على وظيفة في المكاتب الحكومية ... وبالتدريج بدأ حتى العرب يرسلون ابناءهم الى المدرسة وخلال اربع سنوات الاخيرة فان المؤسسة ، والتي تسمى (مدرسة الاقامة في عدن) اصبحت تضم تلاميذ من كل الطبقات والمذاهب وهذه قائمة بتوزيع التلاميذ في المدرسة عام ١٨٧٧ حسب جنسياتهم .

فرس	٩
بانيان	٨
خوجه	٢
مهمن	٧
بهرى	٥
يهود	٣
عرب	٥
مسلمون آخرون	١٥

مسيحيون محليون ٦

المجموع ٦٠

والمدرسة الان هي في مرحلة الصف الخامس بموجب الانظمة المعمول بها في رئاسة بومباي • وتحتوي الدروس على التواريخ الابتدائية لانجلترا والهند وروما ، والكتاب الاول من اقليدس والجغرافيه ، والحساب والجبر •

و تبلغ المصروفات السنوية على المدرسة حوالي ٤٥٠٠ روبيه • وكل التلاميذ يدفعون الرسوم المدرسية ، فابناء الطبقة الموسره يدفعون روبيه وثمان عانات ويدفع الباقون اربع عانات في الشهر • أما ابناء السكان الاصليين فهم الوحيدون الذين يعفون من دفعها •

وقد وصل الحضور اليومي الان (٦٣) تلميذا • ويظهر أن الفرس لديهم الاستعداد الاكبر للتعليم بينما هو أقله عند البانيان• فهؤلاء الاخيرون يتركون المدرسة بعد أن يكونوا قد ألموا ما فيه الكفاية من لغتهم الجشراتية لتمكينهم من مسك حسابات ابائهم، اما اللغة الانجليزية فهم لايتعدون الكتاب الاول البرايمر • ومن النادر ان تجد• بانياناً يتكلم الانجليزية ، بخلاف الفرس فالعكس هو الصحيح • ان الفوائد التي تقدمها مثل هذه المؤسسة لمستوطنة معزولة كعدن كثيرة • فهي تمكن الموظفين الهنود والمستوطنين الأجانب من أن يحضروا عائلاتهم وهو شيء لم يكن يحدث من سابق • وهذا بالتالي يؤدي الى رضاهم والى التقليل من ممارسة العادات الشاذة •
كما ان الطبقات الفقيرة ، ومنهم العرب ، ترى في تعليم أبنائها طريقاً الى حياة أفضل عندما يلتحقون في خدمة الحكومة • وخلال العشر سنوات الاخيرة استطاع (٢٤) تلميذا تعلموا في عدن ان يلتحقوا في وظائف كتابية وغيرها في الخدمة الحكومية • ان معرفة اللغة الانجليزية ضرورية للطبقة الموسرة من التجار لكي تتعامل مع الشركات الاوربية في عدن والخارج •

ومن الغريب أن يوجد صومالي يجيد أكثر من عامية اللغة الانجليزية ، وهذا الجنس يجيد التخاطب باللغة العامية اجادة بالغة وينطقها نطقاً ممتازاً ولا شك ان طبيعتهم التسكعية التي مكنتهم من معرفة مافيه الكفاية من الانجليزية لاستخداماتهم الشخصية هي التي لا تجعلهم يتعمقون أكثر في الدراسة •

وقد تم تأسيس مدرسة عربية حكومية في ذات الوقت التي تأسست فيها

* لاحظ ان نسبة التلاميذ اليمنيين قليلة وهي (٥) تلاميذ ، او ما يعادل حوالي ٨٪ من العدد الكلي . كذلك لاحظ ان الاستعمار قد اقترن من البداية بالتبشير ايضاً . فالمسيحيون المحليون لم يوجدوا في الواقع الا بعد مجيء الاستعمار ، اي بعد تنصير يمنيين مسلمين سابقين . وعلى كل حال فان مدارس ومستشفيات التبشير كانت من اوائل المؤسسات في عدن . كما ان عدن كانت مركز الجمعية الماسونية في الجزيرة العربية حتى الاستقلال . وقد سبق ان رأينا التأثير الهام للقس بدجر في رسم السياسة التعليمية في المستعمرة .

المدرسة الانجليزية · وتقوم بدعمها كل من الحكومة والبلدية - تدفع الحكومة (٤٨٠) والبلدية (٨٢٠) روبية في العام - ويبلغ عدد تلاميذها (١٣٠) ولدا و (٢٠) فتاة ، والدراسة فيها بالمجان وكما هي العادة في البلدان الاسلامية فان الدراسة فيها بواسطة القرآن · وقد أدخلت فيها مؤخراً مواد غير دينية في القراءة والكتابة ومبادىء الحساب · وقلما تتعلم البنات أكثر من القراءة لأنهن يتركن المدرسة في سن الثامنة ·

وهناك أيضاً عدد من المدارس الخاصة في المستوطنة وهي عادة ما تكون ملتحقة بالمساجد ، وكل فقيه يقوم بتدريس حلقة تتراوح بين ١٥ - ٢٠ تلميذاً مقابل رسم اعانتين في الشهر يأخذه من كل واحد · وفي قرية المعلا هناك مدرسة مشابهة خاصة بأولاد الصومال وتعلم الكتابة في هذه المدرسة التي تقع في بيت متواضع ولليهود ثلاث مدارس يديرها أفراد خصوصيون ولا يلقنون فيها سوى دروس ديانتهم · ويبلغ مجموع تلامذة هذه المدارس اليهودية الثلاث (١٢٥) تلميذاً (٤) ·

وبالنسبة للوحدات والبطاريات العسكرية فقد كانت لها مدارسها الخاصة التابعة لها · كذلك كانت هناك المدارس التابعة بالمبشرين الرومان الكاثوليك وبالراهبات · وكانت

تلك المدارس هي التي تخص بعناية أكبر وتفتح ابوابها للايتام والمنبوذين بهدف تنصيرهم فيما بعد · وفي سنة ١٨٧٦ كان هناك مثلا (١٥) يتيما ومنبوذا في مدارس المبشرين يلقنون القراءة والكتابة باللغة الانجليزية · اما مدرسة الراهبات الكاثوليك فقد كانت تقدم الدراسة الكاملة للعائلات الاوربية · وكانت غرف الدراسة وغرف النوم للطلبة الداخليين فيها واسعة وتهويتها جيدة · كذلك فقد كان هناك قسمان للأيتام الأول لاستيعاب أطفال الجنود البريطانيين والموظفين والثاني للبنات المحررات من العبودية وكانت تعطى للجميع دراسة ابتدائية جيدة (٥) ·

الوضع التعليمي خلال الفترة ١٨٧٥ - ١٩٠٠

واذا تابعنا تطور التعليم الحكومي خلال ربع القرن الاخير من القرن التاسع عشر فسنجد انه لم تضف سوى مدرستين عربيتين حكوميتين ، الاولى عام ١٨٧٩ في المعلا ، والثانية عام ١٨٨٠ في التواهي · كذلك فقد فتحت خلال هذه الفترة ايضا مدرستان تبشيريتان كاثوليكيتان وقد بلغ عدد التلاميذ في المدارس الثلاث الابتدائية العربية في آواخر القرن وبوجه التحديد عام ١٨٩٧ - (٢٥٦) تلميذا ، اما المدرسة الحكومية الانجليزية فلم يتعد عدد تلاميذها في نفس السنة (٨٨) تلميذا · وبالنسبة للمنهج فقد ادخلت مادة مسك الدفاتر في المدرسة الحكومية الانجليزية كما ان حصص الدراسات القرانية قلل منها في المدارس

الحكومية العربية مقابل زيادة في المواضيع النفعية على مستوى ابتدائي (٦) ٠

وفي عام ١٨٩٧ بدىء بنظام مساعدة المدارس الخاصة ٠وقد بلغ مجموع التلاميذ في المدارس الحكومية والتبشيرية والخاصة (١٧٦٨) تلميذا ٠ وقد غطى هذا العددبالطبع كل أقسام المستعمرة حيث أصبحت السلطة البريطانية في أواخر القرن تشمل مناطق كريتر والمعلا والتواهي وخورمكسر والشيخ عثمان وعدن الصغرى ٠ وكان سكان عدن وقتذاك حوالي (٤٥٠٠٠)نسمة ٠ ولم يزد عدد التلاميذ العرب في المدارس الانجليزية عن (١٦) تلميذا فقط ، كما ان عددهم في المدارس الحكومية كان يقل عن النصف ٠ ويقول جافين أن التركيب العرقي للصفوف المدرسيةقد عكس طبيعة التركيب السكاني للمدن ذاتها اما النظام التربوي الذي كان سائدا فكان يقوم على أسس تقليدية (٧) ٠

لقد كانت عدن هندية أكثر منها عربية في ذلك الوقت ٠ وقد انعكس هذا الوضع على حالة اللغة العربية ومناهج الدراسة ٠ ولم يستطيع انينكر تلك الحالة المؤسفة البريطانيون أنفسهم ٠ فعند ما كتب مساعد المقيم البريطاني هارولد جاكوب كتابه (ملوك العرب) فيمطلع هذا القرن ، وصف حالة التعليم واللغة العربية في عدن كالتالي :

من الممارسات المؤسفة في عدن ان يستخدم الكثيرون اللغةالهندستانية ٠ فعدن بسرعة تتهند كل يوم فالاعلانات التي توضع امام شبابيك مكاتب البريد هي بالهندستانية او الجشراتية وتبدو اللغة العربية وكأنها لغة اجنبية ومعظم المدرسين من الهنود ، والمدينة كلها قد نومت تنويما مغناطيسيا واصبحت كلها تعيش تحت نكهة بومبي ٠ ان التاريخ العربي لايدرس في المدارس الحكومية ٠ فهل نخاف منهم اذا مادرسوا سيرة ابطالهم الوطنيين كمافعلنا مثلا في الهند في وقت من الاوقات عندما حظرنا عبادة شيفاجي؟ فاذا كانت المدارس الحكومية في الهند الآن تعلم الشباب احترام وتقديس شيفاجي ، أفليس من الضروري للمؤسسات الخاصة في عدن ان تكون مدارسها الوطنية على نمط المدارس في الهند (٨) ٠

لقد سبق أن رأينا ان السلطات البريطانية كانت مهتمة من البداية في تأسيس مدرسة لأبناء الرؤساء والمشايخ في الارياف الا ان مشاريع كل من القسيس بدجر والمقيم السياسي سيرويذر لم تنجح في ان تبرز الى حيز الوجود ٠ وبعد ادخال نظام الحماية في الثمانينات الى الارياف ، بدلامن نظام الصداقة السابق ، أحييت الفكرة من جديد في دار الاقامة ٠ ويشرح لنا الكولونيل جاكوب الاهداف من وراء احياء المشروع في مطلع هذا القرن ٠ يقول جاكوب ان ماكانوا يحتاجونه من أجل السيطرة على الارياف

هما شيئان أساسيان :

« سكة حديد لتطـوير التجارة من جهة ومن جهة أخرى وبحاجـة أمس انشاء كلية لأبناء السلاطين والمشايخ ٠ فقد طرحت فكرة انشاء الكلية من جديد عام ١٩٠٥ ولكن مآلها كان الفشل ٠ ثم أحيا القضية من جديد عام ١٩٢١ الجنرال سير جيمس ستيورت المقيـم السياسي والقائد العام للقوات المسلحة »٠ ثم يمضي الضابط السياسي يشرح ماترى حكومته ان الكلية ستقضي عليه وكيف يجب أن تسير عليه فيقول :

«ان الشباب العربي ينشأ وهو يجهل كل شيء الا الحروب القبلية التي يتشبـع بهـا منذ طفولته وهــو لايقوم بأي نـوع من الرياضة وانما يدمن على أكل ورقة القات الخبيثة التي تمتص كـل قواه ومن الافضل ان نضع عليهم أيدينا وهم لايزالون صغارا لان الشباب العربي يمتلك امكانيات كبيرة نستطيع توجيهها ٠ والمكان المناسب للكلية منطقة خورمكسر حيـث سيكونون بعيدين عن تأثيرات اسواق عدن المفسدة ٠ وستحتاج الى مدير انجليزي نشيط له معرفة بالعربية والالعاب الرياضية ، وفوق هذا وذاك يمتلك عطفاً وصبراً مثل صبر أيوب ٠ أما المدرسون فيمكن أن يجلبوا من مصر وسورية (لانهما كانتا تابعتين للانجليز وقتذاك)٠ ويجب أن يتم اختيار الطلبة بواسطة المقيم السياسي نفسه وهو الذي سيقرر من الذي سيتعلـم بالمجان وماهي الرسوم التي يجب أن تكون٠

اما المنهج فسيحتوي على مختلف الالعاب ، والبولو ، والتدريب العسكري واللغة العربية وشيء من الالمام بالآداب والتاريخ العربي ٠ وستعطي أهمية خاصة لدراسة القرآن كمـا ستحتوي الدروس على مبادىء الحساب ومعرفة عملية باللغـة الانجليزيـة ويمكـن تعليم بعـض الطلبـة الواعديـن مبـادىء الزراعة لان العرب يحبذون السير على منوال واحد، ويقتفون ما سلكه آباؤهم ٠

أن الفائدة للسياسة من اقامة مثل هذه المؤسسة لتبرر دفـع اموال الامبراطوريـة لفتح هذه الكلية ثم الصرف عليها بعد ذلك٠ أن سياستنا في إنشاء الكلية ستكون لهـا عواقب معينة وبعيدة المدى وليست عامـة داخـل محمياتنا (٩) ٠

تقييم للوضع التعليمي خلال الفترة (١٩٠٠ــ١٩٣٧)

وحتـى اتضمـام عــدن الــى وزارة المستعمرات في لنـدن عـام ١٩٣٧ ، ومنـذ انتهاء فترة الحرب العالمية الاولى تعاقـب على ادارة المعارف في عدن ثلاث نظار هنود من المسلمين استجلبوا من الهند وذلك بحكم ان النظام التربوي في عـدن كمـا سبق ان قلنا ، كان جزءاً من النظام التربوي الهندي حيث كانت مدة الدراسة الابتدائية تتراوح بين ٤ــ٥ سـنوات ، ثم تتبعهـا المرحـلة الثانوية ، التي كانت تستغرق ما بين ٥ ــ ٦ سـنوات وفي نهايتها يتقدم الطلبة الى امتحان شهادة الجونير كامبردج والتي لـم

تكن تؤهل الالتحاق بالدراسة الجامعية او العليا ٠ وعن طريق دراستنا لفترة هؤلاء النظار الثلاثة سنخرج بفكرة عن حالة التعليم في المستعمرة وقتذاك ٠

وقبل الشروع يجدر أن نوجز هنا تقيمين معاصرين لحالة التعليم في عدن مباشرة بعد فترة الحرب العالمية الاولى ٠ وقد قام بالتقييم الاول شخص من عدن هو (محمد علي لقمان الذي كان قد تخرج من الثانوية قبلعام فقط) ٠ أما التقييم الثاني فهو للمستر ف ٠ ب بتد أرفس لوري مدير المعارف العام في بونا في الهند والذي كان قد زار عدن لمدة (١٦) يوماً بطلب من حكومة بومبي ٠

ففي عام ١٩٢٣ نشر محمد علي لقمان كتيباً باللغة الانجليزية تحت عنوان از ذيس اسكراب أوف بيبر * (هل هذه قصاصة ورق) انتقد فيها المؤلف في تلك الرسالة حالة التعليم في عدن، وذكر ان ٥٠٪ من أطفال عدن الذكور لا يجدون مدرسة يؤمونها،وهم يتسكعون في الاسواق،والأمية منتشرة بينهم ، بينما جزيرة سيشل وسكانها ١١٫٠٠٠ ألف مقابل ٥٦٫٠٠٠ نسمة سكان عدن وتجارتها لا توازي ربع تجارة عدن تتمتعبكلية ومدير معارف عامالى غير ذلك من تأخر عدن المحزن حتى انها لم تخرج طالبا واحدا يحمل شهادة البكالوريا الثانوية في ٨٤ سنة ثم أضاف قائلا بأن الفوضى قد ضربت بجرانها في المدارس والكتاتيب ٠ وكانت هذه المدارس على درجة العموم ضيقة ، مظلمة ، فاقدة أصول التهوية الصحية ، قذرة و كان المعلمون اغبياء لايحمل احد منهم شهادة كفاءة ، رواتبهم حقيرة ومقامهم غير محسود ** ٠ أمابرامج التعليم فقد كانتتفقد عدة عناصر هامة كالجبر والهندسة والصحة والجغرافية الطبيعية والعلوم ٠ وكانت اللغة العربية اضعف مواضيع الدروس على الاطلاق٠(١٠)

أما تقرير المستر ف٠ب٠ بندارفس لوري فقد كان في العام التالي عام ١٩٢٤ فقد زار عدن ٠

يوم ٢٦ توفمبر ١٩٢٤ ، وقد اقترح في تقريره « عدم توزيع النشاط بين المدارس الثانوية وصد ابواب مدرسة التواهي الثانوية ٠ ثم قال بأن شهادة جونير كامبردج تكفي فقط للالتحاق فيالدوائر الحكومية والمكاتب التجارية ، وبأن الطالب بعد اجتياز اختبار كامبردج الجونير يحتاج الى عامين ليتأهب لاحراز شهادة السينير

---

* ظهر الكتيب تحت اسم مستعار للمؤف هو NEDA وهو قلب للأحرف الاربعة لعدن ADEN اما الناشر فظهر تحت اسم JUNIUS

** يذكر لقمان هذه الحادثة التي تنم عن ضآلة المرتب وعادة القات داخل صفوف الدراسة بقوله: كان الفقيه سيف المرح يدرس في التحضيري فرآه ناظر المعارف يأكل القات ومنعه وهدده بقطع معاشه الشهري الذي سيكون (٣) روبيات بعد خدمة (٢٢) سنة . فأجابه المرح « خير منها الموت جوعا » .

من أكسفورد أو كامبردج مؤكداً في نفس الوقت لزوم اعداد الطلبة في قسم العلوم ليعفوا في الجامعات من شهادة المعادلة وما شابهها ولان ارسال اول المبعوثين للدراسة الجامعية في الخارج قد تم في البداية اما بواسطة الاباءأنفسهم او الجمعيات الخيرية فقط ، فقد قال المستر لوري ٠ بأن من واجب حكومة عدن أن تساعد اهاليها وتقدم لهم النصائح متى ارادوا ارسال اولادهم في بعثات الى الكليات والجامعات في الخارج خصوصا بعد اجتياز شهادة السينير كامبردج أو بكالوريا لندن٠

وكان من نصائحه أن يعفى أولاد الفقراء من دفع الرسوم وبأن تؤسس مدرسة عمومية للصنائع ٠ ثم طالب في رفع مستوى التعليم وكذلك مستوى المعلمين وزيادة مرتباتهم لكي يتفرغوا لواجباتهم بدل الاعمال التجارية لتغطية المصاريف ٠ ثم أضاف قائلا :

« من العبث أن ننتظر وفاءاً واخلاصا من جماعة من الناس يخدموننا برواتب حقيرة »(١١) ٠

خلال فترة وظيفة الاستاذ عطا حسين كناظر للمعارف (١٩٢١ - ١٩٣٠) حدث تقدم لابأس بهللتعليم في عدن ٠ فهذاالناظر الجديد للمعارف الذي قدم الى عدن عام ١٩٢١ هو من ابناء الهنود المسلمين المؤهلين تأهيلا في أكثر من تخصص واحد ٠ وكانت آخر شهادة له في التربية الدكتوراه من جامعة كولومبيا ٠ وكان يعتبر عالما كبيراً ومفكراً تحررياً ومسلما غيوراً ٠ الا ان من عيوبه انه كان كما يقول أحد تلامذته : يجنح « الى المقارعة والخصام حتى لاتفه الاسباب ٠ فقد كان صعب المراس لاتلين عريكته ولايتنازل عن قرار أقره ٠٠ مما دفع بالكثيرين من اصدقائه ومحبيه الى مفارقته » (١٢) ٠

كما أنه « كان يعتقد خطأ أن ضرب الاطفال والتلاميذ يصلحهم فكان يعاقب المخطىء عقابا صارما »(١٣) ٠

كانت باكورة اعماله فتح مدرسة ليلية ضمت عدداً من المعلمين فيمدارس الحكومة وعدداً من الشباب الاذكياء الطامحين الذين توسم فيهم خيراً ٠ وقد أعد لاول مرة بعض طلبته لاختبار شهادة سينير كمبردج ٠ فكان ان اجتاز الاختبار بعد سنة من الدراسة اول طالبين في عدن عام ١٩٢٢ ٠ الا انه سرعان ما غير مدرسته الليلية الى معهد تدريب في التربية ٠ وفي عام ١٩٢٥ ارسل اول أربعة طلبة * أثنان منهم اللذين اجتازوا شهادة السينير الى جامعة ليدس في بريطانيا للحصول على شهادة في التربية٠ وقد عادواجميعا الىالمدرسة الثانويةواصبح محمد علي لقمان رئيسا لتلك المدرسة حوالي عشرة اعوام ٠

---

* الاربعة الذين تدربوا في ليس هم : محمد علي لقمان ، عبد الشكونقير ، محمد عمر عتبة ، وعلي محمد علي ٠

كما تم في أيام هذا الناظر ادخال بعض التغييرات من أجل رفع مستوى المدرسة الثانوية وتغيير بعض برامج التعليم «التي كان قد أكل الدهر عليها وشرب فأدخل عليها تحسينا ملموسا ودعى تلامذته الذين تخرجوا على يديه لتدريب المعلمين والقاء دروس عليهم في التربية ٠ وقد كان أيضاً مهتما بالرياضة البدنية في المدارس ومنذ زمنه اصبحت المباريات السنوية تعد لها ويخصص لها بعض المال من ميزانية المعارف ٠ كما أنه اثناء فترة وظيفته تم انشاء مدرسة للنجارة وصنع الاثاث وعندما غادر الى الهند عام ١٩٣٠ اقفلت ابواب المدرسة الصناعية التي كان رئيسها المستر احمد محمد آل يعقوب الذي اصبح فيما بعد من أنجح مديري المدارس الابتدائية الذين عرفتهم عدن لصرامته المعروفة ٠

وقد اهتم بالتعليم الابتدائي بشكل خاص ، وكانت الحكومة تفكر في ادخاله الى الارياف بعد التحاق المحميات عام ١٩٢٧ بلندن ٠ لذا تم انذاك قبول عدد من طلبة المحميات في المدارس الحكومية في عدن ٠ وكان يرى ان اساتذة المدارس الابتدائية يجب ان يختاروا من خريجي المدرسة الثانوية بعد احراز شهادة الكفاءة والتدريب الكافي في أصول التربية الحديثة ٠ وفي ايامه عين الاستاذ كامل عبد الله صلاح ، أحد رجال الدين المشهورين من الحجاز مديراً للمدرسة الحكومية الابتدائية فأدخل التعليم الديني وبدئت العناية بعض الشيء باللغة العربية بعد اهمال طويل وبدأ الطلبة يدرسون الادب العربي ٠

وللاستاذ عطا حسين آراء طيبة في التربية وفي النظام المدرسي فقد كان «يعتقد ان غايته في هذه البلاد لم تكن تتفق والغرض الانساني العام ٠ فقد كانت المدارس ترمي الى اعداد الطلبة للالتحاق بخدمة الحكومة ولذا فأن عدداً كبيراً من الشبان الذين لم تكن لديهم المؤهلات لهذه الخدمة وجدوا أنفسهم مدفوعين الى البطالة بعد مغادرة المدرسة وكانت الدروس لاتتعدى اللغة والحساب وقليلا من الجغرافيا والسياسة او تاريخ الهند السياسي او تاريخ الامبراطورية ، ولم تكن المدارس تعنى بالثقافة العامة ، ولم تكن تعنى بتنمية الذكاء وشغوف الحس بين ابناء المدارس بتدريس الاداب والفنون الا قليلا ٠ وكان الاهتمام بالغاً حده في تشجيع الحفظ بصورة ميكانيكية والترديد المقيت لايكسب الطالب شخصية مستقلة ٠٠ وكان من رأيه ان تمنح المعارف في عدن ابناؤها تعليما تحريرياً ٠٠٠ وكان يرى ان من أعظم واجبات المعلم ان يخلق من تلامذته شبابا مستقيم الخلق ٠ وكان يسعى لرفع مستوى الاخلاق العامة في هذا المحيط القائم ويعمل لنشر الثقافة بين جميع الطبقات ٠ ولهذا أسس اول جمعية للبحث الادبي والعلمي والنقاش والتناظر في النادي الرياضي المتحد واشرف

شخصيا على تأسيس نادي الادب والمكتبة الدائرة (١٤)

وواضح ان افكار هذا الناظر الهندي في التربية قد لاقت من يتبناها فيما بعد من طلبته فعندما كتب مثلا رئيس تحرير فتاة الجزيرة عن مدارس عدن عام ١٩٤٤ أي بعد مضي حوالي (١٥) عاما على عودة ذلك الناظر الى بلاده نراه يقول عن واجب المدرسة ما يلي :

واجب المدرسة أن توجه اهتمامها وتحصر جهودها في الاعتناء بتلامذتها ، فتنمي فيهم الذكاء وشغوف الحس ، وترشدهم الى خير الوسائل لاكتساب الصحة والقوة والنشاط والخلق العالي : هذا هو شعار المدارس الحديثة التي لاتهتم في كمية العلم الذي يتلقنه طلبتها اهتمامها فيتربية نشأ صالح للحياة قادر على مقارعة الايام بحنكة وثقة وايمان واستعداد لتبؤ أرفع المراكز وأسمى المقامات في الهيئة الاجتماعية وهي في الوقت نفسه تغرس في نفوس تلامذتها الشعور بالواجب الانساني وتكشف لهم معاني الحياة واسرارها العلمية ٠ تلك هي المدارس التي تخلق من ابنائها رجالا ونساءا صالحين لاعمال الحياة ٠٠٠ ومتشوقين الى الكفاح والجهاد تلك المدارس تغذي عقول طلبتها بلذة المعرفة وحب الاطلاع والرغبة فيتوسيع المدارك ٠ (١٥)

وبعد عطا حسين قدم ناظر جديد للمعارف من الهند عام ١٩٣١ هو الاستاذ الفاروقي ٠ وكانت اول اعماله اعداد برنامج مفصل واسع للمدارس الابتدائية والثانوية وكان اول ناظر معارف يدخل الامتحانات المشتركة في المدارس ٠ كما انه اهتم بالمكتبة العامة للمدرسة الثانوية فوجدان سلفه عطا حسين كان قد جلب اليها بعض كتب التربية وعلم النفس والجغرافية والتاريخ والادب ودائرتي المعارف البريطانية والتربوية فاضاف اليها واشترى للمدرسة ادوات صغيرة للهندسة وبعض العمليات الاولية ٠

وفي ايام هذا الناظر الجديد أدخل نظام التعليم في المراحل الاولى من المدرسة الثانوية باللغة العربية وعين اول مساعد عربي له من فلسطين هو الاستاذ طاهر حمزة وقد قدم هذا الأخير جهوداً طيبة في سبيل ترقية الادب العربي واللغة العربية فسعى لنشر محاسنها ودعا المعلمين لتعليم النحو واللغة ٠

والحقيقة ان هذهالخطوات التي أتخذت في طريق الاهتمام باللغة العربية لم تأت تلقائيا وانما نتيجة مطالبة مستمرة من اليمنيين الذين كانوا يشعرون كالغرباء في مدارسهم وبأنهم يتبعون نظاما هنديا غريبا عنهم لايهتم برفع مستواهم ومعارفهم ٠ وهذا الحوار الذي سجله لنا السر هيكيبنو تم مع أحد أعيان عدن وقتذاك عام ١٩٣٠ أي في هذه الفترة التي

نتكلم عنها ، يظهر لنا ان قلق العرب على ضعف مستوى العربية والتعليم بوجه عام كان مريرا فبعد ان ذكر الحاكم البريطاني السابق ان خان بهادر سير محمد عبد القادر مكاوي كان هو الممثل الوحيد للعرب في لجنة امانة الميناء ، وانه مع واحد غيره هما الممثلان الوحيدان للعرب في لجنة البلدية ، سجل لنا هذا الحديث المرير مع الشيخ محمد عبد القادر مكاوي قال الشيخ لهيكينبوتم :

ماذا عملت لنا الهندية ؟ لاشيء ٠ نحن متخلفون جدا والذنب ذنب الهند تماما٠ ان التعليم ضروري لكل الشعوب ولنا بدرجة أكثر من الجميع لاننا لانملك منه شيئا ٠ لقد رأيت المدارس بنفسك ، ورأيت الهنود الذين يقومون بالتدريس ٠ اين العرب المدرسون ؟ آه ! أعرف أنك ستجيب بان علينا ان نصبر لانه ليس عندنا في عدن وانه في الامكان جلبهم من البلدان العربية الاخرى وانه الى أن يكون لنا مدرسون قديرون للغتنا فلن نحرز أي تقدم ٠ ان أحد أولادي الذي يدرس حالياً في ادنبرة قد فشل في الامتحان وان المادة التي فشل فيها كانت اللغة العربية ٠ ان الامر مخز ومن أجل ذلك الخزي يجب ان نشكر الهند ٠ نحن لسنا جزءا جغرافيا من تلك البلاد ولسنا شعبا واحدا ولا نتكلم لغة واحدة ٠ (١٦)

ان المطالب اليمنية آنذاك والتي كانت بسبب عدم وجود الاحزاب السياسية او الصحافة تعبر عن نفسها عن طريق النوادي وخاصة الاصلاحية فيها ، لم تقتصر على المطالب بوجوب الاهتمام باللغة العربية واعداد المعلمين الوطنيين وانما ايضا شملت المطالبة بالاستقلال عن الهند والتبعية مع لندن فمنذ العشرينات من هذا القرن ، وبسبب امكانية استقلال الهند بدأ الانجليز يعملون تدريجيا على محاولة سحب عدن النهائي من تحت الحكومة الهندية وبدأت اصوات المسئولين ترفع الان شعار (ان عدن عربية وان مستقبلها مع اهل الجزيرة وليس مع الهند)٠ وهذا الاتجاه الجديد أثار بالطبع مخاوف الهنود مسئولين وتجارا وموظفين لان تحويل عدن من تحت الهند لن يكون في صالحهم ، بل ان الانجليز حاولوا أن يجعلوا المطالبة بتحويل عدن من الهند الى تحت وزارة المستعمرات البريطانية وكأنها هي مطالب سكانها العرب وذلك لكي يردوا على ادعاءات السياسيين الهنود بعدم وجود الشعور السياسي العربي فيها (١٧)٠

وبالطبع فان الضرورة هي التي فرضت على الناظر الجديد بداية الاهتمام باللغة العربية في المدارس ٠ اما سياسته العامة فقد كانت تخدم ابناء وطنه الهنود ، وكان لايريد ان تتحول تبعية عدن من الهند ٠ وقد علق أحد الذين عملوا معه قائلا :

« وانا شخصيا لم أكن أحب الاستاذ الفاروقي، وقد اختلف واياه في بعض الامور، وكان يسخر كثيراً من فكرة اعداد معلمين

ويظن ان ابناء عدن تشربوا بالمبادىء السياسية المتطرفة لكن هذا الزميل السابق للفاروقي يستطرد قائلا : لكنني أكتب الحقيقة والتاريخ فقد كان مديرا للمعارف قديرا ، حسن النية ، يسعى في نطاقه الرسمي للعمل المثمر » ٠ (١٨)

وفي أيام نظارة الاستاذ الفاروقي فتحت اول مدرسة للبنات ٠ ولكن محمد علي لقمان يقول ان الفضل في فتح المدرسة يعود الى مساعدة العربي الفلسطيني طاهر حمزة ٠

« سألني - يقصد حمزه - ذات يوم ما الذي تظنه يصلح هذه البلاد ؟ قلت المرأة٠ قال كيف ذلك ؟ قلت افتحوا لها مدرسة ، علموها ، هذبوها ، اهدوها ٠ وما مرت الا اشهر قليلة واذا به يأتي الي يقول : لقد كتبت تقريرا لحكومة عدن شرحت لها ضرورة فتح مدرسة للبنات واستندت الى رأيك في تقريري ٠ وقد وافقت عدن مبدئياً ٠ و بعد زمن قصير فتحت مدرسة البنات فصادفت من العراقيل ما الله به عليم ٠ لامعلمات ولا متعلمات »(١٩) ٠

وكان آخر ناظر هندي للمعارف في عدن قبل نقل تبعية عدن لوزارة المستعمرات في عام ١٩٣٧ هو محمد نواز ٠ ولم يبق هذا الناظر طويلا في عدن ولكنه كان شغوفاً بالرياضة وقد انشأ ناديا خاصا للطلبة في المدرسة وجعل الرياضة فرضا على الطلاب لا مناص منه ٠ لقد كانت الاصوات ترفع من قبل الآباء ورجال الاصلاح بأن « طلبة المدارس يعيشون في وسط يفسد عادة ما تصلحه المدرسة »٠ كما طالبوا بالحاح في أن ترقى الرياضة البدنية في المدرسة رقيا مطردا منظما وتصبح اجسام الطلبة قوية صحيحة وكانوا يستغربون عدمَ تدخل ادارة المعارف في القضايا التي تمس اخلاق الطلبة وتربيتهم كالسينما فالأفلام السينمائية الهندية التي تعرض على الاطفال افلاما تجارية تعرض الوان السحر والشعوذة والدجل وتعرض صنوف النهب والسلب والاغراء »(٢٠) لذا فمن الطبيعي أن بداية الاهتمام بنوادي الطلبة وبتشجيع الرياضة في المدارس قد حدث نتيجة المطالب المستمرة من قبل الآباء ٠

الحركة الثقافية خلال الفترة ١٩٠٠ — ١٩٣٧

اما ارسال اولى البعثات الدراسية الى الخارج فلم يكن للحكومة فيه نصيب وانما تم كل ذلك بواسطة النوادي الثقافية والجمعيات الاصلاحية والآباء٠ لقد كان نشوء الجمعيات والنوادي الثقافية في عدن مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى متأثراً الى حد كبير بالحركة الاصلاحية التي كانت قائمة انذاك في بعض البلدان العربية كمصر وسوريا ولبنان وفلسطين ففي عام ١٩٢٥ زار عدن الاستاذ عبد العزيز الثعالبي واقترح تأسيس ناد أدبي عربي فيها ٠ فتأسس (نادي الادب العربي) برئاسة الشاعر المؤرخ والفنان المشهور الأمير (أحمد فضل القمندان) وكان مديره

محمد علي لقمان ولأن تأسيس النادي صادف اشتداد الصراع في حضر موت ، وبما أنه كان يضم في عضويته بعض رجال الحضارم، فقد انتشرت عدوى الخلاف الى النادي فكانت من الاسباب التي قضت عليه بالاضافة الى تغلب الاغراض الشخصية ولما قام ضده « بعض المتفيقهين من الغمز واللمز والتأويل المقيت » ، لأهدافه (٢١) ٠

ولما انتشر وباء الجدرى والطاعون في عدن مابين عامي ١٩٢٧ - ١٩٢٩ قام أعضاؤه بجمع التبرعات الكبيرة للمرضى ٠ وفي الاخير اقتصرت أعمال النادي تقريباً على اقامة الحفلات التكريمية واستقبال الشخصيات العربية عند زيارتهم لعدن ٠

والحقيقة انه يمكننا أن نرجع بوادر الوعي الثقافي في عدن الى قبل نشوء (نادي الأدب العربي) وبالذات الى مستهل القرن العشرين ٠ فعلى الرغم من أنه لم يكن هناك ادباء بالمعنى المعروف خلال الثلاثينات من القرن الا ان بعض سكان عدن العرب كانوا قد أدركوا في مطلع القرن شيئاً من أدب وعلم وتعلموا الانجليزية في مدارس عدن الابتدائية والثانوية فبرزوا اول مابرزوا في حقل الترجمة والجدير بالذكر ان أحدهم وهو الشيخ عبد القادر ، والد الشيخ محمد عبد القادر مكاوي ،الذي سبق ان رأيناه يشكو للحاكم البريطاني ضعف التعليم ومستوى اللغة العربية في مطلع الثلاثينات، الجدير بالذكر ان ابا هذا الشيخ الاخير كان هو مهندس البلدية ، وقد الف اول كتيبين باللغتين العربية والانجليزية فمؤلفه الأول كان (النهر الفائض في علم الفرائض) باللغتين العربية والانجليزية اما المؤلف الثاني فكان بالانجليزية عن مبادىء الكيمياء ٠ كما ان أحد المدرسين العدنيين الفقيه محمد عثمان الهندي الف تاريخا لعدن أسماه (قلائد الجمن في تاريخ عدن) ٠

لقد كان الشعور الاسلامي قويا بين أوساط سكان عدن في مطلع هذا القرن وذلك بحكم تداولهم آنذاك للصحف والمطبوعات العربية ٠ فلم ينته الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ الا وكان الناس يتداولون الصحف المصرية وقد كتب أحد رواد الثقافة والادب في المنتصف الاول لهذا القرن قائلا :

« وأني مازلت اذكر الشيخ محمد حاجب ايام تقاعده بعد خدمة طويلة في رئاسة المدرسة الابتدائية الحكومية وهو يعلمنا الخط العربي في بيت الشيخ صالح محمد بالكسح ، وقد كان استاذاً ماهرا للخط العربي وكان شيخا وقورا اديبا يروي الأشعار ويطالع الصحف ويقضي الصباح في مكتب أحمد خياط يجادل المتأدبين في قضية السلطان عبدالحميد وجمعية الاتحاد والترقي ٠٠٠ ومن تلاميذه سعيد علي الفجيعي استاذ المئات من العدنيين (٢٢) وكذلك الفقيه عثمان مؤلف « قلائد الجمن في تاريخ عدن » ٠

بعد (نادي الادب العربي)تأسس

عام ١٩٢٩ في التــواهي (نادي الاصــلاح العربي) والسبب في انشاء النادي هــو أن أعضــاء (نادي الأدب العربي) كانوا طبقة خاصة من العدنيين واللحجيين فشرع بعض الشباب في عدن الى تاسيس ناد يماثله · وأول ما أهتم بهالاعضاء واستمروا في العمــل لاجله « كان طبعا تدريب أنفسهم على القاء الخطب الحماسية والاشعار واثارة الفضول أيضا » (٢٣) ·

وفي عام ١٩٣٠ تأسس في عدن (نادي الاصلاح العربي الاسلامي) وانضم اليــه الجم الغفير مــن الوجهــاء والشبان · وكان من أهداف هذا النادي العمــل لرفع مستوى الاخــلاق ونشــر العلــم وتنشيــط المعــارف والسعــي لتوظيــف العدنيــين في الادارات الحكومية والتجاريــة · كمــا أن أعضــاء النادي « سعوا للاتصال بــرجال العــرب في جميع أوطانهم وشادوا بذكر ما كان للعــرب من مقام في التاريخ وأثاروا الرغبة الكامنة في النفوس باحياء ايام العــرب ونشر محاسن الاسلام » (٢٤) ·

وقدافتتح نادي الاصلاحالعربي مدرسة في الشيخ عثمــان وكان يديرهــا العلامــة الشيخ المعــروف احمــد العبــادي الوهابــي النزعة · وقد تخرج على يديه خاصة مــن حلقاته الخاصة كثيرون من علمــاء عــدن كالشيــخ البيجاني والشــاعر عبد المجيــد الاصنج والشيخ عبــد اللــه حاتم والشاعــر محمــد سعيد جراده · ولكن المدرسة لــم تعش طــويلا لانهــا لم تجــد مــن يقــوم بمصروفها فانتقل الاستاذ العبادي منهاالى مسجد زكريا امامــاً ومعلماً وقد الف الشيخ العبــادي منظومــة علــق عليهــا الشيخ البيحاني اسمها (هداية المريد الى سبيل الحق والتوحيد) طبعت في مصر ونشرت في عدن وغيرها من الاقطار الاسلاميــة في سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩)م وقد احتوت المنظومة على (حقائقعلمية تحثعلى توحيدالخالق وتنهي عن البدع والخرافات وانواع الشعــوذات) ويظهر أن افكار العبادي قد أثارت بعض العلماء التقليديين مما كان سيؤدي الى قتله بالرصاص والسلاح الابيض وهو خــارج من المسجد · وقــد سبق أن تعرضــ للقتــل في عُمان بعد أن ألف المنظومة (المهامالدقيقة عــلى كشف الحقيقــة) خالف فيهــا آراء الاباضية والخــوارج · فقد أثــارت تلــك الارجــوزة ضجة عظيمــة في أوســاط الفريق الاباضي تعرض فيه منزل العبــادي لوابل من الرصاص دام قصفها اياما ، والحقفقد كان دور العبادي في ايقاظ الفكر الديني وفي مجال التربية والتعليم وفي مضمار النشاط الاجتماعي ومناهضة الاستعمار ، دورآبارزا (٢٥) ·

ومن الأمــور الطيبــة التي قام بهــا (نادي الاصلاح العربي الاسلامي) هــو ان رئيســه كتب عام ١٩٣٦ كتــابآ طويــلا الى غازي الاول ملك العــراق شرح فيــه حاجــة اهالي عــدن الى مثقفــين وطلــب منــه ان

يقبل عشرة من ابناء عدن ليلتحقوا بمدارسها · فقبل الملك غازي بذلك وسافرت أول بعثة دراسية الى العراق في ذلك العام مكونة من ثمانية اعضاء ثم لحقتها بعثتان فيما بعد الاولى الى العراق وعدد اعضائها خمسة والاخرى الى مصر و عددها ثمانية (٢٦) ·

وفي عام ١٩٣٢ تأسست (جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وكان اعضاؤها ٣٠ رجلا ورئيسها احمد عمر بازرعة من كبار تجار عدن · ثم انتهت تلك الجمعية وقامت على انقاضها (الجمعية الخيرية) · كما انه في نفس ذلك الوقت تقريبا اسس بعضهم (نادي الأحرار) في الشيخ عثمان ، وجمعية للعمال في التواهي ، ونقابة لسائقي السيارات وعدة نواد رياضية · وكانت معظم هذه النوادي الثقافية تهدف في البداية « الى الالتفاف حول رئيس والتفاني في طاعته لخدمة هذا الوطن البائس وتأليف وحدة عربية · اسلامية تدعو الى الحث على مكارم الأخلاق ورفع مستوى البلاد ، والوعظ المستمر في المساجد والنوادي ومقاطعة السكارى وتشجيع التمثيل الحر ، وايجاد العمل للعاطلين والدعوة لتشجيع الزواج وتخفيف مهور البنات ، ونشر العلم ومطالبة الحكومة بتسهيل الوصول اليه وتعليم البنات ·· كما ان بعض اعضائها كانوا يعطفون على القضية العربية ويرون فيها الشفاعة الكبرى · ويحدبون على الامم العرب وآمالهم ويجمعون بين فترة وأخرى لمنكوبي الزلزال في فلسطين والمنكوبين بالطليان في طرابلس ويكرمون رجال العرب الذين يزورون عدن · وأهم ما أحدثته هذه النوادي هي اليقظة التي شعر بها الناس عموماً في هذا البلد ، والوعي القومي الذي تغلغل في نفوس بعض المخلصين فأكسبهم روحاً وطنية آمنت بحقها فقامت تسعى له(٢٧) ·

وعندما زار الكاتب الانجليزي لاديسلاز فاراجو عدن عام ١٩٣٧ ترك لنا وصفاً دقيقا للحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية في المستعمرة · وقد خلف لنا كتابين - الاول باسم (ارابيان انتيك) (العربي الغريب) وقد نشر عام ١٩٣٨ والثاني باسم « ذي ريدل أف ارابيا * وفي هذا الكتاب الثاني وصف ممتع للقاضي الشاعر أحمد الحضراني الذي كان لاجئاً في عدن وقتذاك وهو يلقي قصائده في احد النوادي الثقافية · ويقول المؤلف بأن طريقة القاء الحضراني لقصائده جعلته - وهو المؤلف الاجنبي - يتذوق معانيها بوضوح · وهذه هي ترجمة بعض الفقرات من الكتاب الخاصه بالحياة الثقافية التي كانت سائدة في المستعمرة وقتذاك ·

« أخذني علي - دليل المؤلف - الى

---

* Ladislas Farago . the Riddle of Arabia . Robert Hale , 1939 .

كثير من النوادي العربية ، وبدأت اعيش حياة المثقف العربي • وفي عدن يوجد أكثر من (١٢) ناديا من هذه النوادي الا ان أهمها هو نادي الادب العربي والذي كان السيد عبد الكريم سلطان لحج يترأسه •وكانت السياسة محظورة رسمياً في هذه النوادي ، وقد أصر كثير من اصدقائي العرب بأن القصد منها كان للاغراض الاجتماعية فقط، ومع ذلك فان يقظة الفكر السياسي العربي في عدن قد تشكلت في هذه النوادي • فالمناقشات كانت دائما تدور حول مواضيع مثل التأثير المتنامي لايطاليا في شمال افريقيا والبحر الاحمر ، والموقف الضعيف لبريطانيا في هذه المنافسة ومعاناة العرب في فلسطين • وكان المشرفون على هذه النوادي هم الشبان العرب الذين درسوا في الجامعات العربية المشهورة في الشرق الاوسط في القاهرة وبيروت والذين عادوا الى عدن الهادئة بعد أن تأثروا بالافكار السياسية الحديثة •

وكانت جدران هذه النوادي التي تدعي انها نواد غير سياسية مغطاة بشعارات سياسية صارخة امثال : « بلاد العرب للعرب » أو « ياعمال بلاد العرب اتحدوا » وبصورة مثيرة منزوعة من صحف مصرية مصورة تبين أعمال ارهاب يمارسها جنود احدى الدولّ الاوربية ضد عرب معذبين (ص ٧٤ ـ ٧٥) •

« وفي الشوارع الضيقة للسوق في عدن قابلت ممثلين لكل البلدان العربية تقريبا لقد قابلت لاجئين من سوريا وتونس وليبيا ، ومصر ،والسعودية وفلسطين ، واليمن •••» (كذا) ص ٧٩ •

•••و من بين الهاربين من بلاد العرب وجدت لاجئاً ثالثاً من العائلة المالكة هو السيد الدباغ •• أن عقله عقل مثقف • فهو يعتقد ان مغتصبي العروش العربية يستطيعون أن يحكموا الجماهير ماداموا فقط قادرين على عزل الحضارة عنها • ولذلك فان هدفه هو نقل المعارف الحديثة الى الصحراء العربية • وبالباقي من ثروته الضخمة التي كان يمتلكها يوماً ما يقوم الآن بالصرف على مدرسة عربية في عدن وكتابة رسائل لاحصر لها الى السعودية لتنوير اصدقائه ••• وقد رافقت السيد الدباغ الى محاضره عربية حيث قام أحد اللاجئين التونسيين بتقريع الفرنسيين ، وبعدها في المساء ذهبت الى اجتماع حيث قام عربي من مقاديشو ، لاشك انه كان مأجورا ايطاليا ، يتكلم عن بركات الفاشية ودعا موسوليني بـ « سيف الاسلام » •

ان قوات مختلفة كانت تعمل في عدن ، ولكنني لم أجد أي نشاط بريطاني أو دعاية بريطانية •••لقد بقيت بريطانيا صامتة (ص ٨١ ـ ٨٣) •

والجدير بالذكر أن الاخبار كانت دائما تنشر عن مدرسة الفلاح الاهلية هذه

التي انشأها الدباغ . ففي العدد١١٧ بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٣٨ من «مجلة الرابطة العربية » نقرأ هذا الخبر النقدي للسياسة الاستعمارية البريطانية وعن موقفها المعادي من المدارس الاهلية ولاسيما مدرسة الفلاح هذه يقول مراسل المجلة في عدن ما يلي :

لا يزال مدير المعارف يقتل الروح الاسلامية العربية في مدارس الحكومة بكل الوسائل ، وجل جهوده ومراميه أن يكون برنامج المدارس استعماريا صرفا واشتد النكير والتضييق الى المدارس الاهلية لا سيما مدرسة الفلاح الاسلامية العربية المعروفة بنزعتها الوطنية الصادقة في تعليمها واناشيدها وخاصة بعد حادثة الرحلة التي قامت بها بعثة الفلاح بمناسبة العطلة الصيفية في أراضي لحج والضالع والديار اليافعية وتمسكقبائل يافع بمديرها ان يقيم بينهم » (ص٤٧) .

الآن هذه الأهداف العريضة لتلك النوادي والجمعيات سرعان ماتبخرت تقريبا مع انتهاء الثلاثينات وبداية الحرب العالمية الثانية . فقد ساعدت عواملخارجية وداخلية على اجهاضها .فالحكومة الاستعمارية نفسها لم تكن راضية بنشاطها . لهذا فاننا نجدها أثناء الحرب العالميةالثانية تقوم (بنفي) بعض الاعضاء البارزين من منطقة الى اخرى المستعمرة وتفرض عليهم الاقامة الاجبارية هناك متهمة اياهم بالتعاون ونشر الدعاية لصالح دول المحور . كما انها كانت تتمكن ، عبر بعض الرجال التقليديين من نشر الاشاعات بأن مقاصد تلك الجمعيات هي غاياتسياسية لاخير لأحد فياعتناقها . وقال آخرون ان تعليم البنت وتشجيع التمثيل امران مخالفان للدين والعقائد الاسلامية (٢٨) وكما قال احدهم بحق ان الرجعية في كل زمان اداة هدامة في صرح القوميـة وبناء الوطنية تنسب لكل حركة جديدة ترمىالى الاصلاح وتسعى للوعي القومي كل نقيصة (٢٩) .

اما العوامل الداخلية التي ساعدت على اجهاض تلك النوادي والجمعيات الاصلاحية فقد أجاد في تشخيصها احد العناصر المشاركين مشاركة فعالة في قيام ثم تسيير تلك الجمعيات والنوادي عندما قال فيما بعد :

« المصيبة العظمى في عدن التي تثبط الهم وتقتل النشاط المكابرة . والمصيبة الثانية ان القليل من الناس الذين يصمدون لتطور الزمن ويسيرون مع الأيام سيراً ثابتاً لتحقيق الغايات الغالية والمقاصدالنبيلة ، اذ ينزعون الى الشغب والخصام والتحزب فيتناسون وحدة الغرض وسمو المرمى فيعمدونالى التنابذ والشتائم ، وينفرون منالنقد ويفرحون بالمجاملة ويعاكسون كل هيئة يرون فيها منافسا لهم فتتعدى الاغراض وتتكاثر الاحزاب ، ثم تأخذ في

التلاشي · هذا ما حدث في عدن فاضر ضررا فاحشا بالنوادي العديدة التي ضاع عليها جهدها فأوصدت ابوابها ولم يبق فيها سوى شباب منصرف للهو ولعب الورق وقتل الوقت وأكل القات » (٣٠) ·

ويمضي رئيس (نادي الاصلاح العربي الاسلامي) في تقييمه فيمكان آخر قائلا :

كان على هذه النوادي وهذه الجمعيات ان تعمل لتوحيد صفوف العدنيين وغاياتهم وتخلق منهم أمة تشعر بوجودها ، ولكن هذه المؤسسات لم تعمل لسوء الحظ لغرض قومي ، ولم تسعى لغاية وطنية ، وان كانت تستهدف مرمى ثقافياً سامياً · كان على هذه الجمعيات ان تسعى لجمع شتات هذه الأمة كما فعل نادي الاصلاح في سنواته

الاولى قبل أن تفسد أغراضه · وكان عليها ان تحارب العادات الرديئة وتنشر الفضيلة بين الناس وتؤسس داراً للأيتام وتحمي الطفولة المشردة ، وتجمع الشباب حولها للتعاون في سبيل هذا الاصلاح ، وان كانت هذه الجمعيات لم تجد التشجيع ولاقت بدل ذلك التثبيط من أناس دأبهم السفه وتحقير الجهود وان كانوا هم من أحقر الناس واتاهم الزمن فامتلأت جيوبهم وأثروا حتى حين » (٣١) ·

الا ان أهم ما فعلته تلك النوادي والجمعيات كما سبق ان أشرنا ، كان يتعلق بمجال التعليم وبالذات ارسال البعثات الى الخارج · فعندما قام أحدهم ينشر خواطره حول تلك النوادي بعد مضي حوالي ربع القرن من تأسيسها كان اعترافه واضحاً بما أسدته في مجال الادب والعلم والتعليم قال : لقد مضى علىتأسيس هذه النوادي والجمعيات مايقرب من ربع قرن وكل ما وصلت اليه بعد هذه الحقبة الطويلة من الزمن انها اليوم تنظم البعثات العدنية للسفر الى المدارس المصرية ولأظنها افلحت في شيء غير هذا وهو عمل في حد ذاتهجليل النفع عظيم الخطر (٣٢) ·

مساهمة الجمعيات الثقافية ونوادي الاصلاح بالحركة التعليمية

وكنموذجلنشاط (نادي الاصلاح العربي الاسلامي) في مجال التعليم وارسال البعثات الى الخارج ننشر هذه الرسالة التي وجهها رئيس النادي الى السيد عبد الرحمن المهدي (٣٣) ·

الزعيم السياسي والديني المشهور في السودان وستظهر لنا هذه الرسالة بوضوح الشكوى العامة من ضعف مستوى التعليم في المستعمرة آنذاك وجهود النادي في محاولة اصلاحه كما انها تعرض ولاول مرة كما اعلم - لذكر مفهوم اليمن الطبيعي في مثل ذلك التاريخ المبكر ·

تقول الرسالة والمؤرخة ٢٨ رجب ١٣٥٦هـ (١٩٣٧) مايلي :

حضرة صاحب الفضيلة العلامةالجليل السيد عبد الرحمن المهدي السوداني حرسه الله ٠

تحية واحتراما وبعد فاني أرفع الى فضيلتكم ان عندنا كما تعلمون الثغر الطبيعي لليمن كلها من أقصى العربية السعيدة غربا الى آخر حضرموت شرقا والاكثرية الساحقة من سكانها عرب مسلمون ٠

ابناء العرب في هذه الديار في ديجور حالك من الجهل ٠والتعليم هنا على وجه العموم لايسمن ولايغني حيث يخرج الطالب من المدرسة الثانويةلايحسن العربية (وهي لغته) ولايجيد الا الانجليزية (وهي اللغة الرسمية) ٠

وكل ما هنالك علوم سطحية لا تقوم بالحاجة ويكفي أن أقول انه لا يوجد في عدن كلها طبيب او مهندس او محامي والاستاذ في التربية والتعليم من أبناء العرب ٠ ولهذا فقد استحوذ على مرافق البلاد وخيراتها الأجانب وأصبح العربي فيها ليس الا غرآ جهولا ، يقاسي الآلام والجوع والفاقه٠

لهذا رأينا ان لاسبيل الىانتشال أبناء المسلمين من هذه الهوة السحيقة الا بالعلم فالتجينا الى ملوك المسلمين وعظمائهم من أهل الفضل ، فكان ان قبلت حكومة جلالة ملك العراق المعظم عددا من الطلاب يتلقون العلم في العراق على نفقتها من المأكل والمشرب والمأوى ، كون الطلبة من الفقراء ، كما ارسلنا البعض الى الهند ايضا ، وها نحن اليوم في مخابره مع حكومة جلالة ملك مصر المعظم بهذا الصدد ٠

ولما كنتم فضيلتكم منزعماء المسلمين المعدودين ، ومن الذين اشتهروا بأعمال البر والاحسان ، ترانا نتقدم الى فضيلتكم بهذا الالتماس راجين من مكارم اخلاقكم بأن تفكروا فيما نقاسيه من الويلات ، وان تمدوا لنا المساعدة في انقاذ شباب المسلمين بأن تتكرموا بقبول عشرة من الطلبة منابنائنا ليتلقواعلومهم العربية والانجليزية في كلية غردون الكائنة بالخرطوم ، أو في أي مدرسة او جامعة تختارونها فضيلتكم في السودان او مصر مع المأكل والمشرب والمأوى وغير ذلك على نفقة فضيلتكم حتى تنقذوهم من براثن الجهل وتضيفون بهذا العمل المبرور مكرمة جديدة الى سجل اعمالكم الخالدة ٠ واذا ترون فضيلتكم ان عشرة من الطلبة سيكونون عبئا ثقيلا فلا بأس ان يكون العدد انقص من ذلك ٠

لنا وطيد الأمل يا صاحب الفضيلة بأن تعيروا التماسنا هذا اهتمامكم لأن المشروع انساني وديني في آن واحد وأن تتكرموا بالجواب الشافي لازلتم اهلا للفضائل ٠

وبالختام تفضلوا ياصاحب الفضيلة بقبول فائق الاحترام ٠

(المخلص احمد محمد سعيد الاصنج)

رئيس نادي الاصلاح العربي الاسلامي

« بعدن »

وفي ١٠ ابريل ١٩٣٨ رد وكيل دائرة السر السيد عبد الرحمن المهدي مفيداً بأن « الالتحاق في كلية غردون من اختصاص حكومة السودان وسكرتير المعارف فبعد أن يقبلوا التلامذة في التعليم فان الدائرة لتساعد بما يمكنها في مصر وفادتهم الشخصية » فكتب رئيس النادي الى كلية غوردون مستفسرا عن التكاليف ولكن جواب غردون كان مثبطاً للآمال فقد أفاد : « بانه لايقبل المخابرة في الموضوع الا بواسطة حكومة عدن » ويظهر ان رده ذلك جاء بعد المشاورة مع حكومة المستعمرة لأن الحكومة البريطانية كانت آنذاك تستعمر القطرين معا عدن والسودان - ولم تكن بالطبع تشجع اهتمام الجمعيات الاصلاحية بتعليم ابناء البلاد ٠

الا أن ردرئيس كلية غردون الانجليزي لم يثبط من همة نادي الاصلاح ٠فقد كتب رئيسها الى الجامعة الامريكية في بيروت ٠ فردت عليه الجامعة بقبول «اربعة طلاب من عدن من الذين تتوسمون فيهم الفطنة والذكاء والاخلاق الطيبة بنصف الاجرة الدراسية المطلوبة عادة من باقي الطلبة » ٠ وقد تنازلت الجامعة عن نصف أجرة الدراسة بعد أن طلب منها رئيس النادي المساعدة بحكم ان الطلبة من اولاد الفقراء ٠ ويظهر أن مدير قسم التسجيل العربي في الجامعة قد لمس جهود نادي الاصلاح في هذا المجال : فقد اختتم رسالته الى رئيسه بنقل تحياته واحترامه وتقديره له لما « تقومون به لرفع لواء الثقافة بين اخواننا العرب في عدن » ٠

ثم استمرت المراسلة معالسيد المهدي بهدف ان يتحمل تكاليف دراسة الاربعة الطلبة في الجامعة الامريكية بواقع ٤٠ جنيها للواحد في السنة (نصف الاجرة المقررة) ولكن شيئا لم يتم في الموضوع ولم يتوصل الىنتيجة ٠

الا ان جهود النادي لم تتوقف عندذلك الحد ، فقد استطاع ارسال بعثة ثانية الى العراق وأخرى الى مصر ٠ والأهم من ذلك فاننا سنراه فيما بعد يقدم مذكرة بتاريخ ١٦ أبريل ١٩٤٠ الىحاكم المستعمرة ينتقد فيها سياسة السلطة التعليمية وقدم فيها مطالب واضحة كرفع مستوى التعليم ، وارسال الطلاب الى الخارج ، وتدريس العلوم وتحسين تعليم البنات ، وفتح مدرسة للصنائع ، وانتشال الطلبة الى درجة تؤهلهم لطلب درجات عالية غير « المكرانة » ٠ ومن رد حكومة المستعمرة على تلك المطالب سنجد ايضا بأنها لم تستطيع نفي ذاك القصور وانما حاولت تبريره ٠

واذا أخذنا اعداد الطلبة الموجودين في مدارس عدن في منتصف الثلاثينات أي قبيل انضمام عدن الى وزارة المستعمرات ، وبعد مضي حوالي مئة عام على الاستعمار

والتبعية للهند ، سنجد انها كانت قليلة للغاية ٠ فالمدارس الابتدائية الحكومية في المستعمرة لم تزد عن (٤) مدارس اما المدارس الابتدائية المعانة فكانت (٦) مدارس فقط وكان مجموع طلبة هذين النوعين من المدارس أقل من (١٠٠٠) تلميذ ٠اما تلامذة الكتاتيب او المدارس غير المعترف بها بما في ذلك بعض مدارس الاقليات ، فكانوا حوالي الالفين (٣٤) كما ان طلبة المدارس الثلاث الانجلو/محليه (أي ذات الأقسام الثانوية) لم يزيدوا عن (٢٠٠) طالب وكانت الدراسة في هذا النوع الاخير من المدارس فيما عدا الثلاث الصفوف النهائية تعطى بواسطة لغة الطلبة التي يتكلمونها كالعربيةوالجزراتية ٠٠٠الخ ٠ وعلى الرغم من ان السكان العرب كانوا هم الغالبية فانهم كانوا من حيث

اعداد الطلبة أقل تمثيلا من بقية الجاليات كالهنود واليهود ٠٠ وكان للمدرسةالحكومية الثانوية خمسة من الاساتذة الجامعيين ٠٠ وثلاثة من غير الجامعيين وهي التي كانت تزود المكاتب الحكومية بالكتبة من خريجيها ٠٠ اما ما كان يصرف من ميزانية المستعمرة الضئيلة على التعليم فلم يتعد نسبة ٥٪ (٣٥) ٠

انشاء كلية ابناء الرؤساء والمشائخ

وقبل ان تنتقل عدن الى التبعية المباشرة لوزارة المستعمرات في لندن ، نجد ان الانجليز قد استطاعوا في الأخير تحقيق هدفهم الذي استمر يراودهم كما سبق أن رأينا منذ احتلالهم لعدن ، وهو انشاء « كلية ابناء الرؤساء » او كلية جبل حديد في عدن ٠ والحقيقة ان تبعية المحميات لوزراة المستعمرات كانت قد سبقت عدن بعشر سنوات وذلك عام ١٩٢٧ عندما سحبت المحميات من تبعيتها لحكومة الهند واصبحت تابعة للندن ٠ ومنذ ذلك الحين بدىء في تكثيف السياسة البريطانية وتدخلها المباشر في الارياف ٠ فمن ناحية سياسية أصبح للمحميات جهاز سياسي قوي ، تطور فيما بعد في منتصف الثلاثينات

الى داري الاعتماد والاستشارة في كل من المحميات الغربية والشرقية ٠ ومن ناحية عسكرية انشأ الانجليز قوات جديدة تمثلت

بجيش الليوي والحرس القبلي والحرس الحكومي وذلك لخدمة تنفيذ سياستهم الجديدة ومن أجل تعزيز ودعم سلطة الأمراء والسلاطين ٠ وكانت تلك القوى الثلاث تعمل وتتبع لسلاح الطيرانالبريطاني وداري الاعتماد والاستشارة (٣٦) ثم أضيف الى

هذين الجهازين السياسيوالعسكري المكلفين باخضاع الارياف جهاز ثالث هو الجهاز التربوي السياسي الذي تمثل بـ (كلية ابناء الرؤساء) وقد تم افتتاح تلك الكلية في عدن يوم الاول من ابريل ١٩٣٥ واستمرت في تخريج ابناء الرؤساء والامراء والمشائخ والعقال الى عام ١٩٥٢ عندما ستقفل

أبوابها كما سنرى لتأخذ (كلية عدن) دورها بالنسبة لابناء المحميات ٠

ولاهمية الموضوع فقد كلف المستر انجرامز شخصيا للقيام برسم السياسة للكلية ثم الاعداد لفتحها وتسييرها في مرحلتها الأولى ٠ ونترك الكلام لصاحب المشروع ليحدثنا عن الكلية موقعها ، والأهداف منها والدروس فيها ٠ وبالطبع فيجب أن نأخذ بالاعتبار ان كلام هذا المقيم والمستشار البريطاني قد نشر بعد عدة سنوات فقط من انشاء الكلية ، ولهذا فهو يحاول في بعض الاحيان تغليف أهداف حكومته بمقاصيد تبدو خيرة ونبيلة ، كما انه في أحيان أخرى يحاول أن يقنعنا - وهوالنصراني - بتفانيه من أجل خدمة الاسلام الحق وذلك عند كلامه عن حالة الانفصام الموجود والذي يريد أن يزيله - بين الاسلام والمسلمين في جنوب الجزيرة العربية أو قضية اهتمامه ببناء المسجد في الكلية وعلى أية حال فان ما كانوا يهدفون اليه من بناء الكلية ونتاجاتها هو واضح للعيان ٠ كما أن قيام المستشار المقيم نفسه بغسل الطلبة والاشراف على نومهم يدل على مدى اهتمامهم بخريجي المدرسة من أجلّ المستقبل ٠

وفيما يلي ترجمة لما كتبه انجرامز عن الكلية في كتابه (بلاد العرب والجزر البريطانية) تظهر التجارببأن الصراعات الداخلية القبلية تكون من فعل الرؤساء انفسهم وهناك من الاثباتات بأنهم اذا ما نشأوا على اعتبار مصالح رعاياهم فان كثيرا من هذه المتاعب لن تحدث ابدا ٠ فمنذ ثلاثين عاما اقترح الكابتن ورنفود فكرة انشاء كلية الرؤساء وكانت الفكرة سليمة تماما ٠ ومن وقت لاخر كانت الفكرة تطرح لتهمل من جديد لسبب أو لاخر الى ان صار السر برنارد رايلي هو المقيم

السياسي ، وعندئذ بدأت الفكرة بالفعل تأخذ شكلها العملي ٠ وكان المقترح بأن تخفض الصرفيات على الهدايا التي تعطى للرؤساء وان تفتح بالتوفيرات مدرسة لابنائهم ٠ وقد كلفني السربرنارد أن أقوم بالمهمة وشعرت فيالنهاية ان لديّ شيئا بناء أقوم به ٠

وفي عدن كان يوجد هنا وهناك عدد من الثكنات الخربات او نصف الخربات ٠ وقد أخبرت بأن في امكاني ان اختار اياً منها ٠ وكانت الثكنات الرئيسية توجد في كريتر ولكنني أسقطتهامنحسابي لقربها من السوق ، وكنت مقتنعا تماما بأن آخر شيء يمكن ان يكون مفيدا لاولاد الارياف سيكون في أي مكان الا بالقرب من سوق عدن ٠ وفي تل يعرف بالبرزخ الصغير خارج محيط كريتر ، كانت توجد هناك ثكنة أخرى ٠ لقد كانت مهيبة الموقع تماما ومتينة البناء ، وكانت يوما ما تستخدم كمطعم لضباط الوحدة الهندية ، وفيما بعد أصبحت لبعض الوقت معتقلا

للزعيم المصري المنفي سعد زغلول باشا . وعندما شاهدتها أول مرة كانت متروكة بدون حراسة ، وكل أداة صغيرة أو كبيرة فيها أو قطعة خشب يمكن ازالتها منها كانت قد أخذت وأوقد بها . وتحت التل كانت توجد مجموعة أخرى من الخرابات وأرض مستوية . وكنت وزوجتي دورين نطلع التل يوميا بعد الظهر ونجلس نتأمل كيف سيكون المكان بعد أن يصبح مدرسة . وطبعاً فان التخطيط لمدرسة يحتاج الى اعتبارات أخرى بجانب الموضع الذي هومهم بحد ذاته . وصرفت كثيرا من الوقت في مسألة الخلفية الاجتماعية للاولاد الذين نأمل أن يأتوا الى المدرسة ونوع النتاج الذي نريد أن تخرجه المدرسة.

أن مانريده هو نوع من الرؤساء الذين تكون لهم افكار اخرى غير الاهتمام بجيوبهم ولذاتهم . نريد رئيسا لديه حس بالواجب والذي سيحكم قبيلته بالعدل والمساواة ويهتم بتطويرها . ويجب أن لايكون متعلما عاليا ، لان الجيل الثاني من الرؤساء على اية حال يجب ان يكونوا كذلك الا ان عليه ان يقدر مثلا قيمة الزراعة والعلوم الطبية . ولم يكن المطلوب اعطاءهم ثقافة ادبية عالية وانما فقط مافيه الكفاية من اللغة الانجليزية تمكنهم من الاتصال بضباط سلاح الطيران الملكي والزوار الآخرين الذين لا يعرفون العربية ...

وبعد تفكير قررت بأن اهداف المدرسة يجب أن يكون تهذيب السلوك وبناء الشخصية والتدريب الرياضي والتربية الادبية حسب هذا التسلسل في الاهمية . ويجب ان لاتكون المدرسة تقليدا رخيصا للاشياء الاوربية وانما محاولة لتدريس أحسن الأشياء العربية ولذلك يجب أن تعطى الاهمية للاخلاق العربية الجيدة . وعلينا قدر الامكان ادخال العادات والالعاب العربية في المدرسة . وقد ظهر لي بأن الدروس الدينية يجب أن تؤخذ بجدية أكثر مما هي عليه في المدارس الحكومية وأنه فضلا عن الاصرار على اداء الشعائر الدينية كالصلاة مثلا ، فان جوهر الدين وتطبيقه في كل الاعمال اليومية يجب الالحاح عليها دائما . ففي جنوب الجزيرة العربية كثيرا ماتجد الانفصام التام بين مايأمر به الدين وما يمارس بالفعل يومياً .

فعلى الرغم من امتلاء المساجد في المدينة فان كثيرين من اولئك المصلين من ناحية أخلاقية قلما يهتمون بما ينهي عنه الدين - فالسرقة و الكذب والنميمة ضد الاخرين ، والاضطهاد ، وقلة الامانة بكل أنواعها ، تمارس كل يوم . وفي الحقيقة فان أفضل الاخلاق والاستكانة الصابرة لارادة الله عموما توجد بين البدو على الرغم من أن الكثيرين منهم قلما يصوم أو يصلي .. وقد شعرت تماما بان ماتقدمه المدرسة العامة في بريطانيا من ناحية تهذيب

الشخصية هو المطلوب هنا ، وبأن النظام الذي تلقنه ، فهؤلاء الاطفال الذين تربوا بدونه تماماً ، هم في أمس الحاجة اليه ٠

ولاعتقادي الراسخ بضرورة وجود الجسم السليم فلم أؤكد على الألعاب المحلية المنسقة وكرة القدم فحسب ، وانما على الوجبات الصحيحة وتقسيم اليوم بين ساعات للعمل والتسلية والراحة ٠

وبالنسبة للدروس نفسها فيجب ان تبدأ بالقراءة والكتابة والحساب ٠ أما المستوى المطلوب فهو ان يكون بمقدور التلميذ كتابة رسالة مفهومة والتفكير بوضوح ٠ وقد كان التأكيد قليلا على النحو والتأنق الادبي فرجال القبائل على كل حال لايهتمون كثيرا بمثل تلك الامور ومعظمهم لا يجيد القراءة أو الكتابة ٠ فلابد من أن يدرسوا التاريخ والجغرافية مع التأكيد الاكثر على مايخص بلادهم ٠ وكلما بعدت تلك المادة عن محيطهم فيجب ان تعطى لهم بكميات اقل ٠ كما ادخلت في المقررات العلوم الطبيعية والزراعةوالصحة، ويمكن أن يرى كيف عن طريق دراسة حياة البعوض مثلا تتداخل مواضيع كثيرة ٠ وقد فضلت مثلا بان مواضيع قراءة وكتابة المقالات يجب أن تهتم بالقضايا العملية قدر المستطاع كما ان مسألة حسابية تتكلم مثلا عن كيف يملأ حمام بواسطة فتح الزر الكهربائي يجب أن تمنع ٠ وفي الصفوف النهائية من المدرسة فان مواضيع التربية الوطنية وفن الحكم يجب أن تدرس بشكلها الاولي ٠

كما كنت اتصور وأنا جالس في أعلى التل كيف يجب أن يكون شكل المسجد و الحدائق (والتي كان لابد من احضار الطير لها من أماكن بعيدة وسقيها بالمياه الوسخة لان الماء كان ثمينا في عدن بحيث لايمكن سقي الحدائق بالماء النقي)وكذلك ملعب كرة القدم وبركة السباحة وغير ذلك من المسائل الأخرى ٠

وهكذا تحولت الخرابات التي تحت الى حانوت خياط، وأماكن للغسله ، ومطابخ وما شابه ذلك ٠ وبواسطة حركة رياضية قوية تسلقت سقف الطابق العلوي من البناية الرئيسية وبالمحافظة على توازني فوق العوارض الحديدية التي أصبحت مجردة من الأخشاب قدرت بأن المكان يستوعب فقط ستة وثلاثين تلميذاً ٠ ثم تخيلت الاسرّة في اماكنها وفوق كل واحد منها تلميذ نائم ، وكذلك أمياز الصفوف التي أحكم ارتفاعها كي تمكن الرؤوس أن تنحني فوقها وفي قاعة الأكل تخيلت كلّ ستة تلاميذ وهم جالسون حولَ قطع قماش بيضاء وأستاذهم يعلمهم أصول الاكل فوق الارض اوالمائدة، بينما صورة جلالة الملك والتي لايعرفون لها شبيها تحدق فيهم من علّ في آخر الجدار٠ ثم تصورت الزي الصالح لكلّ مناسبة وذلك بأن يكون الزي اليومي مكونا من قمصان الكاكي والفوط والعمائم وزي

الرياضية من البنطلونات والصدرية، أمازي عطلة الجمعة والخروج الى السوق فيجب ان يكون مكونا من الفوط الاسكتلندية الخضراء الارجوانيـة ومـن العمائـم والجـاكتيـات الاسكتلندية المطرزة بالاسماء !! ·

وعندمـا اكتملت الصورة الكاملـة في ذهني والمحتوية على كل شيء حتى قضية ماذا يجب ان يأكله التلاميذ في كل يوم مـن الاسبوع ، كتبت تقريري وقدمته للحكومة·

وفي الوقـت المناسب عـاد الجـواب بالموافقة ، وبدىء عندئذ بالعمل وكان ذلك فياكتوبر مـن عام ١٩٣٤ وفتحت المدرسة في اول ابريل ١٩٣٥ ·

(لادري لماذا الكثير من مغامراتي تحدث في نفس هذا اليوم) ·وكان علـي أن أحصل على الموظفين · وبالنسبة للمدرسـين فقـد عدت الى جزيرة زنجبار حيث كنت واثقـا علىأيـة حـال بأنني ساحصل على شباب ذوي عقول ريفية مهذبة · وفيما بعد جاء مدير المـدرسة مـن السودان والـذي كـان يمتلك الادراكلفهم وراء الهدف مـن وراء المدرسة ، ثم كـان هناك المشر ف· وهـذه الوظيفة الصعبـة غير المعتادة لأن شـاغلها كان في الحقيقة هو القيـم على التلاميـذ في المدرسة بالاضافة الى عمـله كمحافـظ على النظام خارج صفوف الدراسة · وكـان هـو الشخصـ المحلـي الـوحيـد بـيـن موظفي المدرسة · وهو ضابط عولقي ملتح سبق ان خدم طويلا في جيش محمية عدن (الليوى) ·

وبدأنا نكتب للرؤساء آملين ولكن غير متوقعين ، بأن يكون هناك تجاوب · وكمـا توقعت فقد انتشرت الاشاعة بأننا نريـد أولادهمكرهائن منأجل ضمانحسنسلوكهم· وبدأنا بالوعد فقـط بثلاثة ابنـاء سلطـان الفضلي ، وأما الباقون فقد تصفحتأسماء الاولاد ، الذين كـانوا بمقتضى ترتيبـات سابقة ، يتلقون تعليما مجانيا في مـدارس عدن الحكوميـة ، اخترت منهم اربعـة من اصغرهم سنا والذين لم يظهروا بأن حيـاة السوق قد أفسـدت أخلاقهم · وحتى الآن فان اعمار الطلبة الذين التحقـوا بالمدرسة تراوحت فقط بين ٨ ـ ١٥ سنة · وقد أملت انه مـع مرور الزمـن ، وفي حـالـة نجـاح المشروع ، فان مدرسة أخرى لاولئك الذيـن تتراوح اعمارهم بـين ١٥ ـ ٢٠ سنة يمكـن أن تفتح في المستقبل ·

وفي الأول من ابريل ذهبـت بسـيارتي الى مدرسة الحكومـة وأخذت منها سـبعة اولاد خائفـين الى جبـل حديـد ، وهنـاك وضعتهم في صف المدرسة وهكذا بدأت كلية محميات عدن لأبنـاء الرؤساء والمشـائخ

وكان اليوم الاول والايام القليلـة التي تلتهصعبة لتقسيمها الى ساعات منتظمة· وقـد أشرفت أنا والقيم محسن (بنفريد العولقي) على تغذيتهـم والعابهـم · وفي المساء كـان علينا أن نقوم بغسلهـم ثـم وضعهم في سررهم لان هذه المسائل كـانت مـن الامور التي لايعرفـون القيـام بهـا

بأنفسهم !!٠

ومع مضي الوقت بدأت أعداد التلاميذ تزداد ببطء حتى جاء اليوم الذي كنا نستطيع أن نجلس فوق التل ونشاهد كل شيء في محله والكل يسير بدقة كما خططنا٠ وكان هناك أيضا المسجد ، وقد قمت بعمل ثوري ازائه ٠ فقد جرت العادة بأن الرؤساء هم الذين يطلبون النقود من الحكومة ٠ وقد طلبت تبرعات من الرؤساء واستطعت جمع ثلثمائة جنيه ، كما تشهد اللوحات المرمرية في المسجد بذلك ٠ وعلى المحراب و فوق قطعة من المرمر ، نقش شعار المدرسة ، وهو الشعار الذ ي وقعت عليه اصبع يدي بدون تبصر ، بعد أن فتحت المصحف الكريم أمامي والمتمثل بالآية الكريمة« أن الله يأمر بالعدل والاحسان»٠ ٠ (٣٦)

إن أهمية انشاء كلية أبناء الرؤساء بالنسبة لسياسة الانجليز في اخضاع المحميات كان كبيرا جدا ٠ فمن المقدمة الجديدة التي نشرهاانجرامز لكتابه المذكور أعلاه عام ١٩٦٦ ، أي بعد نشر الاول بحوالي ٢٥ عاما ، أوقل بعد انتهاء مدة الحظر على الوثائق السرية البريطانية من يوم وقوعها ، تبين لنا بأن انجرامز قد هدد بالفعل السلطان علي الكثيري بمغادرة البلاد ما لم يواصل اولاد السلطان دراستهم في كلية ابناء الرؤساء في جبل حديد في عدن٠ كما ان تهديده للسلطان بمغادرة حضرموت قد جعل بعض انصار المستشار البريطاني من الحضارم يعرضون عليه فكرة تنحيه السلطان الكثيري وتنصيبه ـ اي انجرامز ـ سلطانا عليهم في الدولة الكثيرية !! وفيما يلي ترجمة لما قاله انجرامز عن الحادث :

« إن محاولتي لارساء سياسة أكثر حيوية وفائدة للمستقبل قادتني بعد أن ترسخ الصلح الى ان أقنع السلطان علي بأن يرسل اولاده الى كلية الرؤساء في عدن ٠ الا انه بعد انتهاء فصلهم الدراسي الأول قال السلطان بأنه لايريدهم أن يعودوا للمدرسة ٠٠ وفي احدى الليالي عندما كنت وحيدا مع السلطان حاولت ان اقنعه من جديد ولكنه لم يوافق ٠ وحاولت مرة أخرى الليلة التالية ولكن دون جدوى ٠ فقلت له وانا في اشد حالات الغضب انه اذا لم يعد بهم الى المدرسة سأحمل أمتعتي وأغادر سيئون الى الأبد ٠ ثم نهضت وغادرت دون أن أودع ٠ ثم ذهبت وبقيت مع السيد بوبكر في احدى شقق بيته التي كان لها مدخلها الخاص ، **وبعد ساعة أو ساعتين** صحوت من نومي بواسطة ضرب خفيف على الباب ، وبعد أن لبست نزلت الى الباب وتملكتني الدهشة عندما وجدت حوالي اثنى عشر رئيسا قبليا على رأسهم عوض بن عزان وجميعهم بكامل هيئتهم ولباسهم ومتمنطقين بسيوفهم ٠ وسألني عوض ان كان في استطاعتهم الدخول ٠ فقدتهم الى غرفتي وطلبت منهم الجلوس ٠ فجلسوا

في شبه دائرة امامي ووجوههم عابسة ٠

ثم سألني عوض ان كان صحيحا بأنني سأغادر ٠٠٠ فما كان علي الا ان أخبرتهم بما حدث ٠ ثم كررت القول بأن لا فائدة من بقائي في حضرموت اذا لم نعد للمستقبل ٠ ثم تكلم عوض وقال : انهم جاؤوا ليسألوني فيما اذا هم خلعوا السلطان ساقبل بالسلطنة ٠ لقد كانوا جميعا جادين في كلامهم ٠ وكانت تجربة مثيرة لمشاعري وكان من الصعب ان اجعلهم يدركون الاسباب لرفضي ٠٠٠ فمهما كانت درجة محبتي لديهم فلم أكن عربيا ولم يكن باستطاعتي ان اكون كذلك ٠ وكان في امكاني أن اضيف لهم قائلا سيأتي اليوم حتما عندما يرفض تعييني » (٣٧) ٠

وهذا وصف لاديسيلاس فاراجو لمدرسة محمية عدن لاولاد الرؤساء عندما زارها عام ١٩٣٧ بدعوة من انجرامز نفسه ٠

يقول : فاراجو في الصفحات ١٩٠ ـ ١٩٢ من كتابه « ذاريدل أف ارابيا » (لغز بلاد العر ب) * ماترجمته :

٠٠٠ دعاني انجرامز ـ الى مكان حيث يكون مرتاحا كثيرا ، الى الكلية حيث يتعلم فيها ابناء كثير من السلاطين العرب والرؤساء والمشائخ ٠

ففي المدرسة كان يعد حوالي اربعين سلطانا محتملا لوظائفهم كحكام في المستقبل بل وأكثر من ذلك ليكونوا متعلمين ومدربين لكي يصبحوا في النهاية حكاما حقيقيين ٠٠

والمستر انجرامز هو وحده الذي يستطيع أن يقص لناكيف كان من الصعب اقامة مثل تلك المؤسسة ٠ لقد كانت الفكرة الأصلية هي اختيار أقدر أبناء الرؤساء واصحهم واحضارهم الى عدن ٠

ثم وضعهم في بدلات مرتبة واصلاحهم عقليا وجسمانيا ٠ وكانت نظرية المستر انجرامز والتي وجدت دعما حارا في دار الاقامة ، هي انه سيكون أسهل في ان تحكم البلاد اذا ما نشىء الحكام المحليون الى طور الرجولة تحت التأثير المباشر لبريطانيا ٠

٠٠٠ في البداية ظهر في الواقع ان الحركة الودية تستوجد اضطرابا وعدم ثقة ولربما ثورة ٠ ولكن سلطانا متفتحا بعث بابنه البالغ من العمر ثمانية اعوام الى عدن وسرعان ماتبعه ولي عهدثان صغير للسلطنة ٠ واليوم هناك حوالي اربعين مرشحا في هذه المدرسة الفريدة الخاصة ٠

لقد رأيت الامراء يدرسون الابجدية العربية ، والحساب ، والنظريات الدستورية الاولية ، وما هو أكثر أهمية لعب كرة القدم والكريكت والتنس ٠ وكانوا مرتبين ومؤدبين ومتحضرين ٠

وفي اوقات العطلة يرسل المرشحون الى مناطقهم للاجازة ، وهكذا يتأكـ

---

* انظر :
Ladislas Fargo . the Riddle of Arabia .
Robert Hale , 1939 . PP . 190 — 192 .

للرؤساء الكبار بأنهم لم يكونوا يحفظون وراء قضبان السجن . بل حتى أنهم يأتون الى المدرسة لزيارة أولادهم الصغار وبعضهم يشعرون بالخجل من سلوكهم المتوحش امام الاخلاق الجميلة عند صغارهم ....

وقد أخبرني المستر انجرامز أن آخر اثنين التحقا بالمدرسة كانا ابنين لرؤ خضرموت (ص ١٩٠ - ١٩٢) .

لقد اصبح لنشاط هذه المدرسة أهمية تذكر حتى في المجلات العربية في الخارج . فمثلا نجد بأن مراسل مجلة الرابطة العربية في القاهرة في عدن يكتب لنا هذا الخبر عن المدرسة .

« عطلت كلية محمية عدن لاولاد الرؤساء بمناسبة شهر رمضان في ١٣أكتوبر واقام الطلبة حفلة رقص قومية والعاب بدار الحكومة حضرها البعض من رجال الحكومة والجاليات الانجليزية و بينهم امير بحر المحطة الهندية الشرقية واركان حربه (الرابطة العربية الجزء ١٤٠،١٣٩ ديسمبر ١٩٣٨ ص ٤٣) .

في الاول من ابريل ١٩٥٧ انتقلت تبعية مستعمرة عدن من الهند الى وزارة المستعمرات في لندن وتغير لقب «المقيم»الى « حاكم » للمستعمرة . وأصبح للحاكم مجلس تنفيذي مكون من كبار موظفيه يقوم بمساعدته . كما اصبح له سكرتير عام يشرف على بقية الادارات الحكومية .

أما بالنسبة للأرياف فقد قسمت الى محمية عدن الغربية و محمية عدن الشرقية ووضع على الاولى مستشار مقيم في المكلا ، وعلى الثانية معتمد بريطاني في عدن ، وكلاهما يتبعان حاكم مستعمرة عدن. وبالنسبة للتعليم تولى أول مدير معارف انجليزي هو المستر اتنبرو ، ادارة معارف عدن عام١٩٣٧ وبقي في وظيفته حتى عام ١٩٤٧ عندما تولى الوظيفة بعدهالدكتور سنل كما سنرى . وقد وصف المستر اتنبرو بأنه دمث الاخلاق ، لطيف المعشر يتحدث الى جليسه في هدوء وسكينة ، ويصغي الى كل اقتراح يعرض عليه . وقد سعى بهمة مستمرة كل هذه السنوات لرفع مستوى التعليم (٣٨) . ومنذ عام ١٩٣٧ أصبح من مسؤولية مدير المعارف في عدن التعليم فيكل من المستعمرة ومحميات عدن العربية . اما التعليم في المحمية الشرقية فسنرى انه سيكون من مسئولية المستشار المقيم هناك .

مطالب نادي الاصلاح العربي بتطوير التعليم ورد الحاكم البريطاني عليها :

والحقيقة ان التعليم ، بعد تبعية مستعمرة عدن للندن ، لم يتقدم تقدما كبيرا كما كان متوقعا خلال هذه المدة ، وذلك على الرغم من اعلان بريطانيا بانها قد خصصت مالية خاصة برفاهية المستعمرات. ومن مطالب (نادي الاصلاح العربي الاسلامي) المقدمة لحاكم المستعمرة بعد

ثلاث سنوات من انفصال عدن عن تبعيتها للهند ، وبالذات كما احتوتها مذكرتهم المؤرخة ١٦ أبريل ١٩٤٠ ، ثم من رد الحكومة على مطالب النادي كما جاء في مذكرتها رقم (٥٤٣٤) المؤرخة ١٥ أغسطس ١٩٤٠ ، سنجد ان تقدم التعليم كان بطيئا بالفعل. فقد طالب نادي الاصلاح بعريضته الموقعة بامضاء (١٧) من أعيان المستعمرات بالامور التي نوجزها كما يلي :

١ ـ رفع مستوى التعليم في عدن لدرجة عالية تمكن بها الطلاب من ابنائها من الاندماج في الجامعات الكبرى للطب والهندسة وغيرهما .

٢ ـ ارسال الطلبة من عدن لطلب العلم في الخارج على نفقة الحكومة .

٣ ـ تعليم الكيمياء والعلوم للطلبة في عدن .

٤ ـ تعليم الطلبة الى مستوى يؤهلهم لطلب درجات عالية غير « المكرانة » (بمعنى الوظائف الكتابية) .

٥ ـ انشاء مدرسة للصنائع والفنون .

٦ ـ انشاء كلية عدن .

٧ ـ تطوير مدرسة البنات بحيث يتعلمن التطريز والخياطة وترتيب المنزل والصحة .

وقد رد الحاكم بمذكرته رقم (٥٤٣٤) بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٤٠ ومن ترجمتنا الكاملة لهذه المذكرة سنجد ان تبريرات الحكومة لعدم استطاعتها تحقيق المطالب المذكورة اعلاه هي في الواقع اعتراف منهم بأنهم لم يقوموا بشيء ذي بال في طريق تطوير التعليم بعد انفصال عدن عن الهند. تقول المذكرة :

« بالرجوع الى خطابكم المؤرخ ١٦ ابريل بشأن التعليم في عدن كلفت أن أجيب على النقاط التي اثرتموها بالملاحظات التالية :

١ ـ تحسين مستوى التعليم حتى يتمكن الطلبة العدنيون من مواصلة التعليم في مؤسسات مابعد الثانوية في الخارج ثم يحصلون على التدريب الفني العالمي .

أن المؤهلات الضرورية للالتحاق في معظم الجامعات الانجليزية اوالتي تعلم بالانجليزية داخل انجلترا او خارجها هي شهادة الماترتيكوليشن ، او الشهادة الثانوية ، بتقدير جيد على الاقل في ثلاثة مواضيع أساسية ، وبعض الأحيان في موضوعين آخرين . وبمقتضى مستوى عدن في الوقت الحاضر فان هذا الامتحان لايمكن أخذه قبل آخر السنة أو الصف السابع ثانوي . ففي عام ١٩٣٧ لم يكن يوجد هناك صف في المدرسة الثانوية أعلى من الصف الخامس ، وحتى الصف الرابع في تلك السنة كان ضعيفا. وفي عام ١٩٣٨ فتح الصف السادس بتسعة طلاب ونجح منهم اربعة في شهادة الجونير كامبردج . ومن الاربعة الذين نجحوا لم يرد

احدهم مواصلة دراسته اكثر ٠ ولم يكن ممكنا بسبب الاحوال العالمية القلقة بدرجة اساسية وقتذاك ، استجلاب مدرسين اضافيين لفتح الصف السابع وعلى كل حال فلن يعتبر اجراءا اقتصاديا سليما فتح مثل ذلك الصف وبذاك العدد من الطلبة معتوقع في نفس الوقت ان الصف الذي يليه سيكون ضعيفا ٠

وفي عام ١٩٣٩ كان هناك صف سادس ضعيف يضم ستة من الطلبة أصيب أبرزهم بمرض طويل ، ولم ينجح فقط في شهادة الجونير سوى طالب هندي لم يرد هو نفسه مواصلة الدراسة ٠ وهكذا ترون انه ليست هناك امكانية لفتح صف سابع في يناير ١٩٤٠ ٠

وفي هذه السنة الدراسية الحالية عام ١٩٤٠ ، هناك ستة عشر طالبا في الصف السادس لايوجد بينهم سوى واحد أواثنين من الطلاب العرب الواعدين ٠ ولايتوقع ان ينجح جميع هؤلاء الطلبة في امتحان الجونير كامبردج ، الان هناك امكانية طيبة في انه سيوجد عدد كاف من الطلبة في المستوى المطلوب لتبرير فتح الصف السابع في يناير ١٩٤١ ٠

من هذه الارقام سيتبين ان تقدما ثابتا يتم في القسم الاعلى الثانوي وكذلك في الاقسام الثانوية الدنيا والابتدائية ، وان كل الجهود تتخذ لرفع الطلبة الواعدين الى مستوى يؤهلهم اذا ارادوا ، للالتحاق بالجامعات او المؤسسات مابعد المرحلة الثانوية في الخارج وذلك من أجل التعليم العالي العام او المهني ٠ الا انه كما اعتقد يجب الاعتراف بأن تقدماً ملموساً لم يحرز الى مابدأنا به عام ١٩٣٧ ٠

٢ ــ البعثات الى الخارج : حالما يصل الطلبة في عدن الى مستوى دخول الجامعة المطلوب المذكور في الفقرات اعلاه ، فان مدير المعارف قد سبق واقترح بأن واحدا او اثنين من الطلبة المبرزين الموجودين يجب ان يرسلوا في بعثة الى الخارج ليعودوا بعدها للخدمة في ادارة المعارف او اذا امكن في الادارات الحكومية الاخرى ٠ ومن المؤمل أنه سيكون في الامكان تنفيذ هذا المقترح اذاما سمحت الاحوال العالمية بذلك ، وحالما يصل الطلبة المستوى المطلوب ٠

أن ارسال الطلبة الى الخارج الان لن يعجل بالعملية لأن الدراسة الثانوية يجب أن تنهى في عدن أو في الخارج وذلك قبل ان يتمكن الطلبة من الالتحاق بالمؤسسات فيما بعد الثانوية ٠ كما انه من البديهي وقصر النظر ارسال طلبة الى الخارج من متوسطي التعليم والذين سيصعب عليهم أن يتأهلوا ولكنهم سيشغلون الوظائف القليلة الموجودة في عدن ، وبذلك سيمنعون العناصر الاكثر وعداً ، التي ستقوم لتلك الوظائف في المستقبل ، مما سيؤدي الى خفض مستوى الخدمة العامة ٠

٣ ــ تدريس الكيمياء والعلوم : من أجل تمكين الطلبة بأن يأخذوا دروساً علمية، ولاكثر من ذلك ، بسبب اهمية الدروس العلمية كجزء من الثقافة العامة ، فمن الضروري أن تدرس مادة الطبيعة العامة في المدرسة الثانوية ۰ ولهذا فقد قام مدير المعارف قبل اكثر من عام باجراء الترتيبات اللازمة بهذا الخصوص ، فقد أقيمت غرفة مختبر في ثكنة الخليج الامامي التي تحولت الى بناية مدرسية وتم شراء ادوات السنة الاولى ، الا أنه بسبب تمركز العسكريين في البناية فقد تحتم تأجيل المشروع ۰ ومن المؤمل القيام بترتيبات بديلة في أقرب فرصة ممكنة ، وذلك من أجل أن نبدأ في هذا الموضوع في الفصل الأخير من السنة الدراسية الحالية ۰

٣ ــ التدريب للعمل الكتابي (المكرانة) :

لقد قلتم بأن النظام التعليمي الحالي ۰۰۰ لايخرج سوى كتبة عاديين ۰ الا انه يجب ان يكون واضحا مما سبق أن قيل بأن هذا ليس هو هدف التعليم ۰ فهو قبل كل شيء يهدف الى تقديم ثقافة عامة تلبي حاجة الطلاب في كل مرحلة من مراحل الابتدائي والثانوي الأدنى والاعلى ۰ فقد استطاع عدد من الطلبة الذين غادروا مؤخراً المرحلة الثانوية العليا ان يحصلوا على وظائف كتابية كما فتح قسم من الصف السادس ثانوي وأعطي طلبته الذين يودون الالتحاق بالوظائف التجارية والمهنية تدريب حرفي خاص ۰ وهذا القسم يعتبر جزءاً متفرعاً عن النظام الرئيسي ۰ ويمكن في نفس الوقت أن نشير انه الى وقت قريب كانت الشكوى بأن التعليم المحلي كان لايعد اولاد عدن من اجل الالتحاق بالمهنة الكتابية أو التجارة ولذلك كان يحدث ان يستجلب الكتبة من الخارج ۰ ثم ان العمل في الوظائف الكتابية والتجارية لاشك ان يبقى دائما احد الفرص الرئيسية الموجودة لاستيعاب أولاد عدن الذين تحصلوا على التعليم الثانوي ۰ وفي الوقت الحاضر فان الطلب أكثر من العرض المحلي ۰

٥ ــ كلية في عدن : ان مشروعا لاقامة مدرسة داخلية داخل حدود مستعمرة عدن يهدف في مراحله خدمة المحميات السفلى والعليا جنوب الجزيرة العربية عموما ان مشروعا كهذا قد قدم للمجلس البريطاني السنة الماضية ۰ وسيهدف هذا المشروع في النهاية الى اعطاء دروس لما بعد الثانوية ۰ ويعكف المجلس البريطاني في الوقت الحاضر على دراسة هذا المشروع بدقة وتجمع الان الخطط المفصلة لامكانية سيره ۰ واذا ما تمكن في اقامة المشروع وتشغيله سيكون في الامكان الحصول على مقاعد الصفوف الثانوية العليا وما بعد الثانوية لبعض الطلبة العدنيين المطلوبين والمؤهلين للالتحاق به ۰ ان مستعمرة عدن ليست من الكبر بحيث يمكن تبرير انشاء كلية خاصة بها وحدها ۰

٦ ـ **مدرسة للفنون والصنائع** : لقد

قدمت الطلبات الى مؤسسة كارنجي وللمجلس البريطاني السنة الماضية للمساعدة في اعادة فتح المدرسة الصناعية بشكل أكبر من المدرسة القديمة التي كانت موجودة في عدن واغلقت ابوابها قبل عدة سنوات، الان استغاثتنا بهاتين المؤسستين لم تنجح . ثم اقترح بعد ذلك مناقشة امكانية ادخال نظام للتدريب المهني الموجه في ورشات الحكومة او الخدمات ، وقد اثبت هذا المشروع عدم عمليته بسبب الحرب . وهناك مقترح آخر تحت الدراسة ، ويمكنكم أن تطمئنوا بأن الحاجة للتدريب في الفنون والمهن ليست غائبة عن بالنا .

٧ ـ **توسيع تعليم البنات** : ... ان

أعمال الابرة والصحة يكونان جزءاً كبيرا من منهاج مدرسة البنات ، كما ان مبادىء العلوم المنزلية تدرس للبنات الكبار . ان صنع الملابس وتدريس العلوم المنزلية بالشكل الصحيح عادة لايدرس ولا يمكن تدريسها بالشكل الصحيح حتى تكون الطالبات قد بقين أكثر من الثلاث او الاربع سنوات في المدرسة وهما المدة التي يسمح معظم الاباء العدنيين لبقاء بناتهن في المدرسة في الوقت الحاضر . ثم ان المشكلة في الوقت الحاضر كانت هي عدم التمكن من الحصول على التلميذات لمدارس البنات خاصة في كريتر . ان تطوير وتوسيع تعليم البنات ليعتمد اذن بشكل كلي على الاباء وان الحل للمشكلة في الوقت الحاضر ليكمن أكثر بأيديهم وليس الحكومة . وتوقعا منا لطلب أكثر في مجال تعليم البنات فأن بنايات مدرسية واسعة للبنات قد سبق ان وفرت

وفي الاخير افيدكم انه اذا كنتم ، انتم اوغيركم من المهتمين، تودون زيارة المدارس لتعرفوا أكثر عن الاحوال الموجودة والمشروحة في هذه المذكرة فأن مدير المعارف سيرحب بمثل هذه الزيارة . واذا اشعرتموه من سابق فسيسره ان يقوم باجراء الترتيبات الضرورية حالما يعاد فتح المدارس . (٣٩)

الاباء والنوادي الثقافية اول من ارسل البعثات الدراسية الى الخارج :

لقد سبق أن رأينا ان حكومة المستعمرة لم يكن لها يد في ارسال البعثات الى الخارج خلال تبعية عدن للهند ، وكذلك كان حالها في السنوات الاولى من تبعيتها المباشرة لوزارة المستعمرات . فأول الجامعيين الذين عادوا الى عدن كانوا قد تم ارسالهم من قبل آبائهم أو الجمعيات التبشيرية أو بجهودهم الخاصة . فاول من فكر في ارسال ابنائه الى الخارج كان الشيخ عبد القادر مكاوي . وكان ابنه محمود عبد القادر أول مهندس عدني تخرج من الجامعات البريطانية ويصبح فيما بعد اول مهندس بلدي في المستعمرة . الا انه توفي وهو في ريعان الشباب . وعندما كتب احدهم

تعليقا على ارسال البعثات فيما بعد نراه يحث القائمين على ارسال الطلبة للتخصص في العلوم والطب والهندسة بدلا من الآداب لان حظ عدن من الحضارة سيكون ناقصا لان الحاجة الى اطباء ومهندسين ثم انهي كلامه قائلا : رحم الله محمود مكاوي ٠

فما زال الناس يذكرونه كلما مروا بطريق عمرها أو بستان شيده (٤٠) ٠

كما ان ارسالية الشيخ عثمان بعثت باحمد سعيد عفارة ليدرس الطب في بريطانيا وذلك بعد أن تم تنصيره ٠ فكان اول طبيب من عدن يتخرج من جامعة أدنبرة ٠ وقد عمل طبيبا في مستشفى الارسالية في الشيخ عثمان أكثر من ثلاثين عاماً الى قبيل الاستقلال أما ثاني طبيب عدني فكان المستر حسين حمود في الطب الطبيعي أوالشعبي من جوامع الهند (٤١) كما ارسل السيد عبده غانم ابنه الى الخارج ٠ فكان اول عدني يتخرج بشهادة بكالوريوس في الآداب بالجامعة الامريكية ويلتحق بادارة المعارف عام ١٩٣٦ اولا كمدرس للغةالعربية في ثانوية ثم كضابط معارف فيما بعد الى أن اصبح اول مدير معارف في أواخر الخمسينات ٠ وفي الاخير ترك منصبه عند قيام الاتحاد عام ١٩٦٣ وهو الآن استاذ الادب العربي في جامعة صنعاء ويظهر ان الاستاذ محمد عبده غانم كان ينوي دراسة الطب ولكنه تحول الى الآداب فيما بعد ٤٢ ٠

وفي عام ١٩٣٦ سافر رئيس (نادي الاصلاح العربي الاسلامي) محمد علي لقمان هو وبعض اولاده الى الهند للدراسة هناك على حسابه ٠ و كان ان تخرج قبيل الحرب العالمية الثانية كاول محامي في عدن ٠

اما ادارة المعارف فلم تبدأ بارسال الطلبة الى الخارج الا بعد الحرب العالمية الثانية ٠ ففي عام ١٩٤٢ ارسلت بطالبين من الصفوف الثانوية لاكمال الدراسةالثانوية في الخرطوم قبل التحاقهما بالدراسة العليا في كلية الخرطوم بعد ذلك ٠ وكان الطالبان هما علي غانم كليب لدراسة العلوم ولطفي جعفر أمان لدراسة الآداب والرياضيات ٠ وقد تخرج الاثنان في نهاية الاربعينات والتحقا بالمدرسة الثانوية ثم كلية عدن فيما بعد ٠

وقد بقي الشاعر الكبير لطفي امان في حقل التربية والتعليم الى أن توفي بعد الاستقلال ٠ أما علي غانم كليب فقد ذهب فيما بعد في بعثة حكومية لدراسة الهندسة في بريطانيا ثم عاد مهندساً في وزارة الأشغال حتى أصبح أول وكيل للأشغال قبيل الاستقلال ٠ كذلك فقد ارسلت ادارة المعارف اثناء فترة الحرب العالمية الثانية بابراهيم روبله لدراسة الآداب في الجامعة الأمريكية في بيروت وقد تخرج منها عام ١٩٤٧ وقد بقي ابراهيم روبله في حقل التربية والتعليم الى وقت الاستقلال (٤٣) ٠ كما ارسلت الحكومة ايضا عبدالله فاضل فارع إلى الجامعة الامريكية في القاهرة وقد عاد الى حقل

التدريس في مطلع الخمسينات بعد الحصول على بكالوريوس في علم الاجتماع . وقد عمل خلال الخمسينات مدرساً في مدارس الكويت .

وفي ذات الوقت نفسه تقريبا عاد

سبعة جامعيين آخرين من العراق ومصر حيث أكملوا دراستهم الجامعية على حساب اهاليهم او حكومة العراق في بعثة لنادي الاصلاح العربي فقد عاد من مصر كل من عبد الرحمن جرجره وعلي محمد لقمان بعد ان درسا الصحافة في امريكية في القاهرة . وقد اشتغل الاثنان في ذلك الحقل وفي حقل السياسة حتى مجيء الاستقلال . كما عاد الى حقل التدريس كل من عبد الرحيم لقمان (بكالوريوس ادب انجليزي) من جامعة فؤاد واخويه حامد (صحافة من الجامعة الامريكية في القاهرة) وابراهيم (علوم من نفس الجامعة) . وقد قضى عبد الرحيم وابراهيم معظم وقتهما في حقل التربية والتعليم حتى مجيء الاستقلال . اما الذين عادوا من العراق بعد انأتموا دراستهم على حساب نادي الاصلاح والحكومة العراقية ، فكانوا ثلاثة وهم محمد الينباعي (علوم) وعلي الشاذلي (قانون) وشيخان الحبشي (قانون) وقد التحق الثلاثة في التدريس حتى الآن أما الإثنان الآخران فقد ذهب الاول للعمل في الباكستان ثم في السعودية فيما بعد ، واشتغل الثاني فيما بعد المحاماة والسياسة وكان من مؤسسي وزعماء حزب الرابطة .

الصحافة في عدن خلال الفترة ١٨٣٩ ــ ١٩٣٧

بالنسبة لحركة النشر فقد كان دخول اول مطبعة الى عدن عام ١٨٥٣ . ففي تلك السنة طلبت الادارة البريطانية في المستعمرة مطبعة صغيرة كجزء من الاعمال الشاقة في سجن عدن وقد ارسل بعض نزلاء السجن الى بومباي للتدرب على صف الحروف والطباعة . وبعد عودتهم طلب منهم تدريب بعض نزلاء السجن الآخرين وذلك من اجل قضاء فترات سجنهم في اعمال مثمرة .

وبعد (٤٤) سنة اخرى استوردت شركة قاوجي دنشو الفارسية مطبعة أخرى بأحرف انجليزية وجزراتية وعربية وذلك من اجل طبع الاوراق والمعاملات الحكومية محليا . وفي عام ١٨٨٩ أسست عائلة يهودية هي عائلة هاورد واخوانه مطبعتها الخاصة بأحرفها الانجليزية والعربية والعبرية . وفي عام ١٩٤٥ بدأت كل من البعثة التبشيرية الرومانية الكاثوليكية والشركة الفارسية

بالونجي دنشو مطابعها في المستعمرة .

وتوسعت المطابع العربية في الثلاثينات من القرن لمواجهة الطلبات المتنامية للطباعة عند التجار العرب . وكانت أهم المؤسسات للطباعة العربية هي مطبعة

(فتاة الجزيرة) لصاحبها الاستاذ محمد علي لقمان المحامي التي افتتحت عام ١٩٤٠ وكانت أول مطبعة عربية تضيف النشر الى أنشطتها الاخرى في عدن · وقد تم طبع عدد من النشرات اليومية والاسبوعية باللغتين العربية والانجليزية بجانب كتب وكتيبات حول مختلف المواضيع لكل من الاسواق المحلية والخارجية * ·

وقبل فتاة الجزيرة كانت الجرائد العربية غير موجودة بينما الصحف الاسبوعية كانت تنتشر في المنطقة منذ عام ١٩٠٠ ، عندما بدأ الكابتن دبليو · بييل ، المقيم السياسي في تحرير ونشر ايدن وبيكلي جازيت» جريدة عدن الرسمية الاسبوعية وفي ثمان صفحات باللغة الانجليزية وكانت الجازيت تنشر الاخبار والمقالات الادبية والقصائد ، وبعد انتقال بييل من عدن استمرت شركة موري للفحم في عدن في القيام بنشر الجازيت الى ان فرضت المصاعب المالية بأن تتوقف عن الصدور ·

وبعد ان عاد الكابتن بييل الى عدن أصدر في ١٤ ابريل ١٩١٥ جريدة ايدن فوكس (أضواء عدن) التي كانت تطبع في مطبعة هاورد واخوانه · الا انه كان عليها ان تتوقف عن الصدور في مايو ١٩١٧ لان قائمة موازنتها لم تظهر سوى (٨) روبيات من الارباح في العام ·

وكانت للجيش جرائده ايضا ، فكل من ال [استار (النجم) وال (ايكو الصدى)] ، كانتا توزعان داخل المعسكر ، وكذلك على المدنيين · وفي عام ١٩٣٢ بدأت حكومة عدن بنشر (ايدن جازيت) (جريدة عدن الرسمية) و (ايدن بروتكيترت جازيت) جريدة محمية عدن الرسمية (٤٤) ·

---

* من اوائل الكتب التي نشرتها المطبعة كتاب (سلالة قحطان) للاستاذ الأصبحي وعنوان الكتاب ومحتوياته ينمان عن نزعة يمنية واضحة .

(١)

R . J . Gavin . **Aden Under British Rule (1839 — 1967)**

C . Hurst , London , 1975 , P . 92 .

هذا ومن الجدير بالذكر بأن بدجر هذا كان اول من ترجم الى الانجليزية مخطوط سليل ابن رازق حول (ائمة وسادة عمان) .

(٢)

Ibid, P, 192.

(٣)

Captain F.M . Hunter .**An account of the British Settlement of Aden in Arabia** . Fr - - ank cass . London . 1877 . P . 148 .

(٤)

Hunter , F . M . **OP . CIT** . PP . 149 — 151

(٥) Ibid. P. 151

(٦) Gavin , R . J **OP . CIT** . P . 193 .

(٧) Ibid.

(٨) Harold Jacob . **kings of Arabia** . Chapter14 entitled «the Eye of the Yemen in 1923 » .

(٩)

Ibid. Chapter. 14 entitled : the Eye of the Yemen .

(١٠) محمد علي لقمان . النهضة الحديثة في عدن (٤) فتاة الجزيرة ، العدد ٢٢٦ ، ١٨ يونيو ١٩٤٤ ، ص ١ — ٨

(١١) **المصدر ذاته** . ص ٨ .

(١٢) محمدعلي لقمان . **النهضة الحديثة فيعدن** (٥) ، فتاة الجزيرة ، العدد ٢٢٧ ، ٢٥ يونية ١٩٤٤ ، ص ١ — ٨ .

(١٣) محمدعلي لقمان . **النهضة الحديثة في عدن** (٧) . فتاة الجزيرة ، العدد ٢٣٤ ، ١٣ أغسطس ١٩٤٤ ، ص ١ — ٨ .

(١٤) **المصدر ذاته** .

(١٥) **النهضة الحديثة في عدن (٧)** . فتاة الجزيرة ، العدد ٢٣٤ ، ١٣ اغسطس ١٩٤٤ .

(١٦)

Sir Tom Hickinbotham . **ADEN** . Cons - - table , London , 1958 , PP . 20 — 21

(١٧) سلطانناجي (ترجمة) . **عدن تحت الحكم البريطاني ١٨٣٩ — ١٩٦٧** . مجلة الخليج العربي . مركز دراسات الخليج العربي . جامعة البصرة ، العدد ٨ ص ٥٠ — ٨٠ .

(١٨) **النهضة الحديثة في عدن** . فتاة الجزيرة ، العدد ٢٣٦ ، ٢٧ اغسطس ١٩٤٤ ص ١ — ١٢

(١٩) **المصدر ذاته** .

(٢٠) **مراحل التعليم في عدن** . فتاة الجزيرة ، العدد ٢٠٢ ، ١ يناير ١٩٤٤ ، ص ٦ — ٧ .

(٢١) **ظهور النوادي** . فتاة الجزيرة ، العدد ٢٣٠ ، ١٦ يوليو ١٩٤٤ .

(٢٢) محمد علي لقمان . . **عدن بعد الاحتلال البريطاني** . فتاة الجزيرة ، العدد ، ٢٢٢ ، ٢٨ مايو ١٩٤٤ .

(٢٣) **ماذا عملت النوادي** . فتاة الجزيرة ، العدد ٢٣٢ ، ٣٠ يوليو ١٩٤٤ . ص ١ — ١٢ .

(٢٤) **المصدر ذاته** . كان رئيس النادي هو محمد علي لقمان ومديره أحمد محمد سعيد الأصنج ومن مراقبي النادي : السيد محمد بن عقيل ، الشيخ الطيب الساسي والشيخ محمد احمد عولقي

(٢٥) انظر : محمدسعيد جرادة . **دور العبادي في مناهضة الاستعمار** . مجلة « الحكمة » ، (لسان اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين) . العدد ١ ، ١٩٧٠ ، ص ٤٧ — ٥٢ .

(٢٦) **ماذا عملت النوادي** . (من بين الطلبة المبعوثين الى العراق يوسف السعيدي . ومحمد الينـاعي ، وعبد الرحيم لقمان . وقد كانوا هناك اثناء وجود بعثة صنعاء التي كان منها الرئيس السلال .

(٢٧) المصدر ذاته .

(٢٨) **النهضة الحديثة في عدن (٦)** : ظهور النوادي : فتاة الجزيرة ؛ العدد ٢٣٠ ، ١٦ يوليو ١٩٤٤ .

(٢٩) **ماذا عملت النوادي** ؟ العدد ٢٣٢ ، ص ١ — ١٢ .

(٣٠) **المصدر ذاته** .

(٣١) **هل في عدن نهضة** . **فتاة الجزيرة** . العدد ٢٤٠ ، ١ اكتوبر ١٩٤٤ ؛ ص ١ — ١٢

(٣٢) **المصدر ذاته** .

(٣٣) كان رئيس النادي وتتذاك هو الاستاذ احمد محمد سعيد الأصنج مؤلف (**نصيب عدن من**

الحركة الفكرية) اول كتاب نكـري عن عـدن ، مطبعة الشورى ١٩٣٤ . ونسخة الرسالة الموجهة الى المهدي توجد ضمن ملف (نادي الاصلاح العربي) ــ الذي هو في حوزتي الآن ــ ويضم الملف مراسلة النادي مع الخارج وحكومة مستعمرة عدن واجوبتهم عليها ، وكلها تتعلق بالتعليم وقضايا الاصلاح التي كانوا يطالبون بها .

(٣٤) See Aden **Annual Report** (1931 — 2) .

(٣٥) R.J. Gavin . **OP . cit** . PP . 287 — 290

(٣٦) سلطان ناجي . **التاريخ العسكري لليمن (١٨٣٩ ــ ١٩٦٧)** ، الكويت ، مطابع دار السياسة ، انظر ص : ٧٠ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٥٦

(٣٦) Harold ingrams . **Arabia and the Isles** . John Murray , 1942 . PP . 95 — 99

(٣٧) * See author's **« Introd uction to third edition. »** of the same book (also Published by John Murray), 1966. PP. 31 - 2

والحقيقة ان حضرموت كانت عند العامة تسمى (دولة انجرامس) او بلهجتهم (دولة يرامس) لانه كان الحاكم الفعلي وليس القعيطي او الكثيري. بهذا الخصوص انظر :

Lord Belhaven . **the Kingdom of Melchior** . John Murray , P . 114 .

(٣٨) محمد علي لقمان . **النهضة الحديثة في عدن (٩)** : التعليم في عدن . فتاة الجزيرة ، العدد ٢٣٨ ، ١٠ سبتمبر ١٩٤٤ ، ص ١ ــ ١٢ .

(٣٩) نص هذه الرسالة بالانجليزية ونسخة رسالة (نادي الاصلاح العربي الاسلامي) ــ بالانجليزية ايضاً ــ موجودان في ملف (نادي الاصلاح العربي) بحوزة المؤلف .

(٤٠) راجي خير . **نحن لا نريد أدباء** . فتاة الجزيرة ، العدد ٢١٨ ، ٢٣ ابريل ١٩٤٤ .

(٤١) انظر قائمة: اول عدني في فنه . المنشورة في فتاة الجزيرة ، العدد ٢٠٢ ، ١ يناير ١٩٤٤

(٤٢) احمد محمد سعيد الأصنج . **نصيب عدن من الحركة الفكرية الحديثة** . ١٩٣٤ ، ص ٣٢ .

(٤٣) من الجدير بالذكر ان استفتاء طلابياً اجري عام ١٩٤٧ في المدرسة الثانوية حول احب استاذ الى الطلبة . وقد حصل الاستاذ ابراهيم روبله على اكثر الأصوات وتبعه بالتسلسل عبد الرحيم لقمان ، على طريح (مصري) ، محمد عبده غانم ، زكي غانم (مصري) ، علي فقيه ، ياسين راجمنار ، ومستر ناريان (هندي) . والجدير بالذكر ان الاستفتاء اظهر ايضاً بأن **٨٣٫٧٪** كانوا غير راضين عن برنامج الدراسة . فتاة الجزيرة ، العدد ٣٩٢ ، ١٩ اكتوبر ١٩٤٧ .

(٤٤) انظر :

Ali M . Laqman. « Education and Press in South Arabia » in **The Arabian Peninsula : Society and Politics** . ed . D . Hopwood . George Allen , 1972 , PP . 264 — 5

الهَمْداني

والرّيادة العربيّة في علوم الأرض

« مَدخل تاريخي »

محمود ابراهيم الصغيري

أثمرت جهـود الباحثين المتصلة ـ خلال القرنين الأخـيرين ـ في اكتشاف مجالات غير قليلة من المساهمـات العربية العلمية في العصر الوسيط ، حتى أصبح بامكـاننا أن نقـول بتزحزح « الظاهـرة اليـونانية » مـن أذهان المعاصرين لصالح تصدر « الظاهرة العربية » .

ومع ستينات هذا القرن اختفى من صفوف العلماء من كان يظن أن العرب لعبوا دور سعاة البريد لم تكن لهم من مهمة غير نقـل الإرث الحضاري اليوناني الى أوربا .

وكاد حجم المنجزات العربية النوعية أن يكون كاملاً في تصـورات المشتغلين بتاريخ العلم وتطورات فروع علوم الانسان .

وعرفت سبعينات هذا القرن فتحاً جديداً في آفاق تاريخ العلم ، وعلى وجـه الخصوص بعد اكتشاف عمق وأصالة العـرب في حقول الصناعات وعلوم الارض وعلوم الميكانيكا ـ التطبيقية والنظرية★

ومن جديد بدأت الاسئلة الدقيقة تستقيم أمامنا بحدة . وبدأنا نتأمـل في أمثال هـذا السؤال :

ماذا نعرف عن المنجزات العربية في العصر الوسيط ؟ .

ذلك العصر الذي كنا بلا وعي أو درايـة نصفه بمفردات الظلام والطغيان والجهالة . ثم تبين بعد سنواتٍ من القراءة والمتابعة أن أولئك

★ لتشكيل تصور مبدئي عن هذه المنجزات المجهولـة بامكان القارىء مراجعة كتاب : « قضايا في التراث العلمي العربي » ـ منشورات اتحـاد الكتاب العـرب ـ ١٩٨١ ، للكاتب

الأساتذة الذين نقلوا الينا هذه المفردات انما كانوا يأخذون بالمقياس الاوربي في تأرخة الحياة وتطـوراتها كافة .

وهكذا نجد أن الاثنتي عشرة سنة الاخيرة قد شهدت نمواً في سعَات هِمم الباحثين في سبيل اكتشاف « الأفق الجديد » . ذلك الأفق الذي ظل بعيـداً عن « التمكن » في أذهـان المشتغلين بتـاريخ العلم . ونجحت النـدوتان العالميتان لتاريخ العلوم عنـد العـرب في عامي ١٩٧٦ و ١٩٧٩ والمؤتمرات السنوية للجمعية العربية لتاريخ العلـوم في سوريـة في التماس ظهوره وتحديد حجمه الأولي .

فإضافة الى بروز بحـوث عن الأصالة العربية لعلم الجيولـوجيا (أو الأَراضَـة) وأسرار الفولاذ الدمشقي وعلوم المعادن والتعدين ومناحي واتجاهات الميكانيكا النظرية والتطبيقية عند العرب ، فضـلاً عن المساهمـات العربية المهمة في العلـوم الاسـاسية (كالرياضيـات والفلـك ..) والانسـانية (كالاقتصـاد والاجتماع ..) .. خرجت الى النور مخطوطات علمية نادرة سيمضي وقت طويل قبل الانتهاء من تحليلهـا وتمثّلها .[1]

ولكن المراجعـة السريعة لأهم البحـوث المنشورة في السبعينات ـ والمخصصة أصلاً لمعالجة الزوايا المجهولة في بعضٍ من فروع العلم، وعلى سبيل المثال علوم الأرض ـ تقودنا الى أن نفترض غياب اليمن مـن ذاكـرة الباحثين المعاصرين ، ربما عن انشغال بالظواهر الانسانية الكبيرة من أمثال : ابن سينا والبيروني وابن الهيثم وابن خلـدون وغيرهم .. وربما أيضاً بسبب افتقارهم الى المخطوطات الخاصة بأهل اليمن .

ان المسألة شائكة ومعقـدة ـ ويقع على أهل اليمن العبء الأكبـر في تكريس هـذا الإهمال[2] ـ ولكن الامر الاكيد هو صعوبة تصور خريطة المساهمـات العلمية التي صنعها العرب في العصر الوسيط بمعـزلٍ عن الروافد التي ساهمت في تشكيل أرضيتها الفكرية ـ من أقطار الوطن الكبير كافة ، مشرقه ومغربه.. وجنـوبه أيضاً .

ونأمل في هذه الدراسة أن نقـدم قراءة سريعة لأبرز المساهمات العربية في علوم المعادن والتعدين ـ وهي علـوم تدخـل في مجـال الجيولوجيـا (أو الأراضـة) ـ على ضوء كتابات أبي محمد الهَمداني ، صاحب الإكليل.

هذا الرجل الـذي سيبقى ، والى وقتٍ بعيد كما نقدر ، مدخلاً ضرورياً لكل من اراد ان يفهم اليمن .. او يصل اليها .

العرب وعلوم الأراضة :

يتشكل علم الأراضة من مجموعة متشعبة من الفروع التي كادت أن تصبـح ، في أيامنا هذه ، علوماً منفصلة وقائمة بنفسها .

ويبلغ عدد هذه الفروع نحـواً من أربعة وعشرين فرعاً تغطي حقـول موضوعاتها قضايا البحار والمناجم والحركات الارضية والتضاريس وطبقات الارض ، من حيث مراحلهـا التاريخية

أو ترسبات موادها المختلفة .

وبرأي الدكتور عبد المنعم مفلح الراوي(٣) إن ما صنعه العرب في العصر الوسيط يمكن اعتباره البداية العلمية التاريخية لإثنين وعشرين فرعاً من علوم الارض ـ وأما الجيولوجيا التصويرية والهندسية فيعتبران من منجزات العصر الحديث .

وفي دراستنا لكتابات صاحب الاكليل يهمنا إضاءة مساهماته في حقلي المعادن والتعدين .

ولتحقيق هذه الاضاءة من المناسب التوقف قليلاً عند الاخبار المعدنية القديمة الخاصة بالمراحل العربية قبل الاسلام .

● ولأسباب تبدو معروفة لدى الجميع حظيت عناصر الحديد والنحاس والفضة والذهب باهتمامات ملحوظة في حضارات الشعوب ، منذ الألف الرابعة(٤) قبل الميلاد .

ولكننا غير قادرين على التعمق في معارف القدماء ، قبل العصر الوسيط .

واذا كانت اللُّقى والعاديات في نقاط مختلفة من أشكال الحضارات أو المدنيات البشرية القديمة ـ فضلاً عن الكتابات الإخبارية سجلها عدد من مؤرخي اليونان والرومان ـ قد أضاءت أمام المؤرخين المعاصرين شيئاً من تاريخ استخدامات وصناعات تلك المعادن المهمة، إلا أنها في حقيقتها التاريخية ، لا تكاد تبلغ حجم الاشارة الى هذا المعدن أو ذاك .

وعلى الرغم من أن المرء لا يشك لحظة في توفر « أفكار » تعدينية أدركتها مدنية أو أكثر من المدنيات التي عاشتها البشرية ـ في الحقبة التي تزيد على عشرين قرناً قبل ميلاد السيد المسيح ـ إلا أن الجانب « التقني » من تلك الافكار لم يصل الينا مدوناً عبر مختلف نصوص الكتابات القديمة .

ماذا نعرف عن تلك الافكار التعدينية ؟

ـ لا جواب يشفي فؤاد الباحث عن الحقيقة.

وعلى سبيل المثال :

يقال « إن سكان الجزيرة العربية كانوا يستبدلون بهذا التبر معادن أخرى ، فقد كانوا يدفعون الضعف مقابل الحديد ، وثلاثة أمثال مقابل النحاس ، وعشرة أمثال مقابل الفضة »(٥)

وتعليقاً على المعلومات السابقة استنتج الدكتور يحياوي رأياً يذهب الى أن « الجزيرة العربية كانت تمتلك الذهب الشيء الكثير »(٦).

ولكن كيف يمكن أن نقبل بتلك المعلومات من غير أن نتأمل طويلاً في معنى الإقرار بوجود كميات كبيرة من الذهب ؟ .

فهل نجح القدماء في اكتشاف طريقة تعدينية متقدمة سمحت لهم باستخلاص تلك الكميات من الذهب وفرزها عن عدد غير قليل من العناصر ، التي غالباً ما تكون متحدة بها مثل : النحاس والحديد والزئبق والتيلوريوم والقصدير .. وغيرها(٧) ؟

واذا قيل ان طريقة المعالجة الساخنة(٨) لم تعرف قبل عام ١٨٩٠ م ، وان سكان الجزيرة

ربما استفادوا من رسوبيات الأنهار وعروق المناجم فإن هذا القول أيضاً ينطوي على افتراضات مهمة وهي انهم نجحوا في بلوغ أعماق غير ظاهرة من القشرة الارضية وصولاً الى رسوبيات نهرية مفترضة .. أو أنهم — من جهة أخرى — اكتشفوا طرائق وأفكار العمل في المناجم، باعتبار العمل فيها يقتضي وسائل خاصة ومعارف نوعية دقيقة .(٩)

وفي موضع آخر من كتابه عن الذهب يقول الدكتور يحياوي :

«لنذكر بالتلميحات العديدة حول ثروة الرواسب الرملية التي تحتوي على المعادن الثمينة في مملكة سبأ حيث تمت استثمارات نشطة على مدى العدد العديد من القرون ، اذ يقال بأن الذهب كان هناك في منتهى الوفرة » .(١٠)

واذا أخذنا بالمبدأ القائل : « لا نار بلا دخان » ، ولا رواية أو خبر بلا شكل من أشكال الحقيقة التاريخية ، فان أبسط التقديرات تضع اقراراً بوجود « الذهب » — أياً كان نوعه ومهما كانت كميته أو طرائق معالجته .

ويبدو هنا أن من المفيد استلهام الحقائق الرئيسية الثلاث عن الذهب — وهي نوعه وكميته ومعالجته — من تحليلات العلماء المعاصرين من أمثال : د.هـ. مولر وجلايزر وجواد علي .. وغيرهم الكثير .

يقول العلامة جواد علي : (١١)

« ولم تبرز صناعة اليمن في نوع واحد أو في صنف معين ، بل برزت في كل نوع من أنواعها المعروفة في ذلك العهد ، والتي دعت الحاجة الى ظهورها ، والتي وجدت موادها الاولية فيها . مثل صناعة الحديد واستخراج المعادن وتحويلها الى مصنوعات »(١٢)

وفي الصفحة ٥١٢ أورد العلامة جواد علي ما يلي :

« والذهب هو (ذهبن) في لغة المسند ، أي (الذهب) . ويقال له البتر أيضاً . وذكر أن (البتر) الذي في المعدن ، والذي لم يضرب ولم يصنع . ومن أسمائه (العسجد) وقيل العسجد اسم جامع" يطلعه على الجوهر كله كالدر والياقوت . وذهب (إبريز) ، بمعنى خالص . و (العقيان) ، الذهب الخالص ، أو الذهب الذي لا يستذاب من الحجارة ، وانما هو ذهب ينبت نباتا (؟) مما يدل على انهم يقصدون وجود حبيبات منه خالصة في معادنه، يجمعونها ، فيحصلون عليه من غير نار ولا إذابة حجر . » وعن معالجته يقول العلامة جواد علي:

« وكانوا يطحنون أحجار الذهب، ويذرون تراب المعدن ، لاستخلاص الذهب منه . »(١٣)

ويضيف :

« وكانوا يضعون المعدن(١٤) . في التنور ليميع ، ثم يجعلونه في (الكوج) ليتخلص وينقى من الشوائب » وبعد أن يستكمل العلامة جواد علي حديثه عن مناجم الذهب في الجزيرة يشير الى الفضة فيقول : (١٥)

« وتعرف (الفضة) في نصوص المسند بـ (صرفن) (الصرف) . والفضة من المعادن المشهورة المعروفة في اليمن . و (الصريف) الفضة الخالصة » .

وتسند « دائرة المعارف الاسلامية » الى عدد من المصادر والاخبار التاريخية ، وعلى وجه الخصوص أخبار الكتاب المقدس وأقوال أغاثر خيدس ، وتقول [١٦] :

«ويتبين من الكتاب المقدس [١٧] ان بني سبأ كانوا يزودون الشام ومصر بالطيب وخاصة اللثبان الذكر،كما كانوا يصدرون اليها الذهب والاحجار الكريمة » .

وفي عبارة واسعة . تؤكد على أن اليمنيين « كانوا يزودون الشام ومصر بالطيب .. كما كانوا يصدّرون اليهما الذهب والاحجار الكريمة »[١٨] .

وفي الصفحة ٢٠٧ تروي « دائرة المعارف الاسلامية » نقلاً عن أغاثر خيدس ان « بني سبأ كانوا يزودون البطالمة والسوريين بالذهب ويزودون الفينيقيين بالسلع الغالية بشتى أنواعها » .

وفي الصفحة ٢٠٨ تضيف قائلة :

« وتؤيد الإشارات الواردة في النقوش عن الأواني المقدسة المصنوعة من الذهب والفضة والكشف عن الذهب في القرون الوسطى ... الروايات التي نقلها ديودوروس عن استرابون (ناهجاً نهج أغاثرخيدس) بخصوص الأبواب والأسوار والسقوف والجدران ذات العمد التي كانت في منازل بني سبأ ، وكانت مرصعة بالذهب والفضة والاحجار الكريمة، وبخصوص أواني الشرب وغيرها من أواني البيت الاخرى الغالية المصنوعة من الذهب والفضة ، كما تؤيد الاشارات التي وردت في المصنفات اليونانية والرومانية والعربية عن وجود الذهب في حالته الطبيعية » .

ويُلاحظ هنا أن تأكيد المرجع السابق على وجود الذهب في حالته الطبيعية فقط انما يعود الى اعتقادٍ غامضٍ لدى تكاتش J. Tkatsch — كاتب المادة السابقة — حول الطريقة التي كانت تجري فيها معالجة خلائط الذهب . فهو يرى — نقلاً عن هالفي وجلازر — ان «استخراج التبر كان يتم بغسل الرمال » ، من غير اشارة الى وجود مراحل أو عمليات أخرى .

وما ينبغي لفت النظر اليه هنا هو أن افتراض هالفي وجلازر — ومن اقتنع بعدهما بهذا الرأي — يعارض تماماً الإقرار بوجود كميات كبيرة وتجارية من الذهب .

وهو ما يذهب اليه العلامة جواد علي في موسوعته الشهيرة ، مخالفاً استنتاجات تكاتش ان لم نقل نقوله أيضاً .

يقول العلامة جواد علي :

« ويظهر ان ما كان يستخرجه أهل الجاهلية من الذهب والفضة من معادنهما لم يكن بمقياس واسع وبكميات كبيرة تصلح للتصدير الى الخارج ، بدليل اننا لم نعثر على خبر عنه

لا في كتابات المسند ولا في روايات أهل الاخبار، ثم انهم لو كانوا يستخرجون المعدنين بكميات وافرة لاستمروا على الاستخراج ولحسنوا كيفية استخلاص المعدنين المذكورين من معدنهما الى ظهور الاسلام ، ولأشير الى ذلك حتماً في الموارد الاسلامية ، ولما سكتت هذه الموارد عن الإشارة اليها »[١٩]

وكما نرى يطرح النص السابق جملة من الاسئلة التاريخية منهـا :

اولا :

هل تم تصدير الذهب والفضة من اليمن الى خارجهـا ؟

ثانيا :

هل أحدث اليمنيون القدماء ــ حتى ظهور الاسلام أو بعـده بقليل ــ تحسينات في طرق استخراج المعدنين المهمين : الذهب والفضة ؟ .

ثالثا :

هل تفتقر فعلا الى موارد اسلامية تتحدث عن الذهب والفضة ومواطنهما وطرائق معالجتهما ؟

وما عدا هذه الاسئلة يمكن الوصول الى اجابات مقنعة عليها بالمحاكمة العقلية المباشرة .

ويظهر لنا ان نُقُول تكاتش ليست كافية وحدها لتأكيد حقيقة متاجرة اليمنيين بالذهب .

وباجراء موازنة سريعة بين استنتاجاته من جهة وبين المقتبسات التي أوردها من جهة أخرى، يبرز أمامنا وضوح شديد في الاستنتاج يقابله من الطرف الآخر اضطراب غير محدود في اشارات تيوفـرسطس Theophrastus واسترابـون Strabo المستخـرجة مـن روايـات اراتوستينيس Eratosthenes وأغاثرخيـدس Agatharchides وغـيرهم ممن استنـد الى كتاباتهم تكاتش .

وهكذا نجد أننا لا نستطيع أن نؤكد على شيء من تلك المتاجـرة بالذهب . غير أن هذه النتيجة لا تنفي الامكانية بوجودها.[٢٥]

ويتداخل السؤالان : الثاني والثالث في نسيج واحد حتى ليبدو أنهما يبحثان معاً عن جـواب واحـد .

اذ ليس بامكاننا أن نؤكـد على حدوث تحسن في طرق معالجة المعدنين المذكورين ــ أو غيرهما ــ من غير أن يتوفر لدينا دليل أو أكثر من الأدلة المدّونة في عصور ما بعد الاسلام .

والحق أنه لولا عصر التـدوين العالمي لعلوم الانسان ــ الذي يتجلى في أزهى مراحله بدءاً من القرن الثامن الميلادي / الثاني الهجري ــ لفات الكثير على البشرية .

وعلى الرغم من أن الافكار والطـرائق الصناعية يمكن أن تستمر منـدفعة في التاريخ بالروايات الشفهية وحدها ، ولكنها في موازين التصنيف لا تحتفظ للمؤرخين بمعالم غير متداخلة يتحدد من خلالها أفكار كل مرحلة من مراحل التـاريخ .

وحتى يأتي اليوم العظيم الذي تكتشف

فيه نقوش خاصة بهذه القضية ، وترتفع أغشية الغموض عن هذه المنجزات سيبقى عصرُ التدوين العربي الموردَ الذي لا يُتجه لغيره .

وباطمئنان يستطيع المرء أن ينطلق من القرن الثامن الميلادي .. ذلك القرن الذي عرف ولادة الكيمياء التجريبية بشروق عبقرية جابر بن حيان .

فبهذا العالم يبدأ تاريخ الكيمياء التجريبية .. وتاريخ المعادن والتعدين والاحجار الكريمة أيضاً .

وكلا التاريخين يكاد يكون تاريخاً واحداً على امتداد القرون الميلادية السبعة : بين ابن حيان (ت : ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) في القرن الثامن الميلادي وابن الأكفاني (ت : ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) في القرن الرابع عشر الميلادي .

وسعياً وراء تحقيق تصنيف علمي مقبول لمساهمات العرب في هذا المجال ينبغي التأكيد على وجود فئتين مختلفتين من تلك المساهمات ، وهما فئتا أعمال : الرواد والروافد .

الفئة الرائدة :

تختص هذه الفئة بالأعمال التي أسهمت اسهاماً مباشراً وأساسياً في حقول المعادن والتعدين والاحجار الكريمة .

وتضم نوعين من الاعمال ، يشمل أولهما أعمال العلماء المعدنيين من أمثال : ابن حيان والكندي وعطارد والرازي والهمداني والطرسوسي والجلدكي .

ويشمل ثانيهما الاعمال التي تدخل في حقل علم البللورات ، أو في ما يعرف عند العرب بالجواهر والاحجار الكريمة .

النوع الاول من الاعمال الرائدة :

في دراسته التاريخية « صناعة الفولاذ الدمشقي في التاريخ العربي »[21]

أعلن الباحث د. أحمد يوسف الحسن عن اكتشافه لمؤلف هام وضعه جابر بن حيان (ت : ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) بعنوان « كتاب الحديد » .

وفي معرض مناقشته لصناعة الحديد الصب Cast Iron التي لم تعرف في أوربا قبل القرن الثالث عشر الميلادي — أظهر الباحث أن « كتاب الحديد » يحتوي على وصف تاريخي لاستخراج الحديد الصب من خاماته الأولى ، فضلاً عن عملية صنع الفولاذ بالصهر بالبواتق .

وفي بحث بعنوان « الكيمياء عند العرب »[22] كتبه د. حكمت نجيب عبد الرحمن ورد أن لإبن حيان كتابين أولهما بعنوان « كتاب خواص اكسير الذهب »★ والآخر بعنوان « كتاب الأحجار »★★

واذا صحت نسبة هذه المؤلفات الثلاثة لجابر بن حيان — ويبدو أنها صحيحة — فان البداية التاريخية لعلوم المعادن والتعدين — والاحجار الكريمة أيضاً — تتحدد بنهاية القرن

★ منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس مجموعة ٢٦٢٥ رقم ٢٦ . وقد ترجمه هو لمبارد الى الانجليزية .

★★ نقل بالزنكوراف في الهند عام ١٨٩١ م .

الثامن الميلادي أو أوائل القرن التاسع الميلادي .

ولتثبيت هذه البداية التاريخية ينبغي الاشارة هنا الى قيمة الشرح الذي وضعه الجلدكي لكتاب « الحديد » المذكور .

وكذلك بامكاننا ان نعتبر « كتاب الاحجار » لابن حيان أول مساهمة عربية مدونة في تاريخ الاحجار الكريمة .

وهذا التحديد الجديد يختلف قليلا عن رأي العلامة جورج سارثون الذي اعتقد أن كتاب « الاحجار » لعطارد بن محمد الحاسب هو « مؤلف أقدم كتاب اسلامي عن الأحجار »(٢٣)

الكندي :

وأما فيلسوف العرب الكندي(٢٤) فيظهر لنا في أغلب الاوقات أن له يداً في المساهمات العربية كافة ، علمية كانت أو فلسفية ..

وتعتبر رسالته في « السيوف وأجناسها » من أهم الوثائق في تاريخ الصناعات والتعدين. وعلى الرغم من النزعات الفلسفية التي تجلت في الكثير من رسائله وكتبه إلاّ أنه في رسالته المذكورة أظهر عقلية عملية ساطعة ارتكزت الى حد بعيد على وعي تاريخي ـ جغرافي للمادة التي دونها عن السيوف .

والحق أن هذا التفاوت في اهتمامات ذهنية الانسان تبدو في عصرنا الحالي غريبة وشاذة .. ولكنها في العصر الوسيط كانت تعبيراً عن رغبة داخلية جامحة لتدوين الفهم المتكامل عن العالم .

عدّد الكندي في رسالته المذكورة أنواع السيوف فقال إنها تبلغ خمسة وعشرين نوعاً « تتبع تسميتها لنوع الفولاذ والمكان الذي صنع فيه ، كالسيوف اليمانية والقلعية والهندية وهي سيوف كريمة ، عريقة ، ثم السيوف الخرسانية والبصرية والدمشقية والمصرية والكوفية وهي سيوف مولّده ، أي أن فولاذها مصنوع حديثاً »(٢٥)

ويظهر أن الكندي وقف على نماذج من السيوف اليمنية وتاريخها ، لذا نجده يقول :

« عرفت حِميرُ السيوف اليمانية الشهيرة التي امتازت بمرونتها وحسن صناعتها »(٢٦) ويصفها قائلاً :

« ويصل طول السيف اليماني العتيق أربعة قدود ، ومنها العريض الأسفل المخروط الرأس المربع السيلان ★ ، ويجري على نصله أربع شطب★★ ، منها المحفور ، وهو الذي شطبه شبيهة بالأنهار مدورة الحفرة ، ومنها ما شطبه ذات الزوايا مربعة . وتكون هذه الشطب متساوية في وجه السيف .

ومنها ذو ثلاث شطب . واحد في الوسط واثنتان في الشفرتين .

وأكثر السيوف اليمانية يبلغ عرض نصلها ثلاث أصابع تامة . ويبلغ عرض أقل ما يكون فيها اصبعين ونصف اصبع » .

ومن السيوف اليمانية « الحنيفية التي

★ هو الجزء القائم من نصل السيف كما يقول الاستاذ بهنسي .

★★ شطب السيف جمع شطبه ـ وهي القنوات المحصورة على وجهي نصل السيف لتقلل من وزنه وتجعله اكثر قوة وليونة ـ د. بهنسي .

تنسب الى صانعها صخـر بن بحر الأحنف بن قيس وكان من مشاهير التبابعة » [٢٧]

وبراي الكندي ان صناعة الفولاذ الجوهر قديمة في البلاد العربية ويقول :

« ولا تكاد تخلو السيـوف اليمانية من الفرند • وهو الجوهر ذو اللون الذي يميل الى السواد ، يشبه العروق في تناثرها على النصل ، وقد توضع عليه الرسوم والتماثيل وتكتب عليها الأسماء لتخفي أثر الفرند »[٢٨]

ومما لا شك فيه أن اهتمام العلماء الذين جاؤوا بعد القـرن التاسع الميـلادي ـ عدا الهمداني ـ قـد انصب في جانبه الأكبر على تطوير فروع المعـرفة بالأحجـار الكريمة كما سنلاحظ في الاشارات التاريخية اللاحقة •

ومن زاوية أخرى بامكاننا اعتبار ما كتبه مَرْضي بن علي بن مَرْضي الطرطوسي[٢٩] في القرن الثاني عشر الميلاد عن صنـاعة السيوف امتداداً لأعمال الكندي •

وكذلك يعتبر الجلدكي[٣٠] في القرن الرابع عشر الميلادي امتداداً لإبن حيان في حقل تعدين الحديد • ولقد وجد الباحثون المعاصرون أن الوصف الـذي سجله في كتابه « شرح كتاب الحديد لابن حيـان » يكفي وحـده لتأكيد « صناعة صهر الفـولاذ والحديد من موارده الخام في بلاد الشام ومصر • »[٣١] وهذا يعني أن صناعة السيوف العربية لم تكن تعتمد على الفولاذ الهندي كما ظن قوم من الغربيين •

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن عز الدين أيدمر بن علي الجلدكي ، المتوفى حوالي عام ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م ، لم يعرف بشرحه الصناعي لكتاب ابن حيان السابق فحسب وانما أيضا بشروحه العديدة التي منها « نهاية الطلب »•[٣٢] وهو شرح لكتاب عنوانه « المكتسب في صناعة الذهب » الذي وضعه ابو القاسم العراقي في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي

النوع الثاني من الأعمال الرائدة :

وتدخل في هذا النوع الاعمال التالية :

● « المعـادن والآثار العلوية »[٣٣] لأبي علي الحسـين بن عبد الله المعروف بابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٦) م •

ويتألف هذا الكتاب من مقالتين ، تحتوي كل مقالة على ستة فصول، انفرد الفصل الخامس من المقالة الأولى بتكوين المعدنيات •

ومن الممكن اعتبار هذا الكتاب لابن سينا الأساس العلمي الراسخ الذي ارتفعت عليه أول دعامة في التاريخ تربط بين الجيولوجيا (الأراضة أو علم الارض) وبـين الميتورولـوجيا (علم الطقس) •[٣٤]

● الجُماهر في معرفة الجواهر »[٣٥] ـ تأليف : أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨) م •

وينقسم الى مقالتـين : تضم أولاهمـا موضوعات ونماذج الأحجار الكريمة ، وتغطي في الكتاب أكثر مـن مئتي صفحة ، من أصل لا يزيد على ثلاثمئة •

والمقالة الأولى كلها تدخل في علم البللورات. وأما المقالة الثانية فخاصة بالفلزات والزئبق والذهب والفضة والنحاس والحديد .. الخ

● « أزهار الافكار في جواهر الاحجار »[٣٦] ـ تأليف : أحمد بن يوسف التيفاشي (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ـ ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م) .

وبلا مبالغة يمكن اعتبار هذا الكتاب أرقى ما بلغته الحضارة العربية في المعادن المتبلورة والاحجار الكريمة .

ويبرهن نشره على أن منهج التيفاشي كان واقعيا أرضيته الفضائل التالية : تقصي الحقائق، والامانة العلمية والخلقية ، ودقة الوصف ، والتجربة ، والمشاهدة الشخصية الدقيقة ، فضلاً عن قدرات عالية على التصنيف وابتكار المصطلحات العلمية .[٣٧]

ولا يفوتنا أن نشير الى أن الكتاب يعطي وصفاً عظيماً لخمسة وعشرين معدناً وحجراً .

● « نخب الذخائر في أحوال الجواهر »[٣٨] تأليف : محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المعروف بابن الأكفاني المتوفى ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م .

ويشمل الكتاب وصفاً لأربعة عشر حجراً ومعدناً ، من الاحجار والمعادن الاساسية .

ومن الرسائل والكتب التي تاتي في المرتبة الثانية من هذا النوع :

« الجواهر والخواص » و « علل المعادن » لمحمد بن زكريا الرازي (٨٦٥ ـ ٩٢٥) م . و « عرايس الجواهر وأطايب النفائس » لأبي القاسم عبد الله بن علي بن محمد بن أبى طاهر الكاشاني و « رسالة في الجواهر » لأحمد ابن عبد العزيز الجوهري « خواص الاشياء » لإبن زهر الأندلسي.[٣٩]

وجملة القول هنا ان « مجموع ما عرفه العرب ثمانية وثمانين جوهراً مختلفاً من الجواهر المستخرجة من الأرض »[٤٠]

ومنعاً لأي اختلاط منهجي يساوي بين مؤلفات علماء المعادن والتعدين والاحجار الكريمة من جهة وعلماء التفسير واللغة والجغرافيا والتاريخ .. من جهة أخرى[٤١] ، ينبغي تصنيف المصادر الرافدة وفقاً لاهتمامات مؤلفيها بالموضوعات التي نحن في صددها .

حول تصنيف الاعمال الرافدة:

اذا سار المرء في طريق التصنيف يجد ان الكتب التالية :

« مختصر كتاب البلدان » لأبي بكر الهمداني المعروف بابن الفقيه ـ الذي كان حياً في سنة ٢٩٠ هـ .

و « المسالك والممالك » لإبن خرداذبه المتوفى في حدود ٣٠٠ هـ ، و « مسالك الممالك » للاصطخري (ت . ٣٤٦ هـ) و « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » للمقدسي (ت : ٣٧٨ هـ / ٨٨٨) م .

و « معجم ما استعجم » و « المسالك والممالك » لأبي عبيد البكري (ت : ٤٨٧ هـ /

١٠٩٤ م) و « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للادريسي (ت : ٥٦٠ هـ / ١١٦٠ م) و «تحفة الألباب ونخبة الاعجاب » لأبي حامد الغرناطي (ت : ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م) .

و « معجم البلدان » لياقوت الحموي ت : ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ... وغيرها .. تدخل كلها في كتب البلدان وأخبار مشاهداتها.

ومن الممكن أيضاً تصنيف كتب «المؤرخين» و « المفسرين » و « اللغويين » ..

غير اننا اذا وجدنا للمفسر أبي القاسم الزمخشري المتوفى ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م كتاباً عن « الامكنة والأزمنة والاماكن والمياه» فلايعني أنه رائد في تاريخ المعادن والتعدين والاحجار الكريمة .

فالكتاب عبارة عن قاموس لغوي « غايته ضبط الاعلام الجغرافية الواردة في القرآن الكريم »(٤٢) . وما ورد فيه من كلام عن رسوبيات الجزيرة العربية لم يسجله الزمخشري إلا من باب « الشيء بالشيء » يذكر .

وينطبق هذا الحكم على الجزء العاشر من « المخصص » لأبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيدة (٤٣) المتوفى (٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) .

وخلاصة الكلام :

هناك مادة غزيرة في حقول غير قليلة من علوم الأراضة (الجيولوجيا) . غير أنها تنتظر من الباحثين صبراً عالياً في تطبيق المنهج التصنيفي .

وببلوغ هذه النقطة من الدراسة يواجهنا سؤال حاد :

ما هي التأثيرات السابقة على كتاب « الجوهرتين .. » و المؤثرات اللاحقة التي تركها في مؤلفات العرب التعدينية ؟ .

ان الصورة التي حاولنا أن نرسمها سابقاً ـ وهي ناقصة جدا كما نعترف لسبب أو لأكثر ـ لا يمكن أن تكون دليلاً لتاريخ الافكار التعدينية في كتاب « الجوهرتين .. » .

ومن ناحية أخرى إن غياب الاشارات الى موضوعاته في مؤلنات التعدين العربية ليبرهن على أنه كان كتاباً مغموراً بالنسبة اليهم . اذ لو كان في المتناول لعاد اليه البيروني في « الجماهر في معرفة الجواهر » ، وبالتحديد في الباب الخاص بالذهب وأخباره ومواطنه ـ الصفحة ٢٣٢ وما بعدها . ومعلوم من هو البيروني أمانة » وسعة إطلاع فضلاً عن المرحلة(٣٥) التي صنّف فيها كتابه .

ويتضح من أبواب كتاب «الجوهرتين..» ان الهمداني سعى ، عن قصد ، الى تأسيس علم تعدين الذهب والفضة ، ولهذا السبب لا نجد مسألة واحدة تتعلق بهما تاريخياً أو صناعياً الا وتوقف عندها طويلاً .

وقبل أن ينشر الدكتور كريستوفر تول نسخته في ابسالا عام ١٩٦٨ ، كان شيخ الجزيرة العلامة حمد الجاسر قد وصف المخطوطة ، سارداً ابوابها كافة قبل احدى وثلاثين سنة(٤٥) .

●● ومن أبوابها المهمة :

تكون الذهب والفضة في معادنهما .

واستخراج الذهب من المعدن (وفيه رسمان للاناء الذي يجمع فيه تراب المعدن) ، وتعريق التبر وسبكه وإرقاقه وطبخ الذهب وهو التصعيد (وفي هذا الباب ستة رسوم للتنور) ، وضرب العيار (وفيه ثلاثة رسوم لعلامة العيار) ، وصحة الوزن ومعرفة التقسيم. وفي الأبواب الخاصة بالفضة والزئبق تكلم الهمداني عن استخراج الفضة وعيارها .. وعن استخراج الزئبق وتكونه .. ثم أبواب اطلاء الذهب وقلعه من الفضة ، والفرق ما بين ذهب المعدن وتبر ذهب العيار ، والطبع والسكة ، وجلاء الحديد أو باب السقي .

وهكذا يظهر بجلاء ان كتاب « الجوهرتين .. » ليس مصنفاً لموضوعات الذهب والفضة فحسب وإنما هو أيضاً « دليل صناعي » دوّنته يد مؤرخ له دراية أكيدة بالتطبيقات العملية . ونكتفي الآن بتقديم نصين عن معادين اليمن على أمل أن نستكمل ، في العدد بعد القادم ، الشروح والتعليقات الخاصة بالموضوعات الصناعية في كتاب « الجوهرتين .. »

النص الاول : ★
(هو من المخطوط اظر المصورات)

النص الثاني : (منشور)

للنص الثاني عن معادن اليمن ثلاث روايات مختلفة ، اعتبرنا ما دوّنه الأب انستاس ماري الكرملي أفضلها .

وردت الرواية الاولى :

في ملحق « كتاب الجماهر في معرفة الجواهر » .

وهي كما يقول فريتس كرنكو : « في ذكر معادن اليمن وجدته في نسخ الكتاب الثامن من كتاب الاكليل » .

ووردت الرواية الثانية :

في ملحق كتاب « بلوغ المرام .. » للقاضي حسين العرشي ..

وذكرها العلامة الكرملي ـ محقق « بلوغ المرام .. » ـ نقلاً عن « رسالة ترى في آخر الجزء العاشر من الاكليل » ـ كما يقول في الصفحة ١٥٥ .

ولقد انتبه الأب العلامة الى أن رواية نسخته تختلف كثيراً عن رواية كرنكو .

ولا أدري لماذا لم يشر الى اختلاف مصدر الروايتين أيضاً .

واما الرواية الثالثة :

فلقد وجدها شيخنا الوالد العلامة القاضي محمد بن علي الاكوع في « ذيل الجزء الثامن من الاكليل » ـ الصفحة ١٢٧ من « المقالة العاشرة من سرائر الحكمة » للهمداني .

الهوامش

(١) منها على سبيل المثال لا الحصر :

« الجامع بين العلم والعمل النافع » ، تاليف : الجزري ، و « الحيل » ، تصنيف : بني موسى بن شاكر و « تقي الدين والهندسة الميكانيكية » للمهندس الميكانيكي العربي تقي الدين ابن معروف .

وتعتبر هذه المؤلفات الثلاثة اغزر واعمق ما بلغه العقل العربي من انجاز في علوم الهندسة

الميكانيكية ـ ولقد صدرت بتحقيق العلامة د.م. احمد يوسف الحسن ـ منشورات معهد التراث العلمي العربي (جامعة حلب) .

(٢) بل ان اليمنيين مهملون لتاريخهم ، كما يقرر ، عن حق، الوالد العلامة محمد الاكوع، في عدد غير قليل من مؤلفاته .

(٣) انظر دراسة بعنوان « الموجز في تاريخ الجيولوجيا عند العرب » ، الصفحة ٢٠٦ المجلد الاول من ابحاث الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب ـ جامعة حلب ، ١٩٧٦ م .

(٤) الموسوعة البريطانية /المجلد العاشر ؛ الصفحة ٥٣٥

ويقول هاري وولف Harry wolf في « الموسوعة العلمية الميسرة » ـ الطبعة العربية / المجلد الثاني ، الصفحة ٢٠١ :

« لقد استخرج قدماء المصريين الحديد من فلزاته واستخدموه في استعمالات عدة منذ اكثر من عشرة الآف عام خلت » .

(٥) من كتاب « الذهب » ـ د. صلاح يحياوي ، الصفحة ٢٠/ط ١٩٨٠.

(٦) الكتاب السابق .

(٧) يمكن مراجعة ما كتبه العالم الكبير اسحق ازيموف عن خلائط الذهب في الموسوعة الدولية / المجلد الثامن / الصفحة ٦٠.

(٨) يلجأ المعدنيون الى طريقة « الانصهار » حين تكون خلائط الذهب من الفضة والنحاس والرصاص .

(٩) تلتمس هذه الصعوبات بقراءة كتاب مثل «هندسة المناجم» س. بوريسوف وآخرون، دار مير / ١٩٧٨ م .

(١٠) الصفحة ٢١ من كتاب د . يحياوي .

(١١) « المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ، المجلد السابع / الفصل الثاني عشر بعد المئة : الصناعة والمعادن والتعدين ، الصفحة ٥٠٥ وما بعدها .

(١٢) الصفحة ٥١٢/ المصدر السابق .

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) لاشك ان المقصود هنا هو خلائط الذهب .

(١٥) الصفحة ٥١٤/ « المفصل .. » .

(١٦) « دائرة المعارف الاسلامية » /المجلد الحادي عشر ، الصفحة ١٧٢ .

(١٧) المزامير ، الاصحاح ٧٢ ، الآية ١٥ ، سفر حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، الآية ٢٢ ، سفر اشعيا ، الاصحاح ٦٠ ، الآية ٦ ، سفر ارميا ، الاصحاح ٦ ، الآية ٢٠ ـ المرجع السابق .

(١٨) المرجع السابق .

(١٩) الصفحة٥١٥/ « المفصل .. » /ج٧.

(٢٠) اذا صدق ان الحدس التاريخي ابلغ مما يصل الى عقل الانسان من براهين فسيكون ما اشاعه اليمنيون عن حضارتهم ، عبر الازمان، لايقل جلالا عن فعلهم في الماضي .

ولكن اخشى ما يخشاه الانسان بقاء الواح المسند صامتة يتيمة في طبقات تراب اليمن .. فيتحول الحدس في نظر اهل العقل والنقل معا الى ادّعاء .

(٢١) الصفحة ١١١ من المجلد الرابع / ابحاث اسبوع العلم الثالث عشر عام ١٩٧٢ م .

(٢٢) الصفحة ٣٢٣ من « ابحاث الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب » عام ١٩٧٦ م/ المجلد الاول ـ اصدار معهد التراث بحلب .

(٢٣) ورد اسمه عطارد بن محمد الحسيب في عدد غير قليل من الكتب . منها كتاب د. محمد فتحي عوض الله / الصفحة ٦١ : « الانسان والثروات المعدنية » سلسلة عالم المعرفة الكويتية

وذكرته الموسوعة العربية الميسرة باسم « ابن الحسيب عطارد » . وقالت انه من علماء القرن العاشر له « منافع الاحجار والجواهر والاحجار » الصفحة ١٣ / ط٢ .

واما العلامة بروكلمان فلقد اورد الاسم كما يلي :

« عطارد بن محمد الحاسب « او الكاتب » الفلكي .. ثم ذكر انه صاحب اقدم كتاب وصل الينا عن صفات الاحجار ولاسيما الاحجار الكريمة /المجلد الرابع « تاريخ الادب العربي » .

وعلى الرغم من ان صاحب الاعلام (ج ٤ /ص ٢٣٦) لم يذكر شيئا عن كتاب الاحجار الا ان اسم الرجل عنده هو : عطارد بن محمد البابلي البغدادي حاسب منجم ت : ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م .

(٢٤) هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي المتوفى حوالي عام ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م . ذكر له صاحب الاعلام رسالتين هما : « السيوف واجناسها » . و « عمل السيوف » / المجلد الثامن الصفحة ١٩٥ ... ولمزيد من المعرفة بالرسائل الصناعية الخاصة بالكندي يمكن العودة الى ابن ابي اصيبعة في « عيون الانباء .. » الصفحة ٢٩٢ .

(٢٥) د. بهنسي : « صناعة السيوف الدمشقية » الصفحة ٤٩٥ من « ابحاث الندوة العالمية ... »

(٢٦) المرجع السابق / الصفحة ٤٩٦ .

(٢٧) المرجع السابق / الصفحة ٥٠٢

(٢٨) المرجع السابق / الصفحة ٥٠١

(٢٩) الطرسوسي :

قال صاحب الاعلام في ترجمته :

هو « مَرْضي بن علي بن مَرْضي الطرسوسي : باحث . له « تبصره ارباب الارباء في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء ، ونشر اعلام الاعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الاعداء ـ ط » .

توفي عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م ـ الاعلام /ج٧/ص٢٠٣ .

(٣٠) الجلدكي :

هو علي بن ايدمر بن علي ، وفي روايات اخرى عز الدين ايدمر بن علي ، كما تقول « دائرة المعارف الاسلامية » المجلد ٧/ص٧٥ . عاش في القاهرة وتطوف كثيراً في البلاد وسكن دمشق حينا وتوفي على الارجح عام ٧٤٣ هـ/١٣٤٢ م . له تواليف عديدة وشروح وافية في العلوم الخفية وخاصة في علم الكيمياء .

(٣١) « ابحاث الندوة العالمية الاولى .. » الصفحة ٥٠٣ وانظر ايضا بحث الدكتور الحسن الصفحة ١١١ « ابحاث اسبوع العلم الثالث عشر » / المجلد الرابع .

(٣٢) « تاريخ العلوم عند العرب / د. عمر فروخ الصفحة ٢٥٦

(٣٣) « المعادن والآثار العلوية » ــ الفن الخامس من موسوعة ابن سينا الشهيرة : « الشفاء » ــ ط القاهرة ١٩٦٥ .

(٣٤) في الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب عام ١٩٧٩ قدم الدكتور الراوي بحثا عن ابن سينا اعتبر فيه الشيخ الرئيس مؤسسا لعلم الجيولوجيا .

(٣٥) لهذا الكتاب طبعة حديثة مصورة ــ عالم الكتب ، بلا تاريخ .

ومن المعلوم ان هذا الكتاب صدر في حيدر اباد الدكن بالهند عام ١٩٣٨ ، بعناية فريتس كرنكو (او سالم كرنكو) .

(٣٦) صدر كتاب التيفاشي بتحقيق د. محمد يوسف حسن ود . محمود بسيوني خفاجي ــ مطبوعات مركز تحقيق التراث عام ١٩٧٧ ــ القاهرة .

(٣٧) راجع ما كتبه محققا الكتاب بين صفحتي (١٧ ــ ٢٨) . وانظر ما كتبه د. محمد فتحي عوض الله « الانسان والثروات المعدنية » ط ١٩٨٠ / الصفحة ٦٢ وما بعدها .

(٣٨) النسخة المتوفرة من هذا الكتاب عبارة عن طبعة مصورة لا اثر فيها بالعربية لاسم المحقق او واضع الملاحق .

ومن المعلوم ان الطبعة الاولى من الكتاب صدرت في القاهرة عام ١٩٣٩ بعناية وتدقيق P . Anastase — marie de st — Elie

(٣٩) راجع ما كتبه د . محمد فتحي عوض الله ، الصفحة ٧٨ من كتابه المذكور سابقا .

(٤٠) الصفحة ٢٧٠ من بحث « الاصول العربية لعلم الاراضة » ــ د . عبد الامير الورد و د. ابراهيم الفضلي « ابحاث الندوة العالمية الاولى .. »

(٤١) في بحثه المشار اليه دمج الدكتور الراوي بين الزمخشري والمامون واليعقوبي والمقدسي من جهة ...

والكندي وابن سينا والبيروني وغيرهم من جهة اخرى ..

وسار على هذا الطريق د. محمد فتحي عوض الله في كتابه المذكور الصفحة ٦١ .

(٤٢) « تاريخ العلوم عند العرب / د. عمر فروخ صفحة ٢٠٧

(٤٣) ترجمة له صاحب الاعلام / المجلد الرابع الصفحة ٢٦٣ ط ١٩٧٩ .

وتوقف طويلا عنده الباحثان د. الورد و د. الفضلي الصفحة ٣٥٣ من بحثهما .

(٤٤) صنف البيروني كتاب (الجماهر ...) في شيخوخته .. وقيل كان يبلغ من العمر ثمانين عاما ــ الصفحة ١٠٦ من كتابه ..

(٤٥) مجلة المجمع العلمي العربي ــ سابقا ــ الصفحة ٨٦ / المجلد ٢٦ / الجزء الرابع بتاريخ تشرين الاول ١٩٥١ / المحرم ١٣٧١ هـ .

23a وماء الذهب، وكثير ما يظهر في أرض معدن الذهب من العضاه: السَّمُر والسَّلَم والضال وكلّ شجرة حارّة النار ولا بُدّ لتربة المعدن أن يكون فيها [...] وهو [...] وهو ضرب من محافر [ ] وحجارة بينها حصىً وتراب، وأمّا علامة معدن الفضّة فالكحل الإثمد أينما ظهر عُلِم أنّه بخار الفضّة في تلك الأرض، ويكون معدن الفضّة أشدّ يبسًا ومن شأن اليبوسة التفرق كالطحين وطبع الرطوبة الجمع مثل العجين فلذلك لا تجتمع الفضّة في المعدن مثل درو الذهب، والدليل على ذلك أنّ الدواء متى وقع على الذهب وعملت فيه النار اجتذب الدواء رديّ الذهب بما فيه من قوّة اليبس وما أعانه من أجزاء اليبس من النار فعرق ذلك الخبث في أجزاء نفسه فلم يرها الناظر ولا يجمعها إلّا الزئبق برطوبته،

باب معادن جزيرة العرب

قال أبو محمّد يقول أصحاب أخبار مكّة إنّ بالعَيْر والعَيْرة وهما جبالان يَعيلان مكّة معدنًا، فأمّا المعادن المعلومة فمعدن عَشَم من أرض كنانة وأحسبه ينسب إلى عَشَم بن قضاعة لأنّه يقال معدن عَشَم وذهبه أحمر جيّد يأتي رطله بعيار العلويّ مائة دينار مطوّقة وأربعة دنانير وهو جيّد عزيز، ومعدن ضَنْكان من أرض كنانة والأزد بينهما

[illegible]

23b وقد غُمر منه في عصرنا على شيء حدّ عليه السبل فغمر منه السلطان والرعيّة وهو دون معدن عَشَم في جودة الذهب ويأتي رطله بعيار العلويّ مائة دينار ودينارًا ونصفًا، ومعدن القُفاعة من أرض [...] من خولان وهو بالقرب من الخصوف مدينة حَكَم وقد تُدعى معدن النار والنار في على وادي خُلَب وادي الحصوف وهو خير المعادن جسمًا وأقلّها وضوحة وأشدّها حمرة ورطله يأتي بعيار العلويّ مائة وستّة، ومثله وقريب منه معدن المُعْلَمة من أرض خَيْوان من أرض همدان، وبأرض بني ... بالجدّ ما بين صعدة ونجران وهو معدن حسّد يأتي رطله بالعيار العلويّ مائة وأربعة وأقلّ شيئًا، فهذه ما نُحِلّ من معادن الذهب بتهامة واليمن وشمّر وبها معادن أخر ولم يُعمَل منها معدن [...] بجحور و ... حصن والمعدن في مسمطه وهو مجانس لمعدن ضنكان، وأمّا معادن نجد الذهبيّة فأوّلها معدن الهَجيرة من نهد واضح يأتي رطله بالعيار العلويّ ثمانية وتسعين وأقلّ ولا شكّ أنّ معدن بيشة يعطان مثله في وضوحة التبر الجوزاء ولم يُعمَل معدن بيشة في عصرنا وله مدّة منذ انقطع عمله، ومنها معدن العقيق عقيق جرم بين نجران والفلج وموضعه صُعاد من العقيق وهو عزيز

[illegible]

24a جدًّا ويسمّون القطعة هناك دُقّة ولو كان فيها أرطال، ومنها معدن الحَسَن والحَسَن قرن أسود مليح وهو عزيز ويُعدّ من معادن اليمامة، ومنها معدن الحُفَير بناحية عَماية وهو عزيز، ومنها معدن الضُّبَيب عن يسار قصب القَلِيب، ومنها معدن الثنيّة ثنيّة ابن عِصام الباهليّ، ومنها معدن العَوْسَجة من أرض عَنيّ فويق المغيرا بطن السِّرداح والمغيرا الماء الذي يقال أنّه رمى عليه ساس بن زُهَير بن ثعلبة بن الأعوج نحوَ ويقابل المغيرا قرن يقال له الوَتِدة في بطن الوادي، ومنها معدن بِياس وهو مُخِفّ بنيابس وبياس رمل في ديار بكر بن وائل فيه دفن العلاء بن الحضرميّ صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومنها معدن مَحَجّة العراق بين العُمَق وأُفَيعية ولا أدري أهو معدن النُّقرة في طريق العراق أم هو غيره أم معدن اسم بلا يكون فيه معدن، ومنها معدن بني سُلَيم ومعدن بني قُرّان من أرض بَليّ، ثمّ في ديار العرب من جزيرة العرب مواضع معادن كثيرة لم تُعمل وأهلها بادية لا يعرفونها ولم يدخلها من المعدنيّين أحد،

معادن الذهب في بلاد الأعاجم، أمّا أغزر معادن الأرض الذهبيّة فمعدن غانة بأرض المغرب مغرب مصر ويحول دونه المفاوز والمخافة من سودان

[illegible]

24b المغرب، فإذا وصل واصل أوقر ركابه وذلك أنّ عروق الذهب وأعيانه وطرائده ونعاله وألسنته بها كثيرة فيقرض ويحمل، خبّرني بذلك إبراهيم بن محمّد بن عبد الرحان صاحب دار الضرب بصنعاء وصعدة على ما تناهى إليه وخبّر به، ومن معادن أرض النوبة والحبشة العلّاقي ينسب إلى بني العلّاق بن سُلَيم بن منصور وهو جيّد التبر ومؤاتٍ، وعلقمة والعلقميّ من خير التبر وأشدّه حمرة، و[......] و[...] من بلد الحبش و[...] وهو معدن [.......] من الحبشة وقِفط والأقصر وأرمنت وأسوان من بلد البُجة، ومن مطانّ التبر دهلك وعَيذاب وناصع وسَواكن، والصين من بلدان الذهب، قال تُبّع:

وَبَنَتْ بِالصِّينِ لِي بُغْيَتِه ... بِنْتَ الخَرِيرِ وَكَنْزَ الذَّهَبِ

تسمية معادن الفضّة، ومنها معدن شمام الفضّة والصُّفر من أرض نجد وشمام قرية عظيمة كان فيها فيما يقال ألف من المجوس وكان فيها بيتا نار وأبناء شمام جالس بها وقد خربت وكان عمرانها في الجاهليّة وأكثر مدّة الإسلام، ومنها معدن الرَّضْراض باليمن وهو نظير معدن شمام وخير منه، وأكثر معادن الفضّة بخراسان أو ما لم يُعلم مكانه في جزيرة العرب، فمن معادن خراسان أنذراب معدن بلخ وهو أغزر

[illegible]

25a معادن خراسان ويرتفع فيه كلّ يوم من الفضّة شيء كثير، وإذا اغتدى الناس في لفظ الجوهر راحوا بما رُزقوا فيُقسَم ثلاثة أثلاث فيأخذ وكيل السلطان ثلثًا وتأخذ اللقطة ثلثًا وقبض أهل الموضع ثلثًا، فمنهم مَن يعمل حقّه ومنهم مَن يبيعه من تجّار يعلمونه،

ومنها معدن طوس وفيه مع الفضّة الحديد الذي تُعمل منه السرود، ومنها معدن سمرقند ومنها معدن بخارا موضع آل اسماعيل بن أحمد ومنها معدن نيسابور، هذه المشهورة المذكورة ولم يشتهر ما سوى ذلك،

قال معدّنو الفضّة: ليس بخراسان ولا بغيرها كمعدن اليمن وهو معدن الرضراض وهو في حدّ نهم ومخلاف يام من أرض همدان وخرب على رأس سبعين ومائتين، والمراد فيه خاصّة ولبني غيلان رهط ابن الرويّة يد حتّى يقال معدن ابن الرويّة ولبني الحارث ولخولان العالية فيه جوار وصقب، فلمّا قُتل محمّد بن يعفر وافتتنت هذه القبائل عليه عدا بعضهم على ساكنه فقتلوا منهم ونهبوا، وهرب مَن بقي فتفرّقوا في البلاد، وصار إلى صنعاء منهم قوم قد كان لهم بصنعاء قدم من قديم ومنازل وضياع، وكان أهله جميعًا من الفرس ممّن تأوّب إليه في الجاهليّة وأيّام بني أميّة وبني العبّاس وكانوا يُسمّون فرس المعدن فمَن بصنعاء منهم بنو سردويه وبنو مهرويه وبنو زنجويه وبنو بردويه

[illegible] بن [illegible] خولان [illegible] مائتين [illegible] مهرويه [illegible] بكنوية [illegible] أشهدويه [illegible] برزويه [illegible]

25b وبنو جندويه،

وكانت قرية المعدن عظيمة وبها غيل ونخل وكان الجهاز يرد إليها من البصرة والقطرات إليها ومنها على طريق العقيق والفلج واليمامة والبحرين إلى البصرة، وكذا كانت الرفاق تسلك من صنعاء إلى البصرة ومن البصرة إلى صنعاء طريق اليمامة وقد سلكها أصحابنا رحمهم الله وكان أكثر مَن سلكها جرم وبنو الحارث،

وكان يرتفع لمَن في المعدن من تنانيرهم على أنّهم لم يكونوا كفالة ولا سداد شيء كثير من الفضّة، في نسخة أخرى: يرتفع لهم في الجمعة حِمل فضّة وهو عشرون ألف درهم فيؤدّى في السنة بالتقريب ألف ألف درهم، عُرف ذلك من بعض وكلاء محمّد بن يعفر الذين كانوا يقبضون حقّ السلطان،

وخبّر أحمد بن أبي رسادة الصائغ أنّ بني [......] وبني الأشرف كانوا يعالجون في المعدن وأنّه كان فيه أربعمائة تنّور وكان الطائر إذا حاذى قرية المعدن سقط ميتًا من نار التنانير،

وخبّرني أبي رحمه الله تعالى أنّه يشتري الفضّة النبات وهي الحرق على أربعة عشر مثقالًا بدينار مطوّق المطوّق ثلثا مثقال وحبّتان والعشرة المطوّقة وقيّة وهي سبعة مثاقيل فكان يقع المطوّق من الفضّة عشرين درهمًا فقله وبالمثقال قراب ثلاثين درهمًا، فلمّا انقطع المعدن صارت الفضّة بصنعاء إلى وقيّة بدينار مطوّق فلمّا وقعت باليمن حطمة تسعين ومائتين عادت

[illegible] 25b fehlt in M. [illegible] Nöldeke, Pers. Stud. [illegible] جبرويه [illegible] كسالة [illegible] بكفالة [illegible] خلوية [illegible] جلوية [illegible] الشراك [illegible] مبنى [illegible] خبرني [illegible] صارت [illegible] قرأت [illegible]

26a إلى السعر الأوّل عشرين درهمًا فقلة وهي وقيّتان بدينار مطوّق وبلغ صروف الدوانيق سبعة وتسعين بمطوّق فذلك بستّة عشر درهمًا وسدس، فحمل التجّار من العراقيين والفرس والشاميين والمصريين فضض اليمن في ذلك العصر وكانوا يربحون فيها الربح الخطير،

وخبّرني بعض إخواننا النهميّين من أهل الموضع قال: وصل إلينا من صنعاء ممّن يتوصّل باليمن رجلان خراسانيان فلمّا نظرا إلى المعدن وإلى ما فيه من الآثار الجاهليّ والإسلاميّ قال أحدهما: يا ضياع مال الله في هذا المكان أو مال الله الضائع في هذا المكان،

وقد كان أجرى العلوي بصعدة خبره، وكانت همدان وساكن هذا الموضع في حربه وكان الذي بينه وبين بني الرويّة لطيفًا فهمّ به فأشار عليه أهل صنعاء أن يبني فيه حصنًا أو يردّ الحصن القديم ويُصيّر فيه ديوانًا يمنعون عمّاله من البادية وعوادي مذحج، فهمّ بذلك ونمى الخبر إلى أسعد بن يعفر فبعث لآل مذحج سادة نهم فأثبتهم في ديوانه وأراع عليهم دنياه فانقطعوا إليه ولم يستتم للعلويّ فيه ما أمّل،

وآثار أعمال الجاهليّ فيه أكثر من آثار أهل الإسلام وهذا الموضع الذي ذكره النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في كتابه مع ابن نمط الهمدانيّ إلى أهل مخلاف يام وخارف، فهنالك جبل يام الأصحر وفيه آثار الجاهليّ، ثمّ انتقلت

1) 26a fehlt in M. 2) U نسعه 3) U العراقين 4) U والشاميين 5) U مروج 6) U خراسانيان

26b يام من هذا الموضع فسكنته ما بين جوف الخنقة ونجران فصار لهم قابل نجران القبليّ فيه حاضرتهم، وباديتهم بسلاح وحارة فما يليها من جلاجل فسرور،

وخبّرني بعض من نظره من الغرباء الذين يعالجون الفضّة أنّه ينفق على الدرهم منه ربع وأنّ في أرض بني مذحج معدن فضّة عُمل لابن زياد صاحب زبيد فأنفق على الدرهم أربعة دوانيق لضعفه وعسره،

باب استخراج الذهب من المعدن

أمّا معادن الذهب فإنّه تحفر فيها عليه آبار صفته كالكظائم وكيف ما نزل وسع وربّما تعارضت البئران فانقدع ما بين أسافلها فأفضت واحدة إلى الثانية ويحفر ما قدر ويسع مجاري للماء وللنفس وحيث يعظم كثرة الحجار في خرج من مثل تلك البئر ميزت منه الحجارة، ثمّ تُسقف بمقتل عمد له جدار من موضعين نصف مربّعة على قطرين اثنين، وربّما كان من ثلاثة مواضع والرابع فضاء، وهذه مساحتها على فئتين: هذا المحلّ من الحجارة والتراب، فإذا كان ما دقّ من التراب صبّه فصار صلقى مثلّث أو مربّعًا وهذه صورته: V فيخرج من فضاء هذه المقتل التراب ويحصل الدرو والنحاتة من مؤخر المقتل، فإذا ذهب منه جوشه تصكّيه وقلبه بيده فما لاح له من حبّة ذرو وتدركها وتنالها الأنملة وتعلّقها بالريق، علّقها في قصبة يراع صغيرة عليه بسمار، ثمّ أدخلها في الشعر

[illegible] الخيفة [illegible] وحارة [illegible] جلاجل [illegible] خلاحل [illegible] نظره [illegible] المقتل [illegible] صراد [illegible]

نبذة عن جيولوجيا اليمن وأهم الرواسب الاقتصادية

صلاح عبدالواحد الخرباش

قسم الجيولوجيا - جامعة صنعاء

مقدمة :

تقع الجمهورية العربية اليمنية في الركن الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وتقدر مساحتها بحوالي ١٩٥٫٠٠ كيلو متر مربع ، بدأت النشاطات الجيولوجية في الجمهورية العربية اليمنية منذ نهاية القرن التاسع عشر وكانت هذه النشاطات سطحية هدفها الاساسي استكشافي ولم تكن ذات هدف جيولوجي بحت ٠ ولا ننسى هنا جهود بعض الجيولوجيين الاجانب مثل جيوكنز Geukens ولامار Lamar اللذين كان لهما الفضل الأول في وضع الأسس الأولية لجيولوجية الجمهورية العربية اليمنية ٠

التقسيم الفيزيو جغرافي والتكاوين الجيولوجية

Physiographic and Geologic formation

تنقسم أراضي الجمهورية العربية اليمنية فيزيوجغرافيا الى ثلاث مناطق رئيسية هي :

- منطقة السهل الساحلي
Goastal plain
- منطقة المرتفعات الوسطى
General highlands
- منطقة الهضاب الشرقية
Eastern plateau

تعرف منطقة السهل الساحلي بسهل تهامه ويتراوح عرضه من ٣٠ - ٤٠ كم ويتكون من رواسب الحقب الثلاثي الاخير والرواسب الهوائية (كالكثبان الرملية) والتي تعود الى الحقب الرباعي ، أما بالنسبة للمرتفعات الوسطى فهي تقع ما بين السهل الساحلي لتهامه وصحراء الربع الخالي في الشرق ويصل أعلى ارتفاع لها

ما يقارب ٣٠٠٠ متر في الجزء الاوسط للبلاد ، حيث تتصل مع مرتفعات العربية السعودية في الاتجاه الشمالي ٠ تتكون هذه الصخور أساسا من صخور بركانية ذات الحقب الثلاثي وتشمل البازلت (Basalt) الاندزيت (Andesite) ، التراكي اندزيت (Trachy andesite) التراكيت (Trachytes) وصخور الطف Tuff.

أما بالنسبة لمنطقة الهضبة الشرقية فيتراوح ارتفاعها من ١٥٠٠ الى ٢٥٠٠ متر وهي مغطاة بكثبان رملية وصخور بركانية مع بعض مكاشف من صخور الجرانيت العميقة (Intrusive granites) .

تشكل الجمهورية العربية اليمنية جزءاً من الدرع العربي* (Arabian shield) الذي انفصل عن الدرع الافريقي (African shield) بحوض البحر الاحمر والذي بدأت معالمه تتضح مع نهاية الحقب الثلاثي ٠ صخور الدرع مكونة أساساً من صخور الأساس المعقدة Basement complex والتي تعود الى عصر ما قبل الكمبري ، ويعتقد الجيولوجيون الى وجود منطقتين تركيبيتين لهذا الدرع هما :

- المنطقة الداخلية المستقرة نسبياً
— Stable interior region
- منطقة الحزام المتحرك
— Great mobile belt

بالنسبة للمنطقة الداخلية المستقرة فهي تشمل صخور القاعدة المعقدة (الدرع العربي) ، والرصيف القاري العربي (Arabian shelf) والذي يعتبر امتدادا لصخور الاساس المعقد مع وجود غطاء من الصخور الرسوبية والتي تمتد الى مئات الكيلومترات شرقاً ٠ أما بالنسبة لمنطقة الحزام المتحرك والذي يحاذي المنطقة الداخلية فهو يشمل منطقة زاجروس (Zagros) وسلاسل عـُمان الجبلية (Oman mountains) ولا مجال لذكرها هنا بالتفصيل ٠

حتى وقتنا الحاضر صخور القاعدة المعقدة المتواجدة في اليمن ما زالت غير مقسمة من الناحية الجيولوجية بالرغم من وجود بعض الدلائل المدروسة من قبل بعض الجيولوجيين الاجانب حيث توصلوا الى ان هذه المجموعة من الصخور تتكون من صخور متحولة مطوية وتشمل على الميكا ، كلوريت ، جارنت - شيست نايس★ (gneiss) امفيبوليت (Amphibolite)★ ، مقطوعة بصخور جرانيتية وقواطع قاعدية (Basic disks) ، وتظهر هذه الصخور

★ الدرع (Shield) : عبارة عن كتلة ضخمة من صخور القاعدة المعقدة ، عريضة ، تتميز بشكلها المحدب وبتميز سطحها بانحدار بسيط جدا .

★ النايس : صخر متحول اصلها ناري (حامض) او صخر رسوبي .

★ الامفيوليت : صخر متحول اصلها صخور قاعدية أو فوق قاعدية .

بصفة أساسية في الشمال ، الشرق والجنوب الشرقي من البلاد .

تعرضت صخور القاعدة المعقدة الى عوامل التعرية والتجوية الشديدتين مما أدى الى تسوية سطح الارض فيما يشبه السهل (Peneplainlion) وقد أشارت الدراسات الاولية الى ان أقدم الصخور الرسوبية باليمن تتواجد في الشمال من صعدة ولا توافقياً مع صخور القاعدة المعقدة وخاصة في المناطق الشمالية من البلاد ، وسميت هذه الصخور بتكوين وجيد الرملي (Wajid sandstone) نسبة الى منطقة وجيد في شمال اليمن ، ويعتقد انها تعود الى العصر البيرمئي أو الاردوفيشي (Permian or ordov.) ، بعد ذلك ترسبت صخور رملية أيضا لا توافقيا مع الاولى وعرفت هذه بتكوينات كحلان نسبة الى مدينة كحلان (Kohlan Formation) والتي تعود الى العصر الجوارسي المتقدم (Lower Jurassic) بعد ذلك تعرضت الصخور المترسبة البارزة في بعض أجزاء البلاد الى عوامل التعرية الشديدة (فترات عدم ترسيب) تبعتها تقدم البحر مما أدى الى غمر أجزاء كبيرة من البلاد وأدى الى ترسيب صخور كلسية (جيرية) والتي عرفت بتتابع عمران Amran series نسبة الى مدينة عمران ★ ، وتتميز هذه الصخور بالطبيعة الكلسية تتخللها طبقات من الطفلة ، وقد أشارت الدراسات الأولية لوجود أنواع كثير من الاحافير (Fossils) تعود الى العصر الجوراسي (u. Jurassic) أعقب ذلك تراجع البحر مصطحباً فترات عدم ترسيب بحري ، أعقبه ترسيب قاري (Continental) ، شبه بحري في مناطق ضحلة مكونا بذلك مجموعة من الصخور الرملية تعرف بمجموعة الطويلة (Tawilah group) ، وهذه الصخور تتميز بأنها رملية محببة تتخللها طبقات متناثرة من الكنجلومرات ، لم يتم حتى الآن تقدير غمر هذه الصخور من حيث انه لم تجمع أي دلائل لتقدير عمرها ، ولكن أشارت الدراسات انها ربما تتبع العصر الطباشيري (Cretaceous) بسبب علاقتها الهندسية بالصخور الاخرى ، وتتوجد هذه الصخور في غرب - شمال غرب صنعاء (الطويلة) ، في منطقة شمال تعز (الصلو) .

وجد أخيراً ان هناك طبقات من الكنجلومرات الرملي
Conglomeratic sandstone
يغطي صخور الطويلة المشابه لها الى حد كبير وتتميز بتوزيعها الجغرافي المحدود وقد سميت بتتابع مدج زير (Madjzir series ;) نسبة الى قرية مدج زير (شرق صنعاء) ويعتقد انها تعود الى بداية الحقب الثلاثي .

بعد هذا الاستعراض المبسط لصخور

★ في بعض مناطق الجمهورية مثل جبل عبلة (شمال صعدة) ترسبت هذه الصخور مباشرة فوق صخور القاعدة المعقدة وهذا ما يعرف بظاهرة عدم التوافق .
Unconformaty

القاعـدة المعقـدة والصـخور الرسـوبية المنتشرة في البلاد تأتي للصخور البركانية التي بدأت منذ الحقب الثلاثي والتي تغطي الجزء الجنوبي الغربي من البلاد أو ما يقارب ربع مساحة الجمهورية ، وقد عرفها جيوكنز (Geukens 1966) ، بسلاسـل التـراب (Trap series) ، الا ان بعض الجيولوجيين من هيئـة المساحـة الجيولوجية الامريكيـة (U S G S) رأوا أن يطلقوا على هذا التتابع تعبير بركانيات اليمن (Yemen Volcanics) وذلك بعد القيام بدراسـة عامة لجيولوجية اليمن وعدم مطابقـة تعبير تراب Trap عليها ، وتتكون هذه الصخـور أساساً من اللافا (Lava) ، بازلت * ، الانرزيت * ، التراكيت * ، والتراكي أنر زيت * والتف (Tuffs) * ووجـد أن هنـاك تسلسلا مـن الصخور الاكثر قاعدية في القاع الى الاكثر حامضية في القمة ، ونظرا للفوارق المتعددة فمن الصـعب تحـديد سمك هـذه الصخور

ولكنها تقدر بحـوالي ١٢٠٠ متر ،ويعتقـد ان البراكين في الجنوب بدأت نشـاطها عند العصر الكرينلوى ولكنها نشـطت بشكل كبير خلال الحقب الثلاثي ، وتتميز بفترات انفجارات عائـدة الى تشـكلات تكوينيـة (حركية) على طول الفوالق المميزة ، وقد

اسـتمر النشـاط البركاني حتى العصر الجيولوجي الحديث . بالاضافة الى هـذا أشارت التقارير الاولـيـة الى وجود كتـل جرانيتية قاطعـة لتتابع البراكين اليمنية مثل جبـل صبـر (تعز) ، ووادي سـردود (طريق صنعـاء ـ الحـديدة) ولذا يرجع العمر الجيولوجي لهذه الصخور الى ما بعد الحقب الثلاثي (Post - tertiary) .

أما بالنسبة للبراكين الحديثـة والتي ما زال نشاطها حتى الآن فانها تتميـز عن غيرها من الصخـور البركانيـة بشـكلها المخروطي المميز الخاص (تكوين الفوهة أو الكرتر Crather) والتي تأثر سيلان الصهير بطبوغرافية المنطقة، وتنتشر هذه الصخور في ثلاث مناطق أساسية هي :

- صنعاء ـ عمران
- صرواح ـ مأرب
- ذمار ـ رداع

وقد وجد ان البراكين ما بين ذمار — رداع هي الأكثر حداثة ولا زالت تحتوي على فجوات انبوبية كبريتية ولها علاقة بمنطقة التصدع ذات الاتجاه شرق ـ غرب (تقريبا) التي يوجـد على طـولها مراكـز البراكين الرئيسية .

مختصر حـول التراكيب الجيولوجيـة الميمزة في الجمهورية العربية اليمنية

Gieologic Structures in Yemen Arab Republic.

يمـكن اسـتنتاج ان سـطح الارض

---

* مجموعـة من الصخـور البركانية نتيجة لتباين او تفاضل الصهير الحراري .

(Magmatic differentiation)

اليمنيـــة يمكن تقســـيمها الى قسـمين واضحين :

ـ الصخـــور القاعيـــة المتحولة ذات الطيات المتعددة والتي تعـود الى العصر ما قبل الكمبري والغير متـوافق مع الصخـور الرســوبية الشبه أفقية وتعتمـــد كثيرا مكاشف الطبقات السفلي للصخور الرسوبية أو للصخور القاعية على مماسها من النشاط النحاتي Crosion Processes ٠ ان حركة بناء الجبـــال (Orgenic Mountain build - ing) قد أثرت بشــكل عـــام على التركيـــب الجيولوجي فمثلا تشـكل المنطقـة مـا بين الشرفة ومأرب قبة ضخمة مائلة المحور نحو الشمال ٠ ومن ناحيـــة أخـرى فان الساحل الساحلي لتهامة هو عبارة عن اخـدود وان المنطقة الشرقيـــة هي جزء من مستهضب فانه من المرجح ان التركيب الجيولوجي العام محكوم بتصدعات (Faults) شبه عمودية ذات اتجاه شمال ـ شمال غرب الى جنوب ـ جنوب شرق شبه موازية مع الاتجاه الارتيني (اتجاه اخدود البحر الاحمر) عموديـة على خليج عدن الممتـــد باتجـاه شرق ـ شـمال شرق ، غرب ـ جنوب غرب ٠ ويظهر اخدود آخر في الجهـــة الشرقيـة من البلاد موازيا تقريبا لاخـدود البحر الاحمر هو منخـفض الجوف الذي يتصـل باخـدود آخر له نفس اتجاه خليـــج عدن ويشكل صحراء رملـة الســبعتين٠ تأخـــذ الحـركات التكتونية (Technic Movement) نفس الاتجاهـــات السابقة وينطبق ذلك على اخـــدود عمران والاخدود الثانوي بين حريب ومأرب ، كما ان هناك أخاديد ثانوية كثيرة غطتها السلاسل البركانية اليمنيـــة مثل قاع صنعاء وقاع جهران ٠

يرى جيوكنز Geukens ان التشكل التكتوني على طـول التصدعات لا يقتصر على حركة بناء القارات العائدة الى نشوء البحر الأحمر فكون ان تتابع البراكين اليمنية في منطقة جنـوب سردود تقع مباشرة على تكوينات كحـلان وان سلاسـل عمـران ومجموعة الطويلة تختفي فجاءة يدل على ان الفوالق ذات الاتجاه العام شرق ـ غرب قد شكلت البلاد قبل تكوين سلاسل البراكين اليمنية ، تم قياس حوالي ٢٤٥٠ بنية خطية Lineaments من الخرائط الجيولوجية المعدة من صور الأقمار الصناعية Landsat - 1 المغطيـــة لليمـن ٠ وقد حلل الشاطوري ـ الخرباش ـ عثمان (١٩٧٩) هـذه البنيات الخطية موزعة على مناطق اليمن المختلفـة حسب موقعها من البحر الأحمر وخليج عدن وبحسب تكوينات الصخـــور ذات الاعمار المختلفة ٠ ان التحليل الكمي لهذه البنيات الخطية قد أظهر أهميـــة خاصـــة للاتجاه الارترني (اتجاه البحر الاحمـر) في أجزاء مختلفة من اليمن وبصورة خاصة في المناطق المحاذية للبحر الأحمر ٠ ويعتقد ان اتجاهات البنيات الخطية المميزة لصخور عصر ماقبل الكمبرى (Precambrian) قد تجدد النشاط

الحركي عليها عبر العصور الجيولوجية الأحدث ، وقد تعكس هذه الدراسة بعض الدلائل الهامة حول التحكم التركيبي والتوزيع الفراغي لبعض الرواسب المعدنية المرتبطةبالنشاط الحراري(Hydrothermal) بالاضافة الى توزيع الينابيع الحارة المنتشرة في مناطق مختلفة من اليمن ، وكذلك على احتمالات تواجد تراكيب بترولية مرتبطة بقباب الملح التي تظهر في بعض مناطق الحزام الساحلي والهضبة الشرقية من البلاد ٠

الرواسب المعدنية في الجمهورية العربية اليمنية :

حتى وقتنا الحاضر لم تجرى أي دراسة مكثفة حول الرواسب الاقتصادية الموجودة في مناطق مختلفة من اليمن ، الا انه تمت دراسات عديدة (استطلاعية) لبعض الرواسب من قبل بعض الجيولوجيين والهيئات الاجنبية ، وعلى سبيل المثال أجريت دراسات أولية في منطقة الحامورة حيث ترسبات النحاس ـ الكوبلت ـ والنيكل وذلك من قبل البعثة الرومانية بالتعاون مع هيئة المساحة الجيولوجية اليمنية ؛ وكذلك استطلاعات في كل من صعدة والبيضاء لدراسة ترسبات الحديد والنحاس في البيضاء وذلك بالتعاون مع البعثة الفرنسية والتي سبقتها البعثة الصينية وما زالت نتائج الدراسات تحت التحفظ ٠

وجد ان التعدين في بلادنا مقتصر على اعمار جيولوجية محددة، وهنا نوضح بعض التمعدنات الموجودة (الفلزية واللا فلزية) وظروف وأماكن تكوينهما في كل عصر :

أ ـ تمعدنات عصر ما قبل الكمبري :

Precambrian Metallogenic Epoch

يعتبر هذا العصر من أهم العصور الجيولوجية وذلك لاحتوائه على تمعدنات اقتصادية وفيرة ٠

١ ـ المعادن الفلزية

Metallic mineral Occurrenes

A الحديد (IRON) :

دلت الدراسات على وجود منطقتين لتواجد الحديد بكميات جديرة بأن تكون ذات أهمية اقتصادية اقتصادية وذلك في المستقبل القريب انشاء الله ، وهما منطقة البيضاء ومنطقة صعدة ٠

ـ حديد البيضاء :

اكتشف هذا النوع من الحديد في جنوب البيضاء (جبل المعدن ، وجبل هبج) ، وقد دلت الدراسات الأولية أنه يتكون منطبقات متبادلة من الماجنتيت والهيماتيت
(Alternating bands, magnetic and hematiets)
وتواجده يعكس تكونه ببيئة مؤكسدة ، ويعتقد انه تكوّن نتيجة لميكنيكية التحول المتباين Metamorphic Differntiaton التي حدثت داخل حوض ترسيب ضخم والذي يحتوي على صخور ترسيبية ـ بركانية

وصخور رسوبيةمتحولة ·
(Volcano - sedrnetary RS . and metasedinents)

ـ حديد صعدة :

اشتهرت مدينة صعدة باستخراج الحديد بكميات اقتصادية حيث لعبت دورا هاماً فيصناعة الاسلحةالمستخدمة فيالحروب فيذلك الوقت،واستمرتهذه الصناعاتحتى بداية قرننا الحالي حيث بدأت الصناعات الاجنبية تغزو البلاد وتنافس الصناعة المحلية ·

ومن الناحية الجيولوجية فقد قام فريق من المساحة الجيولوجية الأمريكية عام ١٩٧٥ م بزيارة الى المنطقة مع جمع بعض العينات من منطقة التأكسد (Gossan or Iron haf) وقد تبين من تحاليلهم لها ولخواصها الطبيعية والمعدنية والتركيب الكيميائي والوضعية الجيولوجية ، تبين ان خام الحديد يحتوي على هيماتيت وجوثيت والذي جاء من كتلة البيريت ـ البيروهتيت الموجودة في صخور الحقب ما قبل الكمبري ، ويعزى وجود هذه الكتلة المؤكسدة نتيجة لجريان المياه الجوفية التي تقوم باذابة معادن الكبريرات الموجودة في الصخور القاعية وتكوين محاليل الكبريتات والتي بدورها تتحرك الى أعلى خلال الفوالق والشقوق الى التكوينات الأحدث حيث تترسب على هيئة أكاسيد حديد · كما أفاد فريق المساحة الجيولوجية الأمريكية انالصخور الترسبية ـ البركانية المتحولة تشبه الى حد كبير تلك الموجودة في وادي وسط ووادي قطان في العربية السعودية ·

وقد أشارت نتائج التحليل الجيوكيماوي المعمولة على عينة واحدة من جبل عبلة (قرب صعدة) على ان هذا النوع من ترسبات الحديد لم يتكون نتيجة لعملياتالتحول التبايني Metamorphic Diff للصخور القاعدية أو فوق القاعدية المكونة للمنطقة ، ونتيجة لوجود المولبد نم (MO) وعدم وجود الكروم (Cr) قد يشير الى ان ترسبات الحديد تكونت نتيجة للنشاط الحراري المائي Hydrothermal

تجري الايام دراسات على تمعدنات الحديد فيمنطقة صعدة وذلك من قبل البعثة الفرنسية بالاشتراك مع هيئة المساحة اليمنية ·

(B) تجمعات النحاس ـ الكوبلت ـ النيكل :

Copper — Cobelt — Nikel Association

بدأت نشاطات الاستكشاف للنحاس ـ الكوبلت ـ النيكل منذ حوالي سنة ١٩٤٢ ، وهذه التمعدنات موجودة في منطقة حيفان والطفه (لواء تعز) · وجد ان المنطقة مكونة من صخور ما قبل الكمبرى والتي تشمل النايس ، الميكارشيست ، الامفيوليت متبادلة مع صخور المجماتيت

(Mixed Rocks)
ومقطوعة بقواطع جرانتية ، بجماتيتية وابليت (Aplite) وتعتبر منطقتا الحامورة والشقات من أهم المناطق الموجودة هناك من حيث احتوى صخورها على تمعدنات النحاس - الكوبلت - النيكل ٠ دلت الدراسات على ان عرق المتمعدن (المتأكسد) الموجود في منطقة الحامورة قاطع لصخور الامفيبوليت والذي يتخذ

اتجاه غربي شمال ١٥ غرب بطول حوالي ١٢٠٠ م ، وهذا العرق المتأكسد تعرض لعدة فوالق تتخذ الاتجاه شمال ٣٥ شرق وقد دلت التقارير الغير منشورة والمستنبطة من الكشف الجيوفيزيائي في المنطقة على ان منطقة التأكسد تصل الى سمك حوالي ١٦ متراً ، أما بالنسبة للعرق المتمعدن (المحتوي على المعادن الاقتصادية) فقد وجد أن سمكه يصل الى ٣٠ متراً ويميل بزاوية ٧٠ في اتجاه الشمال الشرقي بالاضافة الى هذا فقد اجريت تحاليل كيميائية طيفية Spechographic Analysis على أربع عينات من قبل هيئة المساحة الجيولوجية اليمنية والتي أكدت على وجود كميات اقتصادية من النحاس ، والكوبلت والنيكل في المنطقة* ٠ أما بالنسبة للعرق المتمعدن

الموجود في منطقة الشقات فهو عبارة عن مناطق غير متصلة (يرجع هذا الى الحركات الارضية التي حدثت منذ أمد بعيد) وقد يصل طول بعض هذه المناطق الى ١٥٠ مترا بطول خط مغربي حوالي ١٢٠٠ متر واتجاه شمال ٣٥ غرب ، وميل عمودي تقريبا ٠ ودلت نتائج التحاليل الكيماوي على وجود ٤٥٪ حديد ، ١٠٪ نحاس ، ٢٪ نيكل و ١٥٪ كوبلت ٠

أصل وظروف تكوين هذه التمعدنات مازال تحت الدراسة ، ويعتقد انها تكونت أثناء المراحل الحرارية المائية المتأخرة (Later Hydrothermal Stages)

ونشير هنا الى أن الفريق الروماني الجيولوجي بالتعاون مع الفريق اليمني الجيولوجي قد أنهيا الدراسات الاستكشافية في منطقة الحامورة والتي شملت : أصل التمعدن ، الوضعية الجيولوجية وكيفية الاستفادة اقتصادياً والتي تأتي بعدها مرحلة التنقيب والاستخراج ، ولكن مازالت نتائج الدراسات حتى وقتنا الحاضر غير معروفة ٠

تجمعات النحاس ، الرصاص ، الزنك (الكادميوم) ، الفضة :

CU , ph , zn (cd) , Ag Association :

وجد هذا النوع من التمعدن في منطقة مأرب ويتمثل بطبقات من البيريت FES 2 الكالكوبيريت CUFES 2 الاسفلريت ZNs والجالينا Pbs وبينت التحاليل الكيماوية لعينة واحدة فقط على وجود نسب كبيرة من

* نتائج التحاليل في « منكرات عن خرائط توزيع المعادن في ج . ع . ي » د . ح . الشاطوري، م . الارياني

النحاس ، الزنك ، والرصاص والكادميوم*
وقد وجد أيضا ان العينة تحتوي على حوالي ٧٠٠ جرام/طن من الفضة ، أما بالنسبة للنيكل Ne فوجد أن هناك نسبة بسيطة وقد يعكس هذا على أن أصل التمعدن ليس لعمليات Metamorphic Segregution للصخور القاعدية أو فوق القاعدية ولكن ربما يكون نتيجة لهذه العمليات على الصخور الرسوبية - البركانية (Remobilization of volcano - sedinary rocks بالاضافة الى هذا فقد وجد ان العينة تحتوي على حوالي ٠٫٠٣٪ من معدن التيتانيوم Ti ويعكس هذا عدم تدخلات النشاطات البركانية في تكوين Abscence of Volcancity كما أشارت التحاليل الى وجود بعض العناصر التي تعكس الترسبات المائية الحرارية عند درجة حرارة منخفضة مثل المولبدنم (MO) الزيركون (zr) والتنجستن (W) ٠ من كل هذا نجد أن المعلومات عن أصل وكيفية التمعدن في منطقة مأرب ما زالت غامضة جداً٠

D نحاس البيضاء :

عرفت هذه المنطقة منذ حوالي ٣ آلاف سنة حيث كان يستخرج النحاس من عروق الكوارتز (Quartz veins) ، وقد أفاد داهلستروم (١٩٦٨ م) لوجود عدة عروق تحتوي على الكالكوسيت Cu_2S البورنيت $CuSFeS_4$ ، الملاكيت $Cu(CO_3)(OH)_2$ وتتراوح سمك هذه العروق من ١-٠ الى ٥ر١ متر وتمتد الى مئات الامتار الا ان المعلومات التفصيلية عن هذه التمعدنات مازالت غير موجودة ٠

E تمعدنات القصدير : Tin Mineralizaion

يوجد هذا النوع في عروق الكوارتز Quartz veins bearing Cassiterite ويوجد أيضا في الترسبات النهرية Allun'al Deposits من ضمن المعادن الموجودة في الـ placer Deposits والتي تتميز بكثافتها النوعية العالية ٠ وقد وجد القصدير في جبل عبله (قرب مدينة صعده) ٠

٢ - المعادن اللافلزية والصخور الصناعية :
Nonmetallic Mineral Occurrences and Industrial Rocks

A الرخام **: Marble**

تشير الدراسات التي تمت من قبل مصلحة الثروات المعدنية ومن قبل بعض الفرق الاخرى الى وجود الرخام في أربع مناطق هي:
- منطقة وادي مقصب
- منطقة قرية شبان
- منطقة حجه
- منطقة السخنه

رخام وادي مقصب : يقع وادي مقصب على مسافة ٤٠ كم جنوب غرب تعز ويقدر احتياطي الرخام بهذه المنطقة بحوالي ١٠ مليون متر مكعب ، ولقد تم مسح منطقة يغطيها هذا الرخام مساحتها تقدر بحوالي

*** راجع نتائج التحاليل في « مذكرات عن خرائط توزع المعادن في ج ع ي » د ٠ ح ٠ الشاطوري ، م ٠ الارياني**

٥ر١ كم مربع • ويذكر التقرير الناتج عن أعمال بعثة سوفيتية عن وجود ٢٠ مليون متر مكعب •

رخام قرية شبان : تقع منطقة تواجد الرخام على مسافة ١٥ كم شمال غرب مدينة الراهدة وتبعد عن الطريق الرئيسي تعز الراهدة بحوالي ٥ كم، ويقدر الاحتياطي حسب الدراسات السوفييتية بحوالي ٤٥ مليون متر مكعب كما يعتبر هذا الرخام من أجود أنواع الرخام الذي تم اكتشافه حتى الان •

رخام منطقة حجة : توجد ترسبات الرخام بهذه المنطقة في ثلاث مواقع أهمها جبل خراب الابيض الذي يقع على مسافة ٥ر٦ كم جنوب غرب مدينة حجة ، وترسبات رخام سوق الامان • وتقدر كمية الاحتياطي من الرخام بمنطقة جبل خراب الابيض وحده ٨ر١ مليون متر مكعب •

رخام منطقة السخنة : يفيد تقرير البعثة السوفييتية (عام ١٩٦٥ م) عن وجود ٣ر١ مليون متر مكعب من الرخام في هذه المنطقة والذي يمتاز بتركيب كيميائي نقي •

وحتى الان لايوجد أي تقارير تشير الى كيفية ومدى استخدام هذه الانواع من الرخام بشكل اقتصادي ذي مردود قومي •

الجرانيت ، الميكا ، التلك والاسبستوس*
Graphite, Micas, Talc and Asbestos

حسب تقارير البعثة السويدية (١٩٦١) بتواجد الجرافيت قرب مدينة صعدة ولكن حتى الان لا توجد أي دراسات حول كيفية وأصل الجرافيت جديرة بأن تذكر • ويعتقد وجود الجرافيت قرب بني حماد (جنوب شرق تعز) • أما البحث عن مناطق تواجد الميكا فقد أجري بواسطة الفرقة السوفييتية وأكدوا على وجود البايوتيت (Biotite)
الماسكوفيت (Muscovite)
والفيرماكيوليت (Vermiculite)
وخاصة مع البيجماتيت الحاملة للمسكوفيت (Muscovite - beariny pcgmatites) وذلك في شرق البيضاء • ويعتقد وجود الميكا في التربة ، المقاطرة ، الزريقة والصلو • أما بالنسبة للتلك والاسبيستوس فهناك كميات ضخمة في مدينة البيضاء • ونشير هنا الى عدم تواجد أي معلومات حتى وقتنا الحاضر تشير الى الاستفادة من هذه الخامات اقتصاديا •

تمعدنات العصر الجوراسي :

Jurassic Metallogenic Epoch :

يمتاز هذا العصر عن بقية العصور بوجود ترسبات لافلزية فقط (صخور صناعية) ، ويمكن تلخيصها كالاتي :

١ ـ الصخور الجيرية **Carbonate Rocks**

وتشمل الآتي :

---

* **التلك والاسبستوس : معادن من التحول الاتوماتيكي للصخور الفوق قاعدية (الغنية بمعادن المغنسيوم)**
(Autometamorphism of mg — rich rocks)

- صخور الحجر الجيري Limestones
- صخور الدلوميت Dolomites
- الطباشير Chalk

تكون هذه الصخور طبقات سميكة ، ويتضح من الدراسات الجيولوجية الاولية التي قامت بها البعثة السوفييتية خلال الفترة ١٩٦٣ - ١٩٦٤م ان الصخور الجيرية تتواجد في مناطق كثيرة الا ان التركيز كان على المناطق التالية :

- منطقة باجل
- منطقة عمران

منطقة باجل : اتضح من أعمال البحث التفصيلي التي أعقبت الدراسات الاولية ان احتياطي الصخور الصالحة للاستخدام في صناعة الاسمنت يبلغ حوالي ٢٠ مليون طن وفعلا تم اقامة مصنع للاسمنت ينتج حاليا ٥٠٫٠٠٠ طن/سنة بينما تجري حاليا الخطوات التمهيدية نحو زيادة الطاقة الى ٢٥٠٫٠٠٠ طن/سنة .

منطقة عمران : تمت دراسات جيولوجية على الحجر الجيري في هذه المنطقة واتضح من نتائج التحاليل الكيماوية ان نسبة كربونات الكالسيوم تتراوح ما بين ٨٧٫٥ - ٩٦٫٤٪ ومازالت الابحاث تجري لاقامة مصنع اسمنت هناك بطاقة ٢٥٠٫٠٠٠ طن/سنة .

بالاضافة الى هذا فقد وجد الحجر الجيري في صافر (شرق مأرب) ، العدين وحده ويستخدم كمواد للبناء ، وانتاج الجير (Lime) الذي يسمى محليا بالنوره والذي يعتبر مادة أولية في استخلاص نواتج أو مركبات الكالسيوم العديدة .

٢ الجبس والالباستر

Gypsum, gypsiferous and Albaster

يتواجد الجبس في كل من منطقة تعز ، شمال صنعاء ، وحيس حيث يستخدم الاغراس ويصل انتاجه الى بضعة آلاف من الاطنان والتي تستهلك في أغراض البناء ويبلغ اجمالي انتاج الجبس في هذه المناطق بالاضافة الى الجبس المترسب في العصر المايوسين Miocene والموجود في منطقة الصليف ، حوالي ١٥ - ٢٠ ألف طن سنويا بينما يبلغ جملة احتياطي الجبس الصالح للاستخراج حوالي ١٣ مليون طن .*

أما بالنسبة للالباستر فهو يستخرج بكميات اقتصادية امتداداً من الجانب الشرقي لجبل البلق (البيضاء) وحتى الجزء الغربي من مأرب ، ويستخدم بصفة أساسية كنوع من الزينة والنقوش الصنعانية (القمريات ؟) .

٣ - الحجر الصخري والطفل البيتومني

Rock salts and Bituminous shale

يتواجد الحجر الصخري في منطقة صافر (شرق مأرب) ويتميز بالتركيب القببي Diapric وذلك نتيجة للقوى الضاغطة والناشئة من

---

* هذه التقديرات حسب تقارير ١٩٧٣ م ، ويستخدم اساسا في صناعة الاسمنت بباجل

حركـة الحزام المتحـرك في أقصى الشرق (Great mobil belt) ·

وجد ان هذه القباب مغطاة بالجبس ، وال unhydrates والطفل · وهذا التواجد دليل سطحي على تواجدات المواد الهايدروكربونية Hydrocarbons في الاعماق ·

ويعتقد ان الملح الموجـود في منطقـة صافر يستهلك محليا فقط ·

أما بالنسـبة للطفل البيتومني فقد لوحظ وجوده في الحرة (Al - Hurra) التي تقع في بني حشيش (شـمال صنعاء) ، صافر ، وقرب تعـز · ومن الاستخدامات الهامة لهذا النوع من الطفل هي كمادة أولية للحرق ومصدر من مصادر الطاقة اذا كانت نسبة الكيروجين (Kerogene) عالية والذي يعرف بالطفل الزيتي (Oil shale) .

وحتىوقتنا الحاضر ما زال يسـتخدم كمادة حرق فقط في بعض القرى المنتشرة في أماكن تواجده · *

د تمعدنات العصر الكريتاوي والحقب الثلاثـي

Cretaceous and Tertiary Metallogenic Epochs

١ـ المعادن الفلزية

Metallic Mineral Occurrences

ـ طبقات الحديد الرسوبية

Sedimentary Iron Beds

يعتقد وجود نسب كبيرة من الحديد المركزة في صخور الحجر الرملي الذي يعـود الى العصر الكريتاوي ، ومثال على ذلك في هضبـة كوكبـان · الدراسات عن هـذه الترسبات مازالت مجهولة ·

ـ تمعدنات الرصاص والزنك

Lead, Zinc Mineralization

هذا النوع من التمعدن موجود في عروق الكوارتز القاطعة لسلاسلالبراكين اليمنية· ويشـك في وجـود الفضـة المتواجدة مع الرصـاص والـذي يكـون ما يسـمى بالارجنتيفرس جالينا (Argentiferous galina) .

٢ ـ المعادن اللافلزية

Nonmetallic Mineral Occurrencies

ـ الرمل الزجاجي : Glass Sand

اتضـح من الدراسـات الجيولوجيـة الاوليـة التي تقـوم بها المصلحة ان طبقة يقدر سمكها بحوالي ثلاث أمتار من الصخور الرمليـة والتي يرجـع عمرهـا الى العصر الكريتاسي والذي يغطي منطقة واسعة جدا بالقرب من صنعاء بمنطقة سعوان ممتدة غربا حتى وادي ضهر لصناعـة الزجـاج · وحتى الآن لا زالت الدراسات جاريـة على هذه المنطقـة بغرض تحديد مفصل وتقدير

---

* نشير هنا الى تواجد نوع من أنواع الرخام والمختلف تماما عن الموجود في عصر ما قبل الكمبـري . ويعتقد تكوين هذا النوع نتيجة للتحول الذي طرأ على صخور الحجر الجيري (الجوراسيه) بتلامسه مع صخور الجابروا (gabbro) وقد وجد وادي اكوام (W. Akwam) والذي يحتوي على معدن المنيت Ilmenite Fe TiO3 في منطقة التلامس . ولا يوجد هنا ما يسـتحق ذكره من الناحيـة الاقتصـادية

الاحتياطي ، كما يوجد الرمل الزجاجي في منطقة صعدة ومازالت الدراسات أيضا جارية على هذه المنطقة ٠*

ـ العقيق اليمني Yemeni Agate

يستخرج العقيق اليمني الشهير من مناطق عديدة حيث تتواجد صخور الحقب الثلاثي ٠ وبعض هذه المناطق حمام علي ، جبل خيران وبني قشيب (؟) ٠

ـ صخور الانشاء : Construction Rocks

ان المواد الصناعية والانشائية بمعظم أنواعها تتواجد في مختلف مناطق الجمهورية من جراء ما طرأ على الارض اليمنية من تحركات في القشرة الارضية ومن براكين نشطة خلال احقاب جيولوجية مختلفة وترسبات أحقاب أخرى ، كما أدى هذا النشاط الى تأثير على الصخور وأنواعها حيث توجد حاليا صخور مناسبة وجيدة للبناء يستخدمها اليمنيون في عماراتهم يشكلونها بطرق فنية تكون في منظرها بشكل عام طابعا خاصا في فن البناء اليمني يزيد في جماله تلك الاحجار والصخور المستخدمة ذات الالوان المختلفة الناتجة عن هذه البراكين التي يعود تاريخها الى الحقب الثلاثي ٠

ـ المتبخرات (الملح الصخري والجبس) Evaporites (Rock Salt)

يعتبر الملح الصخري الموجود في منطقة الصليف والعائد الى العصر المايوسيني من أهم الرواسب التي درست بنوع من التفصيل ٠

دن نتائج الحفر ٣٣ بئر في منطقة الصليف بعمق ١٢٤ر٣ متر ، تم تقدير احتياطي الملح الى عمق ٥٠ م بحوالي ٧٢ مليون طن والذي ممكن أن يزيد الى حوالي ١١٥ مليون طن اذا تم استخراجه من عمق ٨٠ متر ٠

الكشف الجيوفزيائي على حوض البحر الأحمر دل على تواجد كميات رهيبة من الملح والمتراكم تحت سطح البحر والمنتشرة على الجزء الشرقي للبحر الاحمر مثل قباب الملح المتواجدة في جده وجزيرة فرسان ، حيث يتواجد مع طبقات الطفل ، الجبس ، الحجر الرملي ، والكلس مع بعض نقاط الزيت ٠ بالاضافة الى القباب الملحية التحت سطحية والمذكورة سابقا ، تم استكشاف كتل ملحية يصل قطرها الى حوالي ٨٠٠ متر وذلك في منطقة جيزان والتي تتمثل بتركيب جيولوجي منحرف (Distor led structure) كما دلت الدراسات على ان التراكيب الجيولوجية لقباب الملح الموجودة في منطقتي الصليف وجيزان تختلف

---

* وجود معادن الصوديوم والبوتاسيوم في الرمل الزجاجي يعمل كمنظم حيث يقوم على تخفيض درجة انصهار الزجاج وذلك يساعدوا على تشكيل عينات الزجاج بحسب الطلب . ويعتبر البايركس Pyrex Glass اجود أنواع الزجاج والذي يتميز بتركيب متجانس جدا وعدم احتوائه على اي نوع من الفقاعات أو الشوائب .

تماما عن القباب المنتشرة في مناطق الخليج، بعض مناطق الشرق الاوسط وكذا الموجودة في أمريكا الشمالية وأوربا ، وهذا يعود الى قوى الشد (Tensional Forces) والناتجة من حركة البحر الاحمر والتي بدأت بوضوح منذ العصر الاولجسيني (Oligocene) وحتى وقتنا الحاضر ، كما يعتقد ان الملح المتواجد في الصليف وجيزان يتميز بطيات متدرجة (Drag Folds) والتي ربما نشأت على طول خط الفوالق المحاذية لحوض البحر الأحمر •

ومن الناحية الاقتصادية فقد كان يتم تصدير كميات كبيرة من ملح الصليف الى اليابان وذلك حتى عام ١٩٧٢ على النحو التالي : ★

السنة :	كمية التصدير بالطن
١٩٦٦	١٤٠٫٠٠٠
١٩٦٩	٣٣٫٠٠٠
١٩٧٢	٨٫٥٠٠

بعد زيارة الصليف في ١٤ / ٣ / ١٩٨٠ م تمكنا من الحصول على معلومات تفيد بأن الجمهورية العربية اليمنية بدأت تصدر الملح الى مناطق عديدة أهمها اليابان ، كوريا ، الكويت ، وقد وصل الانتاج السنوي الى نصف مليون طن •

★ وقف التصدير لاسباب غير معروفة .

تمعدنات الحقب الرباعي :

Quaternary Metallogenic Epoch

- حجر الخفاف : (Pumice) :

لقد تم اكتشاف الحمم البركانية المسامية (صخور البيومس) في الجانب الشرقي لجبل اللسي شرقا من ذمار حيث يبلغ سمكها حوالي ٦٠ متر والتي تقع على طبقة من الشظايا البركانية وتقع فوق طبقة الحمم البركانية طبقات سميكة من الرماد البركاني (Volcanic ash) ، وهي ذات لون رمادي فاتح خفاف الشكل ، ومن الناحية الاقتصادية فيمكن استخدام الحمم المذكورة كأحجار خفيفة للبناء وكمادة عازلة للحرارة ويقدر الاحتياطي ، الاولي للحمم بحوالي ٣٠ مليون متر مكعب يمكن استخراجها محجريا •

وما زالت الدراسات قائمة لدراسة وتقدير الاحتياطي من مادة البيومس والزجاج البركاني (Volcanic glass or obsidian) والمنشرة في مناطق كثيرة من البلاد •

- الكبريت : (Sulfur)

يتواجد الكبريت في مناطق الينابيع الحارة وكذلك في بعض المناطق المغطاة ببركانيات الحقب الرابع • وقد وجد الكبريت في جبل اللسي ، حمام علي ، جبل أسبيل J. Espil وكذلك في دمت ، الاحجور وضوران انس ، وقد استغل الاهالي قديما الكبريت في صناعة البارود كما انه يستخدم

محليا العلاج الجمال من بعض الامراض الجلدية ولكن للآن لم يتم استخراج الكبريت اقتصاديا ٠

ـ الرمال السوداء : (Black Sands)

تتواجد مثل هذه الرمال بسهل تهامة وبالرغم من الاهمية الاقتصادية القصوى للرمال السوداء ، لا توجد أي دراسة تشملها بشكل ملحوظ وترجع أهمية الرمال السوداء لتواجد معادن ذي أهمية اقتصادية كبرى مثـل الزيركون (Zircon) ، المونزيت Monazite ، الماجنتيت Magnetite الكستريت Cassirtite ، المنيت(Illmenite) روتيل (Rutile) ، والذهب (Gold) ٠٠٠ ٠٠٠ وغيرها ٠ وتتميز هذه المعادن بكثافة نوعية عالية ومقاومة شديدة تجاه العمليات الخارجية للقشرة الأرضية (مثل التجوية والتعرية)٠

ـ الكاستريت : Sio2 (Cassitrite)

يتواجـد الكاسـتريت في الرواسـب النهرية (Alluviam Deposits) وذلـك في جبل عبلـة (صعـدة) وبيحـان ٠ الا ان المعلومات عن امكانية اسـتخدامه كمادة اقتصادية مازالت غير موجودة ٠

ـ تربة اللاتيريت : (Lateritic Soil)

وهذه التربـة تنشأ نتيجة لعوامـل التعريـة (الكيماويـة والفيزيائية) على بعـض الصخـور وخاصة الغنية بمعـادن الحـديد والالمنيوم ، وتسـتخدم بكميات اقتصادية في مناطق تهامة كمادة أساسية في البناء (الطوب الاحمر) (Red Bricks)

« الاحتمالات البترولية باليمن »

شهدت اليمن نشاطا متفاوتا في مجال التنقيب عن البترول وذلك منـذ أمد بعيد ولكن منـذ عـام ١٩٥٠ م بدأ الاهتـمام بالهيـدروكاربونات في تزايـد مسـتمر ٠ ونلخص في السطور الآتية النشـاطات التي شهدتها بلادنا في هذا المجال :

كان أول من قام برحلة استطلاعية في بعـض أجـزاء اليمـن عام ١٩٥٢ م هو فولفجانج شوت والذي كان مهتما بالسلاسل الجوراسية بالبـدء بأعمال التنقيب عـن البترول حـول القباب الملحيـة في منطقة الصليف (اللحية) ٠ وفي نفس السنة قام ريتون Reyton من شركة باسـيفيك أويل (Pacific Oil Co.) بزيارة الصليف وكتب عن ظواهر نفطيـة بسيطة في بعض آبار المياه هنـاك ٠ في عام ١٩٥٣ م / ١٩٥٤ م قامت فرقة من فنيين كروب Krupp سبقهم أيضا في نفس العام فريكه وايضا كارينبرج (Frieke and Karrenberg) بدراسة الطفل الزيـتي (Oil shale) ضـمن دراسـتهم الجيولوجية وذلك في حوض صنعاء ٠ وفي عام ١٩٥٣ / ١٩٥٦ م أخـذت شركـة ديلمـان

★ وجد ان كميـات كبـيـرة من الـ Laueritic Soil منتشرة على طول طريق صنعاء ـ الحديدة والتي تعود الى الحقب الثلاثي .

Deilmann للنفط امتيازا في منطقة تهامة حول القبب الملحية التي أوصى بها شوت Schott وقد قامت الشركة باجراء مسح جيوفيزيائي شمل المسح المغناطيسي والجاذبي مع دراسات جيولوجية حقلية على الحافة الشرقية لمنطقة الصليف وحول القبب الملحية بالقرب من الساحل . وفي عام ١٩٦١/ ١٩٦٢م حصلت شركة جون ميكوم على امتياز (John Mecom Co.) وقامت بمسح تثاقلي في منطقة الحديدة ثم حفرت خمسة آبار تنقيبية في الصليف ، الحديدة والزيدية ولكن لم يظهر فيها ظواهر بترولية لها أهمية اقتصادية (حسب التقارير المتوفرة) وفي عام ١٩٦٦م قام فريق روماني من المعهد الروماني للهيدروكاربونات بزيارة اليمن

وبرحلة استطلاعية للمناطق البترولية واقترح برنامجا للتنقيب . في عام ١٩٧١/٧٠م أنشأت شركة يمنية جزائرية مشتركة (يوميكو) وقامت بدراسة سيزمية (Seismic survey) على طول تهامة . وفي عام ١٩٧٢ م قامت شركة شل بمسح سيزمي أولي على طول الخط الساحلي وفي عام ١٩٧٤م وبعد أن منحت شركة شل امتيازا نفطيا في الجزء الشمالي من المنطقة المغمورة فقد قامت ببرنامج مسح جيوفيزيائي واسع

لهذه المنطقة من البحر الاحمر ، وفي نفس العام قامت شركة تويومنكا - سانتافي (Toyo Menka-Santafe) بمسح جيوفيزيائي للمنطقة الجنوبية من المنطقة المغمورة . وفي عام ١٩٧٥ عملت بعض الدراسات التفصيلية في المياه الضحلة من منطقة امتياز شل كما قامت تويومنكا - سانتافي بمسح جوي مغناطيسي غطى كل منطقة تهامة . وفي عام ١٩٧٦ م قامت شركة شل بحفر أول بئر تنقيبية الى عمق ٢٤٥٠ متر تقريبا في منطقة امتيازها ولازالت المعلومات المستقاة من هذا البئر تحت التعتيم* .

الوضعية الجيولوجية لمناطق احتمال تواجد البترول :

آ - منطقة الهضاب والجبال العالية :

من الواضح ان الطبقات الترسبية والتكوينات البركانية بشكل عام لها ميلان بسيط (Gentle Slop) ولكن كما يبدو انه على حدود هذه المنطقة ، الشرقية والغربية ، حصل انفصال كتلي بالتصدع وخاصة في المنطقة الغربية على طول منطقة التصدع المحاذية للبحر الاحمر ، ونظرا لانعدام المسح الجيوفيزيائي في هذه المنطقة فانه حتى الان لم تظهر تراكيب ذات أهمية اقتصادية وقد لوحظ احتواء سلاسل عمران على هيدروكاربونات (يحتمل أن تكون هذه الصخور هي المصدر الاساسية للهيدروكاربونات) ، ولكن لسوء الحظ لم يتكون أي غطاء صخري يكفي لحجزها ولذلك فانه من غير المجدي القيام بأعمال تنقيب في هذه المنطقة ، وقد يكون هناك فائدة

---

* معلومات حتى سنة ١٩٧٧ م

اقتصادية لاستخراج الهيدروكاربونات من صخور الطفل الزيتي الجوراسي الاعلى والموجودة حول منطقة صنعاء وأيضا في المنطقة الجنوبية والشرقية ، وقد درست هذه الصخور بنوع من التفصيل من قبل فريكه الذي أفاد بوجود كميات من الطفل الزيتي يقدر بحوالي ٤ مليون طن في منطقة الحرة (شمال صنعاء) ، بينما تقدر الكميات الموجودة في وادي رجام ووادي سعوان بحوالي ٢٥ مليون طن ، ولسوء الحظ فان هذه الصخور قد تأثرت بالبراكين اليمنية مما سبب في طرد الهيدروكاربونات بالحرارة العالية ، ولكن بالرغم من ذلك لم يجزم أحد حتى الان بالغائها نهائيا بل يوصي الجيولوجيون بالاستمرار بالبحث فقد توجد كميات أفضل من هذه الكمية المذكورة سابقا من حيث النوعية ٠

ب ـ المنطقة الغربية (اخدودالبحرالاحمر)

١ ـ السهل الساحلي (تهامه)

حظيت هذه المنطقة من اليمن بالنشاط الاوفر من عمليات البحث والاستكشاف ففيها العديد من القباب الملحية مع صخور ملحية متكشفة في بعضها طفل بيتوموني ومارل ، وقد لوحظ بالقرب من القبة الملحية الكبيرة في الصليف ان ظواهر زيتية تظهر في الابار الغير عميقة التي حفرت هناك ، وتظهر هذه القباب الملحية في المنطقة الشمالية من تهامة فقط وتمتد شمالاوغربا بالقرب من جيزان وعلى جزر فرسان في العربية السعودية والى جزر هلك في أثيوبيا حيث حفرت عدة آبار اخترقت جزءآ سميكآ من المتبخرات (Evaporites) ، في الميوسين وظراهر زيتية مختلفة في الصخور الخازنة وأيضا صخور صلبة من الطفل الزيتي والتي تشكل صخور مصدر جيدة ومن المحتمل ان معظم هذه تعود الى تحفرات الجلو بجرينا (Globigeriana) في الميوسين كما وجدت الظواهر النفطية في أحد الآبار جنوب غرب السعودية في الاليجوسين ولكن لم يتحصل على أي انتاج تجاري من الآبار ٠

أما بالنسبة للحقب الثلاثي الاسفل فانه كما يبدو ان النشاط البركاني الكبير قد أثر تأثيرا سيئا على احتمالات الهجرة النفطية وعلى الترسبات النفطية التي تكون قد تشكلت ، ولكن مع تناقص حدة النشاط البركاني يمكن انها قد تشكلت تجمعات نفطية وحوفظ عليها في سلاسل الثلاثي الاعلى ٠ ان العمر التركيبي (Shrahigraphic) للقبب الملحية في منطقة تهامة لم يعرف الا في عام ١٩٥٥ م حيث تم تقييم عمرها من خلال أعمال شركة ديلمان للنفط واتضح انها ترجع الى الحقب الثلاثي الاصغر (غالبا الميوسين) والطبقات التي تعلوها ترجع الى البليوسين ، وبذلك فان التطابق والهيئة التركيبية في منطقة تهامة هي نفسها الموجودة في المناطق المجاورة في الشمال ٠ أما نتائج الدراسات التي تمت

حتى نهاية عام ١٩٧٦ م فهي مختلفة بعضها متكامل والبعض ناقص ومن نتائج حفر الآبار الخمسة التي حفرتها شركة ميكوم في تهامة ، فقد تبين ان بئر الزيدية قد أظهرت ظواهر نفطية بينما الآبار بالقرب من الساحل لم يصل عمقها الى قاعدة المتبخرات (أي انها لم تخترقها) أما بالنسبة للظواهر النفطية التي ظهرت في الآبار المائية بالقرب من الصليف فمن الارجح ان هذا الزيت جاء من الطفل البيتوميني الواقع فوق الملح وليس بالضرورة أن يكون قد جاء من الطبقات العميقة ما تحت الملح .

٢ - المنطقة المغمورة (offshore Area)

من خلال المعلومات المعروفة يعرف ان شركة البترول البريطانية (B. B.) قامت عام ١٩٥٦ بمسح جيوفيزيائي لجزيرة كمران وبعض الجزر المحيطة الاخرى ، وقد سجل المسح الجاذبي شواذاً قوية تدل على وجود قبة ملحية تحت السطح ، قد زار جيولوجيون من شركة ويلمان للنفط عام ١٩٥٤ م بعض الجزر الواقعة غرب وجنوب غرب اللحية ووجدوا ان هذه الجزر تتركب من ترسبات بحرية حديثة وان بعض الوديان والمنخفضات قدسببتها التصدعات .

وهكذا أصبح واضحا من خلال المسح الجاذبي (٥٥ / ١٩٥٦ م) ان سماكة الترسبات الثلاثية تتزايد بسرعة نحو الغرب وكما هو معروف انه قد تم الحصول على انتاج طيب من النفط في شمال البحر الأحمر من ترسبات الحقب الثلاثي فانه من المحتم أن يظهر في هذا الجزء من البحر الاحمر لاستيفاء كل الشروط الطبيعية من خلال طرق المسح المختلفة . كما قامت شركة تويومينكا - سانتا في المشتركة بمسح جيوفيزيائي للمنطقة المغمورة وذلك في الفترة يوليو / سبتمبر ١٩٧٤ م ، غطت الشركة حوالي ١٣٣٠ كيلو متر طولي مسجلين أعماق المياه والسيزمية والمغناطيسة وأيضا الجاذبية ، وقد وضح هذا المسح ان سماكة الترسبات الثلاثية تقل نحو الجزء الجنوبي من البحر الاحمر .

جـ - المنطقة الشرقية (Eastern Area) :

تختفي الصخور القاعية المتبلورة (Crysalline Basement) في هذه المنطقة في اجزائها الشمالية كما في أجزائها الجنوبية تحت رمال الربع الخالي ، وقد وجد ان الجزء الأوسط من هذه المنطقة (في الجوف) ان سلاسل الجوراسي الاعلى قد حفظت وانها تصدعت جزئيا وهبطت في نوع في نوع الاخاديد على شكل طيه مقعرة (Syncline) ، أما في منطقة صافر وأيضا نحو الجنوب عرف عن وجود تراكيب ملحية كما وجدت طبقات من الحجر الرملي والطفل والجبس ويعتقد انها ترجع الى الحقب الثلاثي ، وهناك صخور طفل زيتي توجد في ثنيات الصخور الملحية ترجع الى العصر الجوراسي وهذا ينطبق على الملح نفسه . كما وجد في ناحية الشرق صخور الحجر الجيري الجوراسية (٢) تقع مباشرة على الصخور القاعية . كما ان هناك معلومات

عن الطفـل البيتوميني وعن الزيت الخام الذي يتسرب من شقوق في الصخور الملحية وصخور الطفل في بعض القبب الملحية ٠

لهذا كله وبالرغم من انتشار الصخور القاعية وأيضا بعض البراكين الحديثـة في بعض الامـاكن ، الا ان صخـور الجوراسي الترسبية قد حفظت وتنتشر على منطقـة واسعة في الجوف والجزء الغربي من صحراء رملة السبعتين Ramlat Sabatin لذلك فان احتمالات كبيرة لوجود ترسبات نفطيـة في هذه المنطقـة لا تستبعد ، وباسـتكمال الدراسـات الجيوفيزيائية يمكن أن تكون هناك فكرة متكاملة عن الامكانات النفطية في بلادنا التي هي في أمس الحاجة لاكتشاف هـذا المصدر الاقتصادي الهـام لتغطيـة احتياجاتها المتزايدة منه كوقـود ولتغطية تكاليف خططها في مجال التنمية ٠

الخاتمـة :

مما سـبق لقد وجـدنا ان الثـروات المعدنيـة تلعب دورا بـارزا في الاقتصـاد القومي للبلاد ، وبما ان جامعة صنعاء تعتبر مركزاً من مراكز الاشعاع العلمي والتي تهيء الكوادر المختلفة للمساهمة في نمو وتطـور البلاد ، لذا نرى ان التلاحم العملي بين فروع الجامعـة المختلفة والمؤسسات الوطنيـة المرتبطة بكل فرع تعتبر مسألة هامـة جدا في رفع الكفاءة العمـلية للفرد من ناحيـة أخرى ٠ وأركز هنا وبالحاح ان لا بد أن يكون هناك علاقة فعليـة بين قسم الجيولوجيا بالجامعة والذي يعاني من بعض النواقص الملموسة والتي يمكن أن تساهم في تذليلها الهيئات والمؤسسات المتخصصـة بعلـوم الجيولوجيا (مثل مصلحة الثروات المعدنية والبترولية ، ووزارة الاشغال قسم الميـاه والمساحة) وبالعكس ٠

ومن هنا نأمـل من مسئولي الاطراف المعنيـة العمـل جاهدين علـى ايجاد هـذا التلاحم ، وبدوري ألمح انه يمكن تحقيق هذا من خلال الآتي :

١ ـ اقامة الندوات والمحاضرات من كلا الجوانب المعنية ويشترك فيها الطـلاب ، والتي يمـكن أن يتم من خـلالها أبراز أهم نشاطات البحـث الجاري وكذلك تعريـف الطلبـة عن أهميـة عـلوم الجيولوجيا وتطبيقاتها المختلفة عمليا ٠

٢ ـ اقامة الندوات الدورية بين أعضاء هيئة التدريس بالقسم مع نظائرهم خارج الجامعـة والتي يتم من خـلالها معالجـة القضايا المتعلقـة بعلـوم الجيولوجيا هذا بالاسـتفادة مـن تبـادل الخبـرات والاستشارات فيما بينهم ٠

٣ ـ تقـوم المؤسسـات والهيئـات المتخصصة في مجـال الجيولوجيا بتزويـد القسم بالتقارير والنشرات القديمـة منها والجديدة والممكنـة (المتعلقـة بجيولوجية الوطـن العربي عامـة وجيولوجية اليمـن

خاصة) ، حتى يتمكن الطالب وعضو هيئة التدريس أيضا من متابعة حقائق الامور بشكل جيد ٠ ★

٤ ـ يتطلب من المرافق الوطنية المتخصصة بالجيولوجيا تجميع فروعه بدعوة طلبة القسم وخاصة السنوات الاخيرة للمشاركة برحلاتهم الاستطلاعية والقصيرة والتي بدورها تساعد على انشاء طلاب متمكنين نظريا وعمليا وذلك من خلال ربط معلوماته النظرية المستقاة من المحاضرات في القسم بالواقع العملي في البيئة اليمنية ، حيث وان اليمن تتميز ببيئة جيولوجية خلابة ٠

٥ ـ اقامة المعارض السنوية بتعاون جميع الاطراف ٠

٦ ـ المساهمة بوجود عمل (أو تدريب حقلي) للطلاب الراغبين في القسم وذلك خلال العطلات الصيفية ٠

٧ ـ ايجاد الجو الاجتماعي بين اسرة قسم الجيولوجيا مع زملائهم في الخارج وذلك من خلال انشاء جمعية جيولوجية تمثل كل الجهات المختصة بعلوم الجيولوجيا والتي بدورها ممكن أن تلعب دورا بارزا في تحقيق جميع النقاط السابقة ٠

أخيرا أن تأخذ هذه الفكرة بعين الاعتبار حتى نتمكن جميعا من المساهمة في ايجاد جيل عملي مساعد في نمو وتطور بلادنا وبشكل مدروس ٠

★ اشير هنا الى ان امكانيات وظروف هذه المؤسسات للحصول على مثل هذه التقارير والنشرات من الخارج ايسر منها في القسم .

العرب والقبائل العربية في سورية قبل الإسلام

أحمد غسان سبانو

المقدمـة

أولا :

يمتد عالمنا العربي من المحيط الاطلسي غربا الـى الخليج العربي شـرقا ، ومـن طوروس شمالا الى المحيط الهندي وأواسط افريقيا جنوبا ٠

هذه الرقعة الكبرى من العالم تشـكل وحدة قديمة ازلية يقطنها شعب واحـد احتفظ باستمراريته الحضارية منذ نشـأ الانسان على سطح كوكبنا والى الان ٠

هذا العالم العريق في الحضارة كان مهدا للسامية (اذا اتبعنا هذا التقسيم) ، وكان أيضا مهدا للعروبة التي هي من سلالـة السامية ٠

وقبل أن نخوض في غمار بحثنا المتعلـق بتوزع القبائل العربية في سوريا قبل الفتح الاسلامي ، لابد لنا من ايراد فكرة عن الهجرات السامية التي وجدت قبل أن تعرف كلمة (عرب) و (عربي) ٠

فالسامي كلمة تطلق على أحفاد سام ابن نوح في الترتيب الذي أوجدته التوراة لابناء نوح وسام وحام ويافث ٠

ان هذه التسمية التي أوجدها اليهود لتخدم أغراضهم في بتر أصلنا المشترك كعرب وأبناءبلد واحد ٠ ولتخدم اليهـود وتفصم عرى استراتيجيتنا الحضارية ٠

ومهما كانت التسمية فان المهم في الامر الواقع بغض النظر عن التسمية ، فنحن أبناء شعب واحـد نشأ في داخـل عالمنـا (العربي) ونحن مزيج من بطونه وقبائله

وانسابه ، وتراثنا واحد مهما أطلق عليه اليهود ومن تابعهم من المستشرقين أصحاب الاغراض الخاصة ٠

لذلك لايهمنا في بحثنا تعريف السامية او منشأها أو تعداد الشعوب والحضارات التي قامت منتسبة اليها ، لايهمنا أساس موقعها ومنبتها،ففي ذلك يتنافس العلماء من حياديين ومغرضين ٠ الا ان من الثابت ان أساس شعبنا هو شبه الجزيرة العربية بمعناها الواسع من اليمن جنوبا وحتى الهلال الخصيب شمالا ٠

ومن هذه المنطقة انطلق أجدادنا الاوائل نحو مختلف بقاع عالمنا العربي مشكلين وحدة متماسكة حينا ، متفرقة أحيانا الا أن سماتها مشتركة وأصلها واحد ٠

ثانيا :

أسباب الهجرة ودواعيها :

ان تشكل عالمنا العربي كان بسبب الهجرة ،وانفهم أسباب الهجرةواتجاهاتها يفسر لنا كيفية نشوء عالمنا العربيويفسر تحديد جغرافيته وحدوده ٠

فأساس ومنشأ عالمنا العربي صحارى شبه الجزيرة العربية ذاك البحر من الرمال الذي يقع ضمن بحار من المياه وبينالبحرين تقع مواطن الاستقرار٠

فكما ان مسافر البحر يتحدث دوما عن اليابسة فان مسافر الصحراء يبحث دائما عن الواحة والخصب ٠ فالاول نجاتهباليابسة والاخر نجاته وحياته واستقراره في المنطقة الخصبة حيث الماء والخضرة ٠

وأسباب الهجرةودواعيهاماتزال بنفس الصورة التي كانت عليها منذ آلاف السنين٠ أقوام بدوية تعيش مرتحلة في الصحارى ، تسكن الخيام ، لاتلبث أنتعاف هذه الحياة لقلة الماء وشظف العيش ٠ فتبحث عنشظ السلامة وهي نقاط الماء والخضرة حيث نبدأ أولا في السكن المؤقتة بخيامها ودوابها ثم تتحول تدريجيا الى اقامة دائمة وتحضر فتقيم المدن التي تتسع مع الايام وبازدياد اعداد البدوالمتحضرةوالوافدين لتلك المنطقة لاتلبث أن تشكل دولة ٠

وان قيام الدول في منطقتنا يؤكد صحة مانقوله، فالمدن التي شكلتدولا في تاريخنا انما تقع على ضفاف الصحراء سواء في الجنوب أو في الشمال ، في الشرق أو في الغرب ٠ وفي نطاق بحثنا (سورية) فان أشهر المدن التيتقع علىحدود بادية الشام هي بطرة (البتراء) وبيت المقدس، ودمشق وحمص ، وانطاكية ، وتدمر ، وبابل ، والحيرة(١) ٠

ثم نتيجة ازدياد سكان هذه الدول عن طريق الهجرات الجديدة وبتأثير البدو المتحضرين الوافدين الى الغرب ٠

وهذا ما أطلق عليه بعض المستشرقين اسم (نداء المتوسط) ٠

ثالثا : فكرة عن الهجرات القديمة في بلاد العرب :

سكن الانسان شبه الجزيرة العربية منذ أوائل فترة ظهور الانسان على سطح الارض وسبب ذلك هو مناخ منطقتنا الموافق للسكن بالمقارنة مع المناطق الاخرى كأوروبا وباقي المناطق في العالم .

وبما ان الهجرة من الصحراء العربية (شبه الجزيرة العربية) كانت مستمرة شمالا لسوريا والعراق وجنوبا لليمن وغربا لمصر منذ التاريخ السحيق في القدم الا ان الوثائق والآثار المكتوبة أو المبنية تدل على ان الهجرات الكبرى التي تمت للشمال كانت كما يلي وقد سميت تلك الهجرات بالموجات:

١ - الموجة الاولى :

وتمت الى العراق حوالي سنة ٣٦٠٠ ق.م وبحسب العلامة (سايس) الانكليزي ،فقد كانت قبيلة سميت باسم زعيمها ، وهي قبيلة كلده ، التي كانت مؤسسة الدولة الكلدانية(٢) . كما وانه تمت في نفس الوقت هجرة مماثلة الى مصر .

ويشير الدكتور أسد الأشقر الى انه ليس من قبيل المصادفة ان تقوم موجتان من شبه الجزيرة العربية احداها الى مصر والاخرى الى العراق وسوريا(٣) .

٢ - الموجة الثانية :

هي الموجة العمورية ، وقد تمت حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م.

« وقد توزعت في جنوب وادي الرافدين وأواسطه أي في المنطقة السومرية - الاكادية وفي شمال غربي الهلال الخصيب كما اندفعت أجزاء منها واستوطنت المرتفعات المشرفة على فلسطين . وكان من بين العناصر التي تألفت منها هذه الموجة الجديدة الكنعانيون وقد حلوا غربي الشام وفلسطين بعد ٢٥٠٠ ق.م ، والساحليون الذين سماهم الأغارقة الفينيقيين »(٤) .

وقد ذكر هيرودت (٤٥٠ ق.م)ان أصلهم عرب اذ قال « والفينيقيون كانوا يسكنون سابقا سواحل بحر اريتريا (البحر الاحمر) كما يقولون هم أنفسهم لكنهم اجتازوا من هناك الى سواحل سورية وقطنوها »(٥) .

ويذكر في الزهراء نصوص أخرى تؤكد ذلك اضافة لوحدة الاله (عشتيروت) وأسماء المدن الموجودة في سواحل البحرين وسواحل الشام مثل أرواد وصور(٦) .

٣ - الموجة الثالثة :

الآراميون حوالي ١٦٠٠ - ١٤٠٠ ق.م . وقد اندفعت نحو مصر والعراق والى مناطق سوريا المجوفة(٧) .

٤ - المجموعة الرابعة :

الهجرات الاسماعيلية سنة ٦٠٠ ق.م . وفيها هاجر من مناطق مكة اثر القحط الذي أصابها هاجر العمالقة نحو اليمن كما هاجر بعض أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام ، نحو الشمال وهم (بنويطور)

وسكنوا في الديار الشامية (مملكة يطور المذكورة في التوراة جنوبي دمشق اقليم الجادور) وبنو نابت (في التوراة بنايوت) سكنوا خليج ايلة (العقبة) وبنو نايت هؤلاء هم النبط أوالانباط (المستنبط من نابت)(٨)

٥ ـ الموجة الخامسة :

والتي هي موضوع بحثنا الذي سندرسه تفصيلا ٠

٦ ـ الموجة الاخيرة :

وهي الموجة العربية الاسلامية الكبرى والتي مانزال (ببعض المعاني) نعيشها ٠

رابعا : العرب وأصلهم وأصل تسميتهم:

وبما ان بحثنا يتعلق بالقبائل العربية التي سكنت الشام قبيل الاسلام فانه من الواجب علينا أن نتحدث بلمحة قصيرة عن العرب وأصلهم وأصل تسميتهم ٠

ـ فالعرب (كلفظة) « هي بمعنى التبدي والاعرابية في كل اللغات السامية ، ولم تكن تفهم الا بهذا المعنى في أقدم النصوص التاريخية التي وصلت الينا وهي النصوص الاشورية(٩) ٠ وقد عنيت بها البدو عامة ، مهما كان سيدهم أو رئيسهم وبهذا المعنى استعملت عند غيرهم(١٠) ، ولما توسعت مدارك الاعاجم وزاد اتصالهم واحتكاكهم بالعرب وبجزيرة العرب ، توسعوا في استعمال اللفظة ، حتى صارت تشمل أكثر العرب على اعتبار انهم أهل بادية وان حياتهم حياة أعراب ،ومن هنا غلبت عليهم وعلى بلادهم فصارت علمية عند أولئك الاعاجم على بلاد العرب وعلى سكانها وأطلق لذلك كتبة اللاتين واليونان(١١) على بلاد العرب لفظ (Arabia) أي (العربية) بمعنى « بلاد العرب »(١٢) ٠

أما النظرية العربية من أن أصل العرب يعود الى يعرب فانها تمثل وجهة نظر القحطانيين لاثبات عروبتهم وتفوقهم على العدنانيين ولكن لايوجد ما يثبت نظريتهم من الشواهد الاثرية أوالوثائق الكتابية(١٣)٠

والنص الوحيد الذي أعطى كلمة عرب على العرب جميعا من بدو وحضر هو القرآن الكريم ومن استقراء ما وردت فيه هذه الكلمة يتبين وجود حس قومي وتخصيص لغوي سابق للقرآن الكريم(١٤) ٠

ولقد درج علماء العربية على تقسيم العرب الى عرب بائدة ومنهم عاد وثمود ومعظمهم العرب البائدة التي سكنت في الشمال بالنسبة لشبه الجزيرة العربية ثم العرب الباقية ، ولهم دوران الاول : سادت فيه قبائل الجنوب من القحطانيين ، والدور الثاني ، وفيه عاد النفوذ لقبائل الشمال من العدنانيين وينتهي دورهم بالاسلام ٠

خامسا : الهجرات العربية الى سورية :

تعود الهجرات العربية كما قدمنا الى الموجة الرابعة حوالي سنة ٦٠٠ ق٠م وهي تعتبر من العرب البائدة وأهم الدول التي أسسوها دولتان الاولى النبط التي ذكرناها

والثانية التدمريون الذين أقاموا في تدمر وكلا الدولتين استخدم اللغة الآرامية في مكاتباتها الرسمية وحضارتيهما وماتزال اثارهما حتى الآن في بطرا والكرك وتدمر ٠

الا انه لابد من ذكر دولة قضاعة التي تعود لهذه الفترة وهي محدودة بالزمن والمساحة وثابتة النسب للعروبة ، وكانت في منطقة جنوب دمشق واليها ينسب آل تنوخ وآل سليح ٠

أما في الموجة الخامسة وهي عربية (بالمعنى الذي حددنا فيه كلمة عرب) فانها قد تمت بعد حضارتي النبط (الانباط والتدمريين ٠ وهما الغساسنة في سورية والمناذرة في العراق وهما آخر دول العرب قبل الاسلام في شمال شبه الجزيرة العربية(١٥)

والغساسنة من القحطانيين ، وينتهي نسبهم الى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهم أبناء عمرو بن عامر (مزيقيا) الملقب (بماء السماء) الذين جاؤوا الى الشام اثر تهدم سد مأرب في القرن الاول للميلاد بينما جاء اللخميون ملوك الحيرة العراق (المناذرة)(١٦) ٠

وقد زعم الاخباريون ان اسم غسان انما جاء من ماء يقال له غسان ببلاد (عك) بزبيد وربيع نزل عليه آل غسان وأصلهم من الازد ، ولما أقاموا عليه وشربوا منه فسمّوا (غسان) وعرف نسلهم بالغساسنة وبـ (آل غسان)(١٧) ٠

سادسا : القبائل العربية قبل الفتح الاسلامي :

قلنا بأن العرب قسمان بائدة (منهم عاد وثمود والانباط والتدمريون) وعرب عاربة وهم في الجنوب القحطانيون (ومنهم كهلان وحمير ومن طيء وهمدان ومذحج ثم عاملة وجزام ثم الازد ٠ ومن حمير قضاعة وتنوخ وكلب (وجهية وعذرة) ٠ أما في الشمال فهم العدنانيون وأهم اقسامهم ربيعة التي منها أسد ووائل التي منها بكر وتغلب ٠ أما مضر فمنها كنانة وهزيل وتميم وقيس عيلان ومن قيس هوازن وسليح وغطفان التي منها عبس وذبيان(١٨) ٠

أما في سورية فمن هذه القبائل عاملة وجذام ، سكنوا بادية الشام والازد في حوران ، وكلهم من كهلان من قحطان ، أما من حمير فقد سكنت الشام ، تنوخ في الشمال وكلب في بادية الشام ٠

أما من العدنانيين فقد سكنت في الجزيرة السورية تغلب من ربيعة واياد وتنوخ ونمر بن قاسط ، وسكن أيضا في حلب السلميون من طيء ٠

أما في بلاد الشام فقد سكنت غسان وتنوخ ولخم وجذام وعاملة وبطون من قضاعة منهم سليح وكلب وبهراء ومن سليح الضجاغم ومنها آل جفنة ٠

وقد كانت القبائل العربية في سورية تقسم الى قسمين ، عرب الضاحية وعرب

الجزيرة ويقول فيهم الاستاذ صلاح الدين المنجد « وهذه القبائل النازحة الى الشام كانت تسمى (عرب الضاحية) وكانت الروم تستفزهم قبيل الفتح على (عرب الجزيرة) وتذكر المصادر من عرب الضاحية بهراء وسليح وكلب وتنوخ ولخم وجذام وغسان وقضاعة من نزيد بن حيدان ونذكر الى جانب هؤلاء تغلب بن ربيعة التي نزلت بأرض الجزيرة وهي ديار ربيعة ومضر ونزل السلميون من طيء بحاضر قنسرين من أعمال حلب وبقوا فيها ٠

وينقل الاستاذ المنجد(١٩) أيضا عن مخطوطة بالظاهرية باسم « نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية » مايلي:

« وأما الذين خرجوا الى الشام في وقت الجاهلية منهم كلب وسليح وتنوخ ومسحجة والقين وبهراء وعذرة وجرم وجهينة ويلي أيضا وهم من قضاعة من ذرية حمير ٠

وأما لخم وجذام وغسان وازد فهم من ذرية كهلان ٠ وخرج طوائف كثيرة من اليمن من آل ذي الكلاع الحميري وآل ذي صبح وآل ذي رعين وآل ذي ظليم وحضرموت وآل ذي الشعبين وكندة والسكاسك والسكون ومذحج وهمدان وبجيلة وطوائف الازد من غسان وبارق وغيرهم ٠

فهؤلاء الذين افتتحوا الشام وصارت اقامتهم فيه الى الآن(٢٠) ٠

ويقول الهمداني : « مساكن من تشاءم (أي هاجر للشام) من العرب : أما مساكن لخم فهي متفرقة وأكثرها بين الرملة ومصر في الجفار ومنها في الجولان ومنها في حوران والبثينة ومدينة نوى وبها خلف بن جبلة القصيري وابن عزيز اللخمي مسكنة طرف جبال الشرة ٠ وأما جزام فهي بين مدين الى تبوك فالى ازرع ومنها فخذ ما يلي طبريا من أرض الاردن الى اللجون واليامون الى ناحية عكا٠ وأما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبريا الى نحو البحر وأما ذبيان فهي من حد البياض بياض قرقرة وهو غائط بين تيماء وحوران لايخالطهم الا طيء وحاضرهم السواد ومروو الحيانان ٠ وأما كلب فمساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة أحد ومن كلب بأرض الغوطة عامر بن الحصين ابن عليم وابن رباب المعقلي ٠ وأما حسمي فبني فزارة وجذام وهي من حدود جذام وبحسمي بئر ارم من منهل العرب المعروفة وقراقر بين كلب وذبيان وهو منهل وعراعير، وكان يوم قراقر وعراعر بين كلب وعبس ومن ديار غطفان يثقب وبيثقب روضة الأجداد » (٢١) ٠

ويستنبط من النصوص التي أوردناها ومن النصوص التي أوردها الاستاذ محمد كرد علي في خطط الشام (ج١ / ص ٢٥ ومابعدها) والاستاذ مصطفى مراد الدباغ في « بلادنا فلسطين » وفي القبائل العربية في فلسطين ٠ ان أهم القبائل العربية في سورية وتوزعها يكون على الشكل التالي

حسب الاحرف الابجدية :

- الازد : من كهلان من قحطان ، ومنهم الغساسنة .

- اياد : من تغلب من ربيعة ، وسكنوا في الجزيرة وفي حوران قرب حمص .

- بهراء : من قضاعة ، سكنوا في الجنوب السوري في حوران وشرقي الاردن وطولكرم والعقبة .

- تغلب : من ربيعة ،وسكنوا فيالجزيرة السورية ومنهم اياد .

- تنوخ : من حمير ، وسكنوا في الجزيرة السورية .

- جذام : من اليمن من قحطان ،سكنوا في طبرياو الى عكا .

- حسمى : وسكنت بين قبائل فزارة ومرام .

- ذبيان : من غطفان، سكنت في حوران والجنوب السوري .

- السلميون : من طيء ، وسكنوا في حلب .

- سليح : من قضاعة اليمن ، وسكنت في فلسطين والجنوب السوري .

- بنو حنية : وهم عدنانيون من قبائل طانجة ، سكنوا في جبل الشيخ ووادي التيم وأحفادهم قتلوا المتنبي .

- طيء : من القحطانيين من كهلان .

وقد خالطوا ذبيان في سكناهم .

- عاملة : من قحطان من كهلان وقد سكنوا جبل عامل (المنسوب اليهم)وأشرفوا على طبريا وحتى البحر .

- بنو عذرة : من قضاعة وسكنوا في وادي القرى وتبوك وفي أفاميا .

- غطفان : من قيس ومنها عبس وذبيان ، وقد سكنوا في النقب .

- قيس : من مضر ، سكنوا في الشمال الغربي من سوريا وخاصة في جبلة .

- القينبنجسر : من قضاعةالقحطانية سكنوا أطراف الشام بين حوران وتيماء .

- كلب : من قضاعة ، وسكنوا في جنوب الشام .

- كندة : منكهلان ، وسكنوا شيزر وطرطوس .

- لخم : من القحطانيين من كهلان ، سكنوا مصر والجولان .

- المر بن قاسط : من تغلب منربيعة ، وسكنوا في الجزيرة .

- همدان : من قحطان من كهلان ، وسكنوا في جبلة .

- يحصب : من قحطان من كهلان ، وسكنوا في اللاذقية .

سابعا : تأثير هذه القبائل في استقرار الفتح الاسلامي :

رأينا من خلال البحث ان العرب كانـوا متوزعين في سوريا (على أكبر معانيها) توزعا كبيرا ومتسعا يكاد يطغى علىالبلاد بأكملها وقد كانت اللغة العربية معروفة ومتداولة قبل الفتح الاسلامي ومن خـلال دراساتي في تاريخ صدر الاسلام لم أعثـر على أي نص يفيد بأن هناك ترجمان قـد نقل من العربية الى أهل سورية (ماخـلا الروم منهم) بينما هناك نصوص كثيرة تدل على وجود تراجمة ونقله من السريانية (مثلا) الى العربية أو سواها الا أن علـى مايبدو ان العربية كانت مفهومة هناك (٢٢)٠

وقد قال محمد رضا في كتابه « الفاروق عمر بن الخطاب » ص ٩١ : « وكانت اللغة العربية يتكلم بها قبـل الفتح الاسلامي بزمن طويل لما ثبت من انتشار الغسانيين والتنوخيين والسبأيين عدا اللغات السامية واللاتينية واليونانية ٠ ولم تلبث اللغـة العربية سبعين عاما للفتح الاسلامي حتى انتشرت في الشام » ٠

ومع ان هذا القول لميدعمه قائلـــه بالوثائق ، الا انه من المعقول تصديقه ٠ وقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب رضـي الله عنه ، وعماله وقواده العسكريين أهمية القبائل العربية في الشام في تثبيت الفتح العربي الاسلامي ، لذلك اتخذ موقفا نحوها لجذبها للاسلام أو ابقائها في البلاد ولـو عنـوة ٠

فهذا أبو عبيدة الذي وجه أحد قواده وهو ميسرة بن مرة بن العبسي الى درب بغراس (مدينة قرب انطاكية) فلقيجمعا من الروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ يريدون اللحاق بهرقلفأوقع بهم وقتلمنهم مقتلة عظيمة (٢٣) ٠

ويقول الطبري : « وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم الا اياد ابن نزار فانهم ارتحلوا بكليتهم فاقتحموا أرض الروم فكتب بذلك الوليد الى عمر بـن الخطاب (٢٤) ٠

ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب الى ملك الروم : انه بلغني ان حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجنهأولننبذنالىالنصارىثم لنخرجنهم اليك فاخرجهم ملك الروم (٢٥) ٠

كذلك نرى عمر رضي الله عنه يتساهل مع بعض القبائل العربيـة في الجزيـرة (السورية) « وهم من تغلب فأرادوااللحاق ببلاد الروم وامتنعوا عنأداء الجزية انفـة أن يكونوا بمثابة الاعاجم والاعلاج ،فاجابهم عمر الى ماطلبوا ضنا بهذه القبيلةالعربية الا تجلوا عن بلاد العرب » (٢٦) ٠

كذلك نجد أن عمر رضي الله عنه فـي صلح بيت المقدس ، قد اشـتـرط اخـراج

الروم منها بينما لما جاءه جبلة بن الايهم راس بني غسان وكان هذا أسلم ثم ارتد وقاتل المسلمين مع الروم فقال له : تأخذ مني الصدقة كما تصنع العرب قال بل الجزية والا فالحق بمن هو على دينك ، فخرج في ثلاثين ألفا من قومه حتى الحق بأرض الروم » ٠

وندم عمر على ماكان منه في أمره (٢٧)٠

ثامنا : الخاتمة :

قدر الاستاذ مصطفى مراد الدباغ عدد العرب في سوريا عند الفتح الاسلامي ، وهم أبناء القبائل التي ذكرناها بربع مليون شخص ٠

وهذا ما يفسر قول رينه ديسو في كتابه « العرب في سورية قبل الاسلام » (ص ٢) اذا كان الفتح الاسلامي الذي وقع في القرن السابع الميلادي ، يبدو لي لو كان حادثا شاذا في اتساعه فهو في الحقيقة يعد حركة طبيعية للسكان العرب الذين كانوا يتجهون دائما استثنائيا الى غزو الاقاليم الحضرية فحسب بل الى الاقامة فيها أيضا ٠

ويتابع ويجب الا يفهم من كلمة عرب سكان الجزيرة العربية فحسب ولكنها تتناول أيضا البدو الذين يجوبون وسط الجزيرة العربية وشمالها وكل بادية الشام ٠

مصادر البحث

١ ـ العرب في سوريا قبل الاسلام ٠ رينه ديسو ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ٠ طبع مصر عام ١٩٥٩ ٠

٢ ـ أمراء غسان ٠ ثيودور نولدكة ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق ٠ طبعة بيروت ١٩٣٣ ٠

٣ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د٠ جواد علي ٠ طبعة بيروت ٠

٤ ـ العرب في الشام قبل الاسلام ٠ محمد أحمد باشميل ٠ دار الفكر ـ بيروت ٠

٥ ـ النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية ٠ لويس شيخو ٠ طبعة بيروت ١٩١٢ ٠

٦ ـ القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ٠ مصطفى مراد الدباغ ٠ طبعة بيروت ٠

٧ ـ العصبية القبلية ٠ د٠ احسان النص ٠ دار الفكر بيروت ٠

٨ ـ العرب تاريخ موجز ٠ فيليب حتى دار العلم للملايين ٠

٩ ـ العرب في حضارتهم وثقافتهم ٠ عمر فروخ ٠ دار العلم ٠

١٠ ـ بلادنا فلسطين ٠ مصطفى مراد الدباغ ٠ ج١ /قسم١ / طبعة بيروت ٠

١١ – تاريخ الطبري للطبـري طبعة دار المعارف بمصر ٠

١٢ – تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٠ فيليب حتى ٠ (ترجمة) ٠ طبعة بيروت ٠

١٣ – تاريخ هيرودوت ٠ ترجمة حبيب سترس طبعة بيروت ١٨٨٦ –١٨٨٧ ٠

١٤ – تاريخ العرب والاسلام في الجاهلية وصدر الاسلام ٠ د٠ نبيه العاقل ٠ دار الفكر

١٥ – تاريخ سوريا ج ١ – قسم ١ – أسد الاشقر ٠

١٦ – جمهرة أنساب العرب ٠ ابن حزم الاندلسي ٠ تحقيق عبد السلام هارون ٠ دار المعارف بمصـر ٠

١٧ – حضارة العرب ومراحل تطورها عبـر العصور أحمد سوسة ٠ طبعة بغداد ٠

١٨ – حضارة العرب ٠ أسعد داغر ٠ طبعة مصر ١٩١٩ ٠

١٩ – صفة جزيرة العرب ٠ للهمداني ٠ تحقيق القاضي محمد علي الاكوع الحوالي طبعة بيروت ٠

٢٠ – روما والشرق ٠ سليم عادل عبـد الحق ٠ الطبعة الهاشمية ١٩٥٩ ٠

٢١ – دراسات في تاريخ العرب عصر ماقبل الاسلام ٠ د٠ السيد عبد العزيز سالم دار المعارف ٠

٢٢ – خطط الشام ج ١ ٠ محمد كرد علي دار العلم للملايين ٠

٢٣ – معجم قبائل العرب ٠ عمر رضـا كحالة مؤسسة الرسالة ٠

المقالات والابحـــاث

١ – الزهراء : اتجاه الموجات البشرية في جزيرة ١٣٤٤ ، ص ٣٢٣ وما بعدها ٠

٢ – منازل القبائل العربية حول دمشق صلاح الدين المنجـد ٠

---

(١) العرب في سورية قبل الاسلام . ص٢ .

(٢) راجع « الزهراء » / ص ٣٢٥ .

(٣) راجـع اسـد اشـقر (تاريخ سـورية) ج ١ / قسم ١ / ص ٨١ .

(٤) أسد الاشقر / ص٨١ .

(٥) هيرودوت / ص ٤٦٧ .

(٦) « الزهراء » / ص ٣٢٦ .

(٧) انظر « الزهراء » / ص ٣٢٩ / وأسـد أشقر / ص ٨١ .

(٨) « الزهراء » / ص ٣٢٤ وما بعدها .

(٩) وردت في نص آشوري يعود لايام الملك (شلمنصر الثالث) عام ٨٥٤ هكذا ... أجمل الجنوب العربية) . انظر جواد علي / ج ١ / ص ١٦ . « والعـرب تاريخ موجـز » / حتي / ص ٢٧ .

(١٠) وردت في الكتابات البابليـة جملة ماتورابي أي « أرض العرب » وفي عهد دارا الكبير (أربيا) وتعني البادية في غرب نهر الفرات والى تخوم بلاد الشام انظر جواد علي / ج ١ / ص ١٧ و ١٨ .

(١١) وردت لدى هيرودوت عـام ٤٥٠ ق.م « وفرسـان

العرب كانوا لابسين ومسلحين كمشاتهم ايضا ولكن كان معهم كلهم جمال لا تكون سرعتها اقل من سرعة الخيل » انظر هيرودوت / ص ٤٦٧ .

(١٢) جواد علي / ج ١ / ص ٢٧ — ٢٨ .

(١٣) انظر جواد علي / ج ١ / ص ١٤ — ١٥ .

(١٤) انظر جواد علي / ج ١ / ص ٢٤ — ٢٥ .

(١٥) راجع « حضارة العرب » / أسعد داغر / ص ١٠ وما بعدها .

(١٦) راجع « العرب في الشام قبل الاسلام » ، / محمد أحمد باستيل / ص ١٧٥ وما بعد .

(١٧) انظر جواد علي / ج ٢ / ص ٢٨٧ . وانظر ايضا « الزهراء » / ص ٢٣٦ وما بعدها .

(١٨) انظر الشكل رقم (٢) .

(١٩) « منازل القبائل العربية حول دمشق » . صلاح الدين النجد ص ٦٤ .

(٢٠) المنجد ص ٦٣ .

(٢١) « صفة جزيرة العرب » للهمداني / ص ٢٧١ وما بعدها .

(٢٢) هناك بعض الاراء تقول بان العربية (سان قريش) هي أساس اللهجات العربية الاخرى وهي بمثابة الفصحى للهجات العربالعامية الحالية .

(٢٣) انظر محمد رضا / ص ٢١٥

(٢٤) طبري / ج ٤ / ص ٥٤ وفي هذا النص نرى ان العرب في سورية ساعدوا العرب المسلمين ضد الروم .

(٢٥) طبري / ج ٢ / ص ٥٥ .

(٢٦) احسان « العصبية القبلية وأثرها في الشعر الاموي » ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٢٧) خطط الشام / ج ١ / ص ٨٥ .



مُناقشات
حول ابن ماجد

علي التاجر

نص المحاضرة

تقول الحكاية ان ملاحنا الكبير أحمد بن ماجد متهم بتهمة خطيرة فظيعة ، ترقى الى مستوى الخيانة العظمى ، والعياذ بالله . متهم بأنه هو الذي قاد سفن فاسكو دي جاما من السواحل الافريقية الشرقية الى السواحل الهندية الغربية ، فجلب بذلك الدمار والاستعمار ، لا على قومه وبلاده فحسب ، بل وعلى الشرق بأجمعه . واذا ثبتت هذه التهمة ضده ، فلا يبرىء ساحته أو يشفع له « أن الغايات الاستعمارية لم تتضح لأي كان في ذلك الوقت » . فالقتل قتل ، حتى ولو جاء نتيجة لخطأ غير مقصود . ومع ذلك فما كان في تصرفات البرتغاليين الشاذة منذ وصولهم الى تلك السواحل ، والارهاب الارعن الذي مارسوه ضد كل من صادفوه في طريقهم ، ثم في اجماع المواطنين على رفض التعاون معهم رفضا باتا ، ما يثير شكوكه في شأن أولئك الواغلين ، ويفتح عيونه على حقيقة أهدافهم ، وطبيعة مقاصدهم . أم نضيف الى اتهامه بالخيانة العظمى تهمة أخرى ، هي الغفلة والبلة . واذا جاز لنا أن نصدق « فران » ، فان ابن ماجد يكون قد قاد سفن البرتغال لقاء وعد بمكافأة سخية ، أي كعميل مأجور ضد قومه ووطنه .

ان المرء ليصاب بالدهشة كيف تلقى مثل هذه التهمة ، على سخفها وتهافتها ، هذا القبول والتأكيد ؟ وكيف نعتبرها مفخرة نعتز بها ، ونشيد بذكرها بمناسبة وبدون مناسبة ؟ وكيف لا نجد بين من عنوا بالكتابة عن احمد بن ماجد ، منذ انطلقت هذه التهمة من قمقم التلفيق والتحريف في سنة ١٩٢٢ حتى شارفت على

الخمسين من عمرها ، من خالجة مجرد شعور بالشك في حقيقة أمرها . ولكن لعل من الأجدر بنا قبل أن نمضي قدما في فضح حقيقتها أن نستعرض حيثياتها :

يمثل الادعاء في هذه القضية اثنان : هما الشيخ محمد بن أحمد النهروالي وقد وضع كتابه « البرق اليماني » الذي جاء فيه اتهامه لابن ماجد ، في أواخر القرن العاشر الهجري ، (حوالي سنة ١٥٧٠ م) وهذا الشيخ ، عافاكم الله ، مبتلى بمعاداته لقومه . وكتابه « يزخر بالتحامل على العرب وذمهم في أغلب الاحيان » .

والثاني : هوفران ، وهو مستشرق فرنسي تخصص في تاريخ الملاحة الشرقية ، لاسيما العربية منها . ولكن كتاباته تفتقر أحيانا الى الامانة العلمية ، وتنطوي على آراء وأحكام لاسند لها من التاريخ . (وقد انضم الى ركب النهروالي في اتهام ابن ماجد في سنة ١٩٢٢) وعلى الرغم من الفارق الزمني بينهما ، فقد امتزجت مرافعتاهما حتى أصبحتا تشكلان صحيفة اتهام واحدة . ولكننا سنحاول اقتفاء أثر كل منهما على حدة .

يقول النهروالي :

« وقع في أول القرن العاشر من الحوادث الفواجع النوادر ، دخول الفرتقال اللعين من طائفة الفرنج الملاعين الى ديار الهند ، وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة في البحر ويلوون في الظلمات ويمرون بموضع قريب من جبال « القمر » بضم القاف وسكون الميم ، جمع أقمر أي أبيض ، وهي مادة أصل بحر النيل ، ويصلون الى المشرق ، ويجرون بموضع قريب من الساحل ، في مضيق أحد جانبيه جبل ، والجانب الآخر بحر الظلمات ، في مكان كثير الامواج ، لاتستقر به سفائنهم ، وتنكسر ولا ينجو منهم أحد . واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون في ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد الى بحر الهند ، الى أن خلص منهم غراب الى الهند . فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى أن دلهم شخص ماهر يقال له احمد ابن ماجد ، صاحَب كبير الفرنج ، وكان يقال له « الململندي » ، وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره ، وقال لهم ، لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الامواج .

فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في البحر الهندي وبنوا في كوّه من بلاد الدكن قلعة يسمونها « كوتا » ، ثم أخذوا هرموز ، وتقووا هنالك ، وصارت الامدادات تترادف عليهم من البرتغال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا ونهبا ، ويأخذون كل سفينة غصبا الى أن كثر ضررهم على المسلمين ، وعم أذاهم على المسافرين » .

هذه هي صحيفة الاتهام ، كما وضعها النهروالي ، ثم جاء فران فزاد في الطين بلّة والطنبور نغما . كان اتهام النهروالي لابن ماجد مجرد نصيحة من سكران لكبير الفرنجة «الملندي» ، اذ قال له « لاتقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ،

فلا تنالكم الامواج » • أما متى وأين أدلى هذا السكران بتلك النصيحة، ومن هو « الملندي » الذي ألقيت اليه ، فأمور على أهميتها ، لم تكن ليحفل بها النهروالي • فلما جاء فران ، استكمل تلك النواقص الهامة، فحدد مكان اللقاء في ميناء «ملندي» وحدد تاريخه بـ٢٢ ابريل سنة ١٤٩٨م، أو خلال زيادة فاسكودي جاما لميناء «ملندي» في ذلك الشهر • وحدد شخصية « الملندي » على أنه فاسكو دي جاما ذاته ، ولكنه حاول ان يدفع تهمة السكر عن احمد بن ماجد، ليثبت عليه اقتراف ذلك العمل الشنيع الذي «يعده مسلمو مكة خيانة عظمى» ، وهو في كامل وعيه، مالك لقواه العقلية، مدرك مغبة عمله، وزاد على كل ذلك شيئا هاما ، لم يرد في سطور النهروالي ولو تلميحا ، وهو أنه ادعى أن ابن ماجد تولي فعلا قيادة فاسكودي جاما من « ملندي » الى كليكوت •

ونحن اذا تجاوزنا مافي الاسطورة النهروالية الفرانية من لغولا طائل خلفه عن جبال القمر ومادة أصل بحر النيل في غرب افريقيا ، وعن المضيق العجيب الذي أحد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر الظلمات (كيف يكون مضيقا اذا كان أحد جانبيه بحر) يبقى أمامنا أمر السفر البرتغالية التي كانت تتكسر قبل وصول البرتغاليين الى تلك المياه ، وبقيت تتكسر بعد ذلك حتى ذلك الاجتماع المزعوم بين ابن ماجد والملندي، وهومالا يقره مؤرخو البرتغال، ويبقى وصول غراب برتغالي الى الهند قبل ذلك الاجتماع المزعوم •

ان هذا الملندي الذي يقال انه اجتمع بأحمد بن ماجد في شرقي أفريقيا ، أما أن يكون فاسكودي جاما نفسه ، كما يزعم فران، واذن فاجتماعه بأحمد بن ماجد ، على فرض وقوعه ، لم يحصل الا بعد وصوله الى الهند وعودته منها • ولذلك فلا يمكن أن يكون الربان الذي تولى قيادة سفنه الى الهند ، هو أحمد بن ماجد لانهما لم يلتقيا الا بعد تلك العودة ، واما أن يكون هذا « الملندي » شخصا آخر غير فاسكودي جاما ، واذن فأحمد بن ماجد لم يقم بقيادة فاسكودي جاما ، لانه لم يلتق به ، وانما التقى بشخص آخر غيره •

❁

قبل سنوات حاولت تفنيد هذه التهمة الجائرة ، فعقدت لها مقالة ضافية نشرها أخي واستاذي الكبير الشيخ حمد الجاسر في مجلة « العرب » ، فجاءت في ٧٠ صفحة موزعة على ٦ أعداد من أعداد السنة الخامسة للمجلة (نوفمبر ١٩٧٠ — ابريل ١٩٧١) •

في هذه المقالة أشرت اشارة صريحة واضحة الى أن الدكتور انور عبد العليم هو أول من تسرب اليه شك في صحة تلك التهمة • كما أشرت الى أنه كان في شكه قلقا مترددا يقدم اليه رجلا ويؤخر أخرى ، وذلك أنه بعد أن ردد في كتابه «ابن ماجد الملاح» الذي قدمه الى المطبعة في يوليو سنة ١٩٦٦م ماكان يدور على ألسنة الكتاب من أقوال مبتسرة عن صلة ابن ماجد بالبرتغاليين ، ترديد الواثق منها ، المطمئن اليها ، طلع علينا ، في الكتاب ذاته بموقف جديد يتميز بالشجاعة والاستقلال، فأعلن عن تشككه في صحة تلك الاقوال ولكنه

بعد أقل من عشرة أشهر على تلك الشكوك ، لم يلبث أن عاد الى ايمانه السابق بتلك الاقوال التي سبق أن شك فيها .

انه لا يستقيم على حال، فهو يبرم وينقض، ثم يعود الى ابرام ما نقضه من قبل . فبعد أكثر من اثني عشر عاما ، أصدر كتابا جديدا سماه « الملاحة وعلوم البحار عند العرب » عاد فيه الى معالجة قضية ابن ماجد مرة واحدة .

وكنا في مقالتنا الآنفة الذكر ، أول من وصف رواية النهروالي عن احمد بن ماجد ، بالاسطورة في أكثر من موضع ، لابل جعلنا منها عناوين فرعية البعض فقرات تلك المقالة ، ثم نقدناها نقدا موضوعيا كشف عمافيها من «خلط وتشويش واضطراب وأخطاء تاريخية وجغرافية» ونفينا نفيا قاطعا أن تكون لابن ماجد صلة بفاسكودي جاما أو بأي برتغالي آخر غيره ، فجاء الدكتور ، في كتابه الجديد يؤكد لنا في سنة ١٩٧٩ ما سبق أن قلناه في سنة ١٩٧٠ . قال حفظه الله ، بعد أن وصف ارشاد ابن ماجد المزعوم لفاسكودي جاما بالاسطورة .

« والواقع أننا بعد قراءتنا لمؤلفات ابن ماجدوأراجيزه ، ومنها الراهمانجات الثلاث ، متقدمة الذكر ، بتمعن ، يمكننا أن نقرر بكثير من الثقة والاطمئنان ، بأن ابن ماجد لم يكن هو الدليل أو المرشد الملاحي لمراكب دي جاما ، ولا لغيره من الاميرالات البرتغاليين الذين أبحروا من ساحل أفريقيا الشرقي الى الهند .. وقال عن رواية النهروالي « ان الخلط يبدو واضحا في مقال النهروالي ، سواء بالنسبة للحوادث المكانية أو الزمانية » .

وأحسب أن في هذه النماذج كفاية لما في كتاب الدكتور الجليل من اصالة علمية . وقد أعود للحديث عما أخذه عنا في كتابه ، في فرصة أخرى . ولكني قبل أن أودع الدكتور الجليل في هذه المناسبة أود اشير الى ان ما اتسمت به اسطورة النهروالي من تخليط وتخبيط ، قد أثر على قلمه تأثيرا بليغا كما يبدو ذلك جليا من الفقرة التالية :

بدأ الصدام مع البرتغال في المحيط الهندي مبكرا ، ففي عام ١٥٠٥ م (٩١١ هـ) أبحرت من السويس حملة بحرية مصرية من لخمسين سفينة بقيادة الامير حسين الكردي صحبتها جماعة كبيرة من النجارين والبنائين لتحصين ميناء جدة وانشاء الابراج اللازمة للدفاع عنها اذا داهمها البرتغال ، وفي نفس الوقت (أي سنة ١٥٠٥ م – ٩١١ هـ) كان أسطول البوكرك قد غادر المياه الهندية واستولى على جزيرة سقطرة وأغار على عدن ، وعبر باب المندب ، بقصد الاتصال بملك الحبشة للتحالف معه ضد المسلمين ، ثم حاول الوصول الى جدة ، فعلم أن الاسطول المصري بها ، فسارع بالانسحاب من البحر الاحمر ، وتبعه اسطول حسين الكردي لمطاردته ، وتمكن من انزال الهزيمة به على سواحل الهند في موقعة شوال سنة ١٥٠٨ م غير أن نجدة وصلت البرتغال وتمكنوا من هزيمة الاسطول المصري في خليج ديو DIO في فبراير ١٥٠٩ م – ٩١٥ هـ . ثم استولى البرتغال على

ميناء جوا GOA سنة ١٥١٠ م ، بيد أن محاولاتهم المتكررة لبسط النفوذ الى البحر باءت كلها بالفشل •

« وفي نفس السنة التي تم فيها تحرير اليمن من النفوذ البرتغالي (كذا) وهي سنة ٩١٧ هـ استولى العثمانيون على مصر بقيادة سليم الاول وسقطت دولة المماليك » •

ونتساءل كيف جاء البرتغاليون الى اليمن، حتى يمكن تحريرها منه في سنة ٩١٧ هـ ، اذا كانت محاولاتهم المتكررة لبسط نفوذهم على البحر الاحمر قد باءت كلها بالفشل •

ولكني لن احاول في هذه المناسبة مناقشة هذه المزاعم واظهار ما تنطوي عليه من تخليط وتخبيط لان المجال لا يتسع لهذه المناقشة أولا، ولان أمرها خارج عن موضوعنا على كل حال ثانيا ، ولان تفنيدها يضطرني الى الدفاع عن البوكرك لتبرئته من تهمة الاغارة على عدن وعبور باب المندب في ذلك التاريخ أي في سنة ١٥٠٥ م ولتبرئته من الاشتباك مع الاسطول المصري في موقعة شوال في سنة ١٥٠٨ أوفي أية موقعة أخرى ، وفي أي تاريخ سابق أو لاحق لتاريخ تلك المعركة •

لن احاول مناقشة هذه المزاعم في هذه المناسبة ، وانما استشهدت بها كمثل على مدى عنايتنا بما تتولى معالجته من قضايا تاريخية •

ومع كل هذا فأنا مسرور ومغتبط من هذه النتيجة فقد تضاعف عدد المؤمنين ببراءة أحمد ابن ماجد من تلك التهمة الجائرة ، لقد كانوا واحدا ، فأصبحوا اثنين •

هذا هو أول الثلاثة أيها السادة •

أما الثاني ، فهو الدكتور الجليل عبد الهادي التازي •

عقد المؤتمر الثاني للدراسات التاريخية لشرق الجزيرة العربية في الدوحة في سنة ١٩٧٧م وقد حضره أخي وزميلي الاستاذ عبد الله ابو عزة نائب مدير مركز الوثائق والدراسات ، وقد حدثني مشكورا أحد الاساتذة ، وأنا أجهل أسمه حتى هذه الساعة ، طرح في احدى جلسات المؤتمر ، قضية ابن ماجد على النحو التقليدي المألوف ، وقرر أن ابن ماجد هو الربان الذي قاد سفن فاسكودي جاما من شرقي افريقيا الى كليكوت • وقد انبرى للرد عليه الاستاذ الجليل الدكتور عبد الهادي التازي ، مدير معهد البحر العلمي في الرباط بالامس ، وسفير المغرب لدى الجمهورية الاسلامية الايرانية اليوم • وقال في رده : ان التاجر قد فند هذه الاسطورة وقضى عليها قضاء لا قيام لها بعده •

هذا الموقف الشجاع من الدكتور الجليل قد زاد في غبطتي وسروري ، لا لانه أشاد بدفاعي المتواضع عن أحمد بن ماجد فحسب، وانما لانه زاد في عدد المؤمنين ببراءة أحمد بن ماجد من تلك التهمة الظالمة •فأصبحوا الآن ثلاثة : عالمان جليلان هما : الدكتور أنور عبد العليم ، والدكتور عبد الهادي التازي ـ والداعي لكم بالخير وطول العمر •

أما الثالث فهو الاستاذ الكريم محمد جابر

الانصاري الذي نشر في أحد أعداد مجلة الدوحة البحرية » • وقد استرعى اهتمامي من مقالة مقالا قيما بعنوان « ابن ماجد ، وتراث حضارتنا المقطع التالي الذي يعزوه الى « كستانهيدا » •

« وصل القائد فاسكودي جاما الى مالندي على الساحل الشرقي من افريقيا شمال مدغشقر في ١٥ مارس ١٤٩٨ وأرسى في فرضتها فصعد الى سفينته مسلمون ، منهم مسلم اسمه أحمد بن ماجد • وقد دهش دي جاما لسعة علم الملاح المسلم عندما أراه خريطة الساحل الهندي كله ، وعليها خطوط الطول والعرض وبالتفاصيل •• ثم دعا فاسكودي جاما الملاح المسلم ابن ماجد ليشاهد الاسطرلاب الكبير الذي كان يحمله على سفينته ، وآلات فلكية أخرى ، فلم يعجب الملاح لما رأى • وأنبأ دي جاما أن للملاحين العرب آلات متقنة مصنوعة من غير مثال ما بيد البرتغال •• ثم أطلعه على آلة له مؤلفة من ثلاث لوحات • فلما رأي دي جاما قيمة هذا الكنز الذي ظفر به ، أحب الاحتفاظ بهذا المعلم المسلم ، وأقلع متوجها الى الهند في ٢٤ ابريل • فاجتاز البحر الكبير دون أن يلقى في طريقه عقبة أو مشقة ، بفضل ارشاد الملاح العربي ابن ماجد » •

ان الذي أثار هواجسي في البداية ودفعني للشك في صحة تلك التهمة الظالمة ، قبل وقوفي على اسطورة النهروالي ، وقبل اطلاعي على النص الانجليزي لصنيع فران بتلك الاسطورة ، هو مالاحظته من عدم ورود اسم ابن ماجد على لسان أحد من الكتاب والمؤرخين البرتغاليين الذين عاصروا فاسكودي جاما وكتبوا عنه بالتفصيل • وبعضهم كان قد صحبه في رحلته الاولى الى الهند ، وكلما ازداد تتبعي للموضوع نمت شكوكي وربت في صحة تلك التهمة ، حتى أفضيت بها ذات يوم في الشام لاخي وشيخي العلامة حمد الجاسر فحثني على الكتابة في الموضوع ، ثم تفضل فأرسل اليّ بعد عودتي الى دبي ، نسخة مصورة من مخطوطته لتلفيقات النهروالي ، أرسلها لي على يد آخي واستاذي العلامة أحمد راتب النفاخ ، الذي تكرم فاستنسخ المتن المصور ، بخطة الواضح الجلي ، حتى لا تستعصي على قراءة الاصل • وما أن وقفت على اسطورة النهروالي •

ثم وقفت بعد ذلك على مقالة فران فيما يسمى بدائرة المعارف الاسلامية ، وتدبرت ما صنعه بتلك الاسطورة من تحريف وتلفيق ، وكيف باضت على يديه وفرخت ، حتى تأكدت ظنوني • وأيقنت أن تلك التهمة الظالمة •

